



مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ

لِسَمَاحَةَ الْإِمَامِ

يُوسُفَ الْقِزَّيْنِ

المجلد الثامن والثمانون





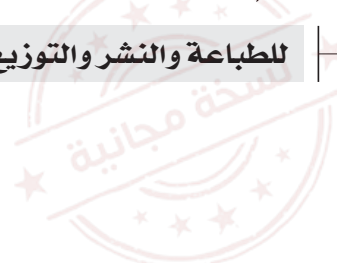
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م

دار الشامية

للطباعة والنشر والتوزيع



مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
بُوسَيْفِ القُرْضَاوِيِّ



الْجُورُ الحَادِي عَشَرَ

خُطْبُ المَجْمَعَةِ

- ١١ خُطْبُ الشَّيْخِ القُرْضَاوِيِّ ١٧٤
- ١٢ خُطْبُ الشَّيْخِ القُرْضَاوِيِّ ١٧٥



مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ
بُؤَيْيْفِ الْقُرْضَاوِيِّ

غير مرخصة للطباعة

المحور الحادي عشر

خطب الجمعة

١٧٤

خطب الشيخ القرضاوي

١١

إعداد

المكتب العلمي للشيخ



من الدستور الإلهي للبشرية

﴿سَأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ
وَالْأَقْرَبِينَ وَالتَّامَّةِ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ
اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥].

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا
وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا
حَسِيبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۖ إِلَّا أَسْحَابَ الْيَمِينِ ۖ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ
عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۖ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۖ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۖ
وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ ۖ﴾ [المدثر: ٣٨ - ٤٤].



من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه قال: بينما نحن في سفرٍ مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجلٌ على راحلةٍ له، قال: فجعل يصرف بصره يمينًا وشمالًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان معه فضلٌ ظهر، فليعدْ به على من لا ظهرَ له، ومن كان له فضلٌ من زاد، فليعدْ به على من لا زادَ له». قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حقَّ لأحدٍ منا في فضل. رواه مسلم وأبو داود.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الله قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضتُ عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأُعيذنه، وما ترددت عن شيءٍ أنا فاعله تردُّدي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته». رواه البخاري.





الردُّ على بابا الفاتيكان (١)

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

إساءات متعمَّدة للإسلام:

يبدو أننا - نحن المسلمين - الَّذِينَ بلغ عددنا في الأرض نحو المليار ونصف المليار من البشر، أصبحنا كأننا أمة من ورق، أو أمة من زجاج، أصبحنا (ملطشة)، أصبحنا هدفاً لكلِّ رامٍ، أصبحنا في كلِّ يوم نُرمى بالنبال، ونُرمى بالسهم من مشرق ومغرب، ومن شمال وجنوب.

لم نكد نُفيق من تلك الإساءة المتعمَّدة لنبينا مُحَمَّدٍ ﷺ، نبي الرحمة وهادي الأُمَّة وكاشف الغمَّة، تلك الإساءة التي تمثَّلت في العام الماضي، في تلك الرسوم الكاريكاتورية التي قامت بها صحيفة دانماركيَّة، وهاج العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه، من المحيط إلى المحيط، من إندونيسيا إلى موريتانيا، دفاعاً وغضباً لنبينا مُحَمَّدٍ ﷺ، ومن شأن الأُمَّة العزيزة أن تغضب إذا استُبيحت حُرُماتها.

(١) أُلقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة في ٢٢ شعبان ١٤٢٧هـ الموافق ١٥ سبتمبر ٢٠٠٦م.

الذليل هو الذي يلقي الهوان، ويسكت عليه، ويغضي العين على القذى، ولكن الرجل العزيز لا يقبل أن يُهان في عرضه، لا يقبل أن يُهان في حُرّماته، لا يقبل أن يُهان في مقدّساته، إنّه مستعد أن يبذل النفس والنَّفيس، والغالي والرخيص؛ ليدافع عن حُرّماته، ويدافع عن مقدّساته.

ولهذا رأينا الأمة الإسلاميّة كلّها رجالها ونساءها، شيوخها وشبابها، المتديّنين وغير المتديّنين، الملتزمين وغير الملتزمين، يقومون جميعًا غضبًا لرسول الله ﷺ.

بابا الفاتيكان يهاجم الإسلام:

واليوم تشهد الأمة مأساة أخرى جديدة، لا يقوم بها صحفي في جريدة، ولكن يقوم بها أعظم رجل دين في المسيحيّة، حبر المسيحيّة الأعظم - كما يُسمّونه، بابا الفاتيكان، البابا بنديكت السادس عشر، يهاجم الإسلام، ودين الإسلام، وعقيدة الإسلام، وشريعة الإسلام، ونبي الإسلام، بدون مبرّر، بدون ضرورة تدعو إلى ذلك.

هل أصبحنا كلّاً مباحاً؟ هل أصبح جمانا مستباحاً؟ هل استُجِلّت حرّماننا؟ ما هذا الذي يحدث؟

أمّة تبلغ هذا العدد هل أصبحت غنّاء كغنّاء السيل، لا يرهّبها أحد، ولا يحترمها أحد، ولا يراعي حرّمانها أحد؟

إنّنا نعجب من هذا الذي حدث، الذي حدث شيء لا يُسكّت عليه، ولا يُصبر عليه؛ لأنّ الصبر على الذلّ لا يقبله الإسلام، ولا تقبله الأخلاق.

الذليل هو الذي يرضى بالهوان ويسكت عليه، ونحن لسنا أمّة ذليلة،

نحن أمة عزيزة، أعزنا الله بالإسلام، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿وَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يونس: ٦٥].

عزتنا من عزة الله، عزتنا من عزة الإيمان بالله ورسوله، وكما قال سيّدنا عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: نحن كنا أذلّ قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نلتمس العزة بغيره أذلنا الله^(١).

أعزنا الله بالإسلام، أعزنا الله بالقرآن، أعزنا الله بهذه الرسالة الخالدة، الرسالة المتوازنة، الرسالة التي ربطت الأرض بالسماء، ووصلت الدنيا بالآخرة، وجمعت بين العقل والقلب، ومزجت بين المادة والروح، الرسالة الوسطية، الرسالة الشاملة، الرسالة المتكاملة، رسالة محمد صلّى الله عليه وآله، أعزنا الله بهذه الرسالة ونفخر بها، ونباهي بها، ونناجي ربنا فنقول:

وممّا زادني شرفاً وتيهاً وكدتُ بأخمصِي أطأُ الثُّرَيَّا
دخولي تحت قولك يا عبادي وأن أرسلت أحمد لي نبياً^(٢)

نعزُّ بهذه العبودية لله وحده، لا نتعبّد لأحد إلا لله، عبادتنا لله هي عين الحرّية؛ لأننا لا نطأطئ رؤوسنا إلا لله، ولا نعفر جباهنا إلا لله، ولا نحني ظهورنا إلا لله راكعين ساجدين.

(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٥٨٥)، والحاكم في الإيمان (٦١/١)، وصحّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي.

(٢) من شعر القاضي عياض. انظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ص ٢٣٥، تحقيق محمد بهجة البيطار، نشر دار صادر، بيروت ١٣٣٥هـ - ١٩٩٣م.

أمّة مثل هذه الأمّة لا يجوز أن تُهان كرامتها، ولا أن يُساء إلى دينها،
ولا أن يُعتدى على حُرّماتها.

ولكن البابا - بابا الفاتيكان - لم يراعٍ لهذه الأمّة حُرمة، ولم يرقب
في مسلم إلاّ ولا ذمّة، وقال ما قال، في محاضراته في إحدى جامعات
جنوب ألمانيا يوم الثلاثاء الماضي، قال كلامًا كثيرًا، لن أردّ عليه في هذه
الخطبة، سأردّ عليه - إن شاء الله - في برنامج: «الشريعة والحياة».

الردُّ على مزاعم البابا:

ولكنّي أردُّ على نقطة واحدة أثارها على لسان إمبراطور بيزنطي، في
القرن الرابع عشر الميلادي في حوار تاريخي له مع مسلم مثقّف - كما
ادّعى - قال الإمبراطور البيزنطي للمثقّف المسلم: ماذا جاء به محمّد
نبيّهم؟ ماذا جاء به من جديد غير ما جاء في اليهوديّة والمسيحيّة، غير
هذه الأمور الشريرة واللاإنسانيّة مثل أمره بنشر دينه بالسيف؟

قال هذا على لسان الإمبراطور البيزنطي، ولم يعقّب البابا على هذا،
ومعناه أنّه راضٍ به، استشهد بهذا الكلام، ولم يعقّب عليه، ما معنى هذا؟

بعض الذين يفسّرون كلامه من رجال الكنيسة يقول: هو لم يقل هذا،
هو قاله على لسان الإمبراطور البيزنطي. فلماذا قاله؟ لماذا جاء بهذا الكلام؟

حتى إنّ لم يأتِ بردّ المسلم الفارسي على هذا الإمبراطور البيزنطي،
حينما قال هذا للمثقّف المسلم، لا بدّ أن يكون لهذا المثقّف ردّ على
هذا الكلام، كان من الأمانة أن يأتي برده على كلام الإمبراطور، وإلاّ لم
يكن حوارًا، رجل يهاجم دين هذا الفارسي بهذا الهجوم الفظيع ويسكت
عنه، لم يأتِ لنا بردّ.

رسالة الإسلام رسالة شاملة:

ونحن نقول لبابا الفاتيكان: إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ جاء برسالة عظيمة، امتازت بالشمول، وامتازت بالعالميّة، وامتازت بالخلود.

امتازت بالشمول؛ لأنها جاءت رسالة للدنيا والآخرة، للروح والمادة، للعقل والقلب، للفرد والمجتمع، للمستوى الإقليمي والمستوى العلمي.

رسالة شاملة، عبّر عنها القرآن الكريم حينما قال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]؛ فالقرآن تبيان كل شيء، من ربّ كل شيء، وكما قال الخليفة الأوّل أبو بكر رضي الله عنه: لو ضاع مني عقل بعير لوجدته في كتاب الله^(١).

في كتاب الله ما يرشد إلى كلّ القواعد التي تحتاج إليها البشريّة في دينها ودنياها، كلّ الكلّيات، التفصيلات والجزئيات لا يمكن أن يأتي بها كتاب، ولكنه أتى بالمبادئ، أتى بالقواعد، أتى بالكلّيات التي وراءها، وفيها سعادة الإنسانيّة في دنياها وآخرتها.

هذه الرسالة الشاملة المتكاملة.

الإسلام رسالة عالميّة:

هذه الرسالة العالميّة، امتازت رسالة محمد ﷺ عن رسالات الرسل من قبله أنّها رسالة للعالم كلّ، ليست لإقليم من الأقاليم، ليست للشرق دون الغرب، ليست للعرب دون العجم، ليست لطبقة دون طبقة، ليست للسان دون لسان، جاءت بلسان عربي، ولكنها جاءت للناس كافّة.

(١) الإتيان في علوم القرآن (٤/٣٠، ٣١)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

كلُّ رسول قبل محمَّد ﷺ أرسل إلى قومه، موسى أرسل إلى قومه إلى بني إسرائيل، حتَّى إنَّ التوراة تُسمِّي الإله ربَّ إسرائيل، نحن نقول: ربُّ العالمين، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، أول سورة في المصحف، أول آية فيها بعد البسملة، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وآخر سورة في القرآن: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ﴾ [النَّاس: ١-٣].

التوراة تقول: ربُّ إسرائيل، ربُّ الجنود، وتعتبر شعب إسرائيل الشعب المختار دون العالم كلّه.

أمَّا الإسلام فقد جاء بدين عالميٍّ، برسالة عالميَّة.

المسيح ﷺ يقول في إنجيله: إنَّما بُعثتُ لخراف بني إسرائيل الضالَّة^(١). لم يدعِ أَنَّهُ جاء إلى العالم كلّه.

النَّبِيُّ الَّذِي أعلن عالميَّة دعوته من أول يوم هو محمَّد ﷺ، الآيات التي تدلُّ على عالميَّة الدعوة كلَّها في القرآن المكي، في سورة الأنبياء المكيَّة يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وفي سورة الفرقان المكيَّة يقول: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِّلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وفي سورة الأعراف المكيَّة يقول: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وفي عدد من السور المكيَّة: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٧]، وفي سورة سبأ المكيَّة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

كلُّ السور التي جاءت فيها عالميَّة الرسالة سور مكيَّة، هذه مزيَّة هذه

(١) إنجيل متَّى (٢٤/١٥).

الرسالة، رسالة عالميّة من حيث مضمونها، لم تجئ تخاطب شعبًا معيّنًا، ولا جنسًا معيّنًا، ولا طبقة معيّنّة، بل جاءت لكلّ النّاس في تشريعاتها وأخلاقياتها وعباداتها ومعاملاتها.

الرسالة الأخيرة من السماء إلى الأرض:

وتميّزت هذه الرسالة - أيضًا - بأنّها الرسالة الخاتمة، لم يدعِ نبيّ قبل محمّد ﷺ أنّه ختم النبوات أو الرسالات، كلُّ واحد كان يبشّر بنبيّ يأتي بعده، موسى وعيسى بشرا بأنبياء يأتون من بعدهم، وهذا ثابت في أسفار التوراة وملحقات التوراة، وفي الإنجيل إلى اليوم، ولكن محمّدًا ﷺ وحده هو الذي قال: «إنّه لا نبيّ بعدي»^(١)، وكتابه يقول: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقد مضت أربعة عشر قرنًا على دعوى محمّد ﷺ بختم الرسالة، فلم تقم نبوة مسموعة، قام ناس كثيرون يدعون النبوة، ولكن لا يُسمع لهم، لم تثبت أيُّ نبوة غير نبوة محمّد ﷺ؛ فهي النبوة الخاتمة، محمّد ﷺ جاء بالشرعية الخالدة، جاء بآخر كتاب أنزل، وكان هو آخر نبي أرسل، وكانت شريعته هي الشريعة التي ختمت الشرائع، وأودع الله فيها من عناصر السّعة والمرونة والخلود ما يجعلها صالحة لكلّ زمان ومكان، وهذا كُتبت فيه كُتب، وقُدّمت فيه أطروحات، وقامت عليه الأدلّة العلميّة والعملية والنقلية.

الإسلام جاء بالعقيدة الصحيحة:

جاء محمّد ﷺ بالجديد في العقائد، غير المألوف في عصره، والجديد بالنسبة لما يدّعيه أهل زمانه، والجديد في الشرائع، والجديد

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٤٥٥)، ومسلم في الإمارة (١٨٤٢)، عن أبي هريرة.

في الأخلاق، جاء بالجديد في العقيدة، جاء بالتوحيد الخالص، التوحيد الذي لا تشوبه شائبة، خلص عقيدة التوحيد التي بعث الله بها الأنبياء جميعًا، كلُّ الأنبياء جاءوا بالتوحيد الخالص: ﴿يَقُومُوا أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]، هذا هو النداء الأول في كلِّ رسالة: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ولكن التحريفات دخلت على الأديان، حتّى على الأديان السماوية منها، دخل التشبيه في الديانة اليهوديّة؛ الديانة اليهوديّة شبّهت الخالق بالمخلوق، ذكرت في التوراة أنّ الله يغار من الخلق، ويندم على ما فعل، ويحسد الناس على ما آتاهم، ويختبئ في الحديقة حتّى لا يراه غيره، ويصارع إسرائيل (يعقوب)، فيصرعه إسرائيل ويغلبه، ويطلب منه أن يُطلق سراحه، فعرف أنّه الربُّ، فقال له: لن أطلقك حتّى تبارك ذريتي^(١).

ما قيمة هذا الإله المصروع المغلوب حتّى يبارك الذرّيّة؟

هكذا أصبح الله في نظر التوراة، في نظر اليهوديّة، هو مشبّه بالمخلوقين، يجري عليه ما يجري على المخلوقين، وهكذا رأينا اليهوديّة شبّهت الخالق بالمخلوق.

والنصرانيّة شبّهت المخلوق بالخالق، ارتفعت بالمسيح وهو عبد من عباد الله، مولود من مريم، كيف يكون إلهاً أو ابن إله أو ثلث إله، وهو مخلوق يأكل ويشرب؟

(١) انظر: اليهودية لأحمد شلبي (١٨٢/١ - ١٨٦)، نشر مكتبة النهضة المصرية، ط ١٢، ١٩٩٧م.

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥]، ومن يأكل الطعام يحتاج إلى بيت الخلاء ليُخرج ما في بطنه.

المسيحية شبّهت المخلوق بالخالق، أعطت المسيح مرتبة الألوهية. ولذلك رفض الإسلام هذا.

تنقية التوحيد مما لحق به من شوائب التحريف:

الإسلام قال: الإله إله واحد: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣].

جاء الإسلام بالتوحيد خالصاً، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص].

أفاض القرآن وسبح سبحاً طويلاً في بيان حقيقة التوحيد:

ألا تبغي غير الله ربّاً: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

ألا تتخذ غير الله وليّاً: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخَذُ وَلِيّاً فَأَطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٤].

ألا تبغي غير الله حكماً: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ ابْتَغَى حَكْماً وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً﴾ [الأنعام: ١١٤].

هذه عناصر التوحيد جاء بها الإسلام.

الإسلام خلّص التوحيد مما شابه على يد اليهودية والمسيحية بعد أن حُرِّفَتْ كُتُبُهَا، لم يضمن الله لكتاب من الكتب أن يحفظه من التحريف

إِلَّا الْقُرْآنَ، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، بهذا التأكيد؛ الجملة الاسمية، التأكيد بـ(إِنَّ)، وإعادة اللام في الخبر ﴿لَحَافِظُونَ﴾، ولذلك حُفِظَ الْقُرْآنُ حِفْظًا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ.

نحن نقرأ المصحف كما كُتِبَ في عهد الخليفة عثمان، نحن نتلو القرآن كما كان يُتلى في عهد النبوة، بغنّه ومدّه وإدغامه وإظهاره وإخفائه، لا يوجد كتاب يحفظه عشرات الألوف ومئات الألوف، حتّى من الصبيان والبنات إلا القرآن الكريم.

نحن المسلمين أكرمنا الله بهذا الكتاب الكريم.

فجاء القرآن بتحرير التوحيد من شوائب الشركيات، وشوائب التشبيه، وجاء بالتنزيه المطلق، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

تكملة الرسالات السابقة:

جاء الإسلام في مجال العقائد بضرورة الإيمان بجميع ما أنزل الله من كتب، وما بعث الله من رسل، لا يصحُّ إسلام المسلم ولا يُقبل إيمان المؤمن إلا إذا آمن بكلِّ كتاب أنزل، وبكلِّ نبيٍّ أرسل، القرآن يقول: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

القرآن جاء يبني ولا يهدم، يتمم ولا ينقض، جاء يكمل الرسالات كلّها.

جاء الإسلام بإبطال فكرة الشفاعة، فكرة الواسطة، أنك تستطيع أن

تنجو في الآخرة من النار وتدخل الجنة بواسطة لك، بشفيع يشفع لك عند الله، وإن لم تكن مؤمناً بالله، وإن لم تعمل صالحاً.

أنكر القرآن هذه الشفاعات التي تُفرض على الله، اعتقد ذلك المشركون والنصارى وغيرهم من أهل الكتاب، جاء القرآن يقول: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَر: ٤٤]، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨].

لا يشفعون إلا لأهل التوحيد، أمّا أهل الشرك - أهل الباطل - فلا شفاعة لهم، ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، ولذلك يقول أهل النار يوم القيامة: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ ولا صديقٍ حميمٍ ﴿[الشُّعْرَاءُ: ١٠٠، ١٠١]، الَّذِي يَنْفَعُ الْإِنْسَانَ هُوَ عَمَلُهُ، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

لا يستطيع بابا من الباباوات، ولا كردينال من الكرادلة، ولا أسقف من الأساقفة، ولا كاهن من الكهنة، ولا شيخ من الشيوخ، أن يشفع لإنسان لا يستحقُّ الشفاعَةَ، إنّما يشفع لمن ارتضاه الله من أهل الإيمان والتوحيد، إذا زلت أقدامهم في معصية من المعاصي، أمّا من حارب الله، ووقف في شقِّ والدين في شقِّ، شاقَّ الله ورسوله هذا لا شفاعة له، ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

الإسلام جاء بالعبادة السليمة:

جاء الإسلام في مجال العبادات بعبادات لا توجد في أي دين من الأديان، في الأديان صلاة وصيام وصدقة وحجّ، ولكن ليست كصلاة الإسلام، ليست كزكاة الإسلام، ليس كصيام الإسلام، ليس كحجّ الإسلام.

تميُّز الصَّلَاة في الإسلام:

الصَّلَاة في الإسلام فريضة عظيمة، الإسلام وحده هو الدين الذي يجعل المسلم على موعد مع ربّه خمس مرّات في كلّ يوم، لا دين يربط الإنسان بربّه هذا الربط، يجعله ينتشل نفسه من لُجّة الحياة إذا غرق في أعمالها ومشاغلها، عندما تزول الشمس عن كبد السماء يناديه المنادي: الله أكبر الله أكبر، حي على الصلاة حي على الفلاح.

فينتزع نفسه من الدُّنيا ويأتي ليؤدّي صلاة الظهر، وبعد أن يصير ظلُّ كلِّ شيء مثله يؤدّي صلاة العصر، وبعد أن يغرب قرص الشمس يؤدّي صلاة المغرب، وبعد أن يغيب الشفق الأحمر يؤدّي صلاة العشاء، وبعد أن ينبلج الفجر يؤدّي صلاة الفجر، خمس صلوات كتبهنَّ الله على العباد في اليوم والليلة، غير السنن الرواتب، وغير النوافل التي فتح الله بابها لمن يحبُّ الاستزادة من الخير، «وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتّى أحبّه، فإذا أحببته، كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»^(١).

الصَّلَاة في الإسلام ليست كالصَّلَاة عند المَسِيحِيِّين أو اليهود.

الصَّلَاة عند المَسِيحِيِّين دعاء وابتهاال، إنّما الصَّلَاة في الإسلام قيام وعود، وركوع وسجود، وتلاوة وتسبيح، وتكبير وتهليل وتشهّد، يعمل فيها اللسان ذاكراً مسبّحاً، يعمل فيها الجسم متحرّكاً قائماً قاعداً، يعمل فيها القلب خاشعاً، يعمل فيها العقل متأملاً.

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٥٠٢)، عن أبي هريرة.

هذه الصَّلَاة الَّتِي جمعت كلَّ أعمال التعظيم لله **وَعَجَلِك**، ولها شروط ليست عند أيِّ دين من الأديان؛ ألاَّ تقوم للصَّلَاة إلاَّ متطهِّرًا، طاهر الثوب، طاهر البدن، طاهر المكان، طاهرًا من الحدث الأكبر إذا أصابتك جنابة، ومن الحدث الأصغر إذا انتقض وضوؤك، تقوم متطهِّرًا متوضِّئًا، تقف بين يدي الله في هذه الصلاة.

الصَّلَاة في الإسلام ليست كغيرها من الصَّلوات في الأديان.

الزَّكَاة في الإسلام ليست مُجَرَّد صدقة:

الزَّكَاة في الإسلام ليست مجرد صدقة، أو برٍّ وإحسان يمدُّ به الغني يده إلى الفقير، يعطيه لقيمات أو دريهمات.

لا؛ هذه الزكاة فريضة كبيرة عظيمة، حقٌّ معلوم، فرضه الله على عباده في ماله الذي أعطاهم إياه، هم مُستخلفون في مال الله، عليهم أن يُعطوا من مال الله لعباد الله وفي سبيل الله، حقٌّ معلوم المقدار، ومتى يؤدَّى، بحَوْلان الحَوْل، أو عندما يُحصَد الزرع، وعُرف المستحقُّون له، له مصارف معلومة.

ولم يدع الإسلام هذه الفريضة إلى ضمير الفرد فقط، بل جعل على هذه الفريضة حِرَّاسًا ثلاثة:

الضمير المؤمن هو الحارس الأول، فإذا سقم هذا الضمير أو مات، فهناك الضمير الاجتماعي للأمة الَّتِي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتقول لصاحب المال: أدِّ حقَّ الله عليك، أدِّ حقَّ الفقراء والمساكين، حصِّن مالك بالزكاة.

ثمَّ هناك الحارس الثالث وهو الدولة، حارس القرآن وحارس

السلطان، ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٠٣]، «تؤخذ من أغنيائهم فتردُّ على فقرائهم»^(١)، بواسطة جهاز إداري سمّاه القرآن: «العاملين عليها»، مصرف من مصارف الزكاة، يأخذون أجورهم من مالية الزكاة؛ حتّى لا تتعطل هذه الفريضة.

فريضة عظيمة، تحدّثت عن أحكامها وعن فلسفتها وآثارها في الفرد وفي المجتمع في مجلدين كبيرين^(٢).

الزكاة غير الصدقة عند المسيحية أو غيرها.

الصّيام أيضًا، صيام رمضان، هذا الفرض العظيم، ربيع الحياة الإسلاميّة التي تتجدّد فيه العقول بالمعرفة، والقلوب بالإيمان، والحياة بالتواصل، لا أستطيع أن أطيل في الحديث عن الصّيام، ولا عن الحجّ، هذا المؤتمر الربّاني العالمي العظيم، الذي تجتمع فيه الأمة كلّ سنة في موسم الحجّ. العبادات في الإسلام جديدة، غير العبادات التي جاءت بها اليهوديّة، والتي جاءت بها المسيحيّة.

خصائص الأخلاق في الإسلام:

الإسلام جاء بمجموعة من الفضائل الأخلاقيّة أسّسها على فلسفة ربّانية عميقة.

لم تكن الأخلاق في الإسلام كما جاءت في اليهوديّة والمسيحيّة، تحكّمية غير معلّلة، افعل كذا.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٤٩٦)، ومسلم في الإيمان (١٩)، عن ابن عباس.

(٢) فقه الزكاة، طبع عدة طبعات في مكتبة وهبة، ومؤسسة الرسالة.

لا؛ القرآن إذا أمر أمرًا علَّه، يقول: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، ﴿يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]، ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]، أطهر لهم، وأنمى لهم، وأرقى لهم.

يعلل القرآن أوامره الأخلاقية، فهي أخلاق مفهومة، ليست أخلاقاً تحكّمية. وهي أخلاق وسطية متوازنة، تجمع بين الدنيا والآخرة، بين الحق وبين الواجب، بين ما للإنسان وما على الإنسان، لا تريد للإنسان أن يكون راهباً، الإنسان المثالي في المسيحية هو الراهب، الذي يتجرّد عن الحياة، ويعتزل الدنيا، ويعتزل النساء ولا يتزوَّج، ولا يعمل للحياة.

لا، الإنسان المثالي في الإسلام هو الذي يجمع بين الدنيا والآخرة، ﴿رَبَّنَا آئِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٠١].

في يوم الجمعة يسعى المسلم إلى ذكر الله ويذر البيع، وإذا قضيت الصلاة انتشر في الأرض يتبغى من فضل الله، ممكن أن يعمل قبل الصلاة، ويعمل بعد الصلاة.

العمل في الإسلام عبادة، والعمل في الإسلام جهاد، ولذلك الأخلاقية الإسلامية هي الأخلاقية الوسطية، ليس هناك إنسان يظلّ يعبد الله دائماً، يصوم النهار ويقوم الليل.

حينما شكا بعض الصحابة - وكان اسمه حنظلة - أنه يشعر أنه قد نافق؛ لأنه يكون على حال عند رسول الله ﷺ، ويكون على حال آخر

إذا ذهب إلى بيته، وداعب زوجته، ولاعب أولاده، فقال له: «والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة» ثلاث مرّات^(١).

ساعة لقلبك - كما نقول - وساعة لرّبك، لا يُطلب من الإنسان أن يظلّ عابداً، خائفاً باكيًا، قائمًا راکعًا ساجدًا طوال حياته، ساعة وساعة.

هذه هي أخلاق الإسلام، أخلاق وسطية، وأخلاق واقعية، تراعي حالة الإنسان، لا تريد من الإنسان أن يكون ملاكًا مطهّرًا، يمكن للإنسان أن يقع في الخطيئة، ولا عجب أن يقع الإنسان في الخطيئة؛ فأبوه آدم أخطأ، ولكن الله فتح له باب التوبة: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ۖ ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ ۖ فَثَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢].

الله تعالى ذكر الأمة المصطفاة فقال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ۖ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ﴾ [فاطر: ٣٢]، من الأمة من يظلم نفسه، ويقصّر في بعض الواجبات، ويقع في بعض المحرّمات، ولكن هذا لا يُغلق باب التوبة عنه، باب التوبة مفتوح، ﴿قُلْ يٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣].

جاء الإسلام بالتوازن في الأخلاق، اليهودية قالت: السنُّ بالسنِّ، والعين بالعين، والأنف بالأنف. والمسيح قال: من ضربك على خدك الأيمن، فأدر له خدك الأيسر^(٢).

(١) رواه مسلم في التوبة (٢٧٥٠)، عن حنظلة الكاتب.

(٢) إنجيل لوقا (٢٨/٦، ٢٩).

الإسلام يأمر بما أمر به المسيح أمرًا عامًا؛ لأنَّ هذا قد يصلح لمجموعة صغيرة مُنتقاة، لكن لا يصلح أمرًا عالميًا، وتوجيهًا عالميًا لكلِّ البشر، جاء بالعدل، وجاء بالفضل، مرتبة العدل: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، ومرتبة الفضل: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، لك أن تقوم بالعدل، وهو الواجب، ولك أن تقوم بالفضل والإحسان وتعفو، ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [التحل: ١٢٦].

الإسلام صحَّ المفاهيم:

جاء الإسلام بتصحيح المفاهيم التي غلط فيها النَّاس، وغلطت فيها الأديان المحرَّفة، مثل ما جاء في التوراة أن حواء هي التي أوتحت إلى آدم ووسوست له حتى أطاع الشيطان وأكل من الشجرة.

هذا ظلم للمرأة، المرأة لم تفعل هذا، القرآن يقول: إِنَّ آدَمَ هُوَ الَّذِي فَعَلَ هَذَا: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿طه: ١٢١، ١٢٢﴾، والشيطان يقول له: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ [طه: ١٢٠]، الكلام كان مع آدم، ولما أكل من الشجرة أكلت امرأته معه، تحمَّلت المسؤولية معه، ولكن ليست هي التي وسوست له.

جاء الإسلام بتشريعات تقوم على العدل الذي يعطي كلَّ ذي حقَّ حقه، تشريعات في مجال الأسرة، وتشريعات في مجال المجتمع، وتشريعات في مجال الدولة، وتشريعات في مجال العلاقات الإنسانية.

لا أستطيع أن أتحدَّث عن هذه التشريعات ومزاياها، قد ألفت كتبًا في ذلك، ولكن أذكر قضية واحدة، لقد قال البابا على لسان الإمبراطور المزعوم: إِنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَأْتْ بِجَدِيدٍ غَيْرِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الشَّرِيرَةِ وَاللَّإِنْسَانِيَّةِ، مثل أمره بنشر دينه بالسيف.

لا يقاتل إلا من قاتل:

مُحَمَّدٌ ﷺ لم يأمر بنشر دينه بالسيف، مُحَمَّدٌ ﷺ قرأ على الناس قول الله تعالى: ﴿ اَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]، هذا هو منهج الدعوة في القرآن، الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة مع الموافقين، والجدال بالتي هي أحسن مع المخالفين، ﴿ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾، ﴿ وَلَا تُجَدِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وتبعاً لأمر القرآن قبلنا دعوة الحوار مع المسيحيين، وقمنا بحوارات إسلامية مسيحية في روما، وفي برشلونة، وفي القاهرة، وهنا في الدوحة، وفي غيرها من البلاد؛ لأننا مأمورون أن نجادل بالتي هي أحسن.

إنما يقاتل الإسلام من قاتله، يحارب من حاربه، ويسالم من سالمه، هذا ما جاء به القرآن، ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠]، ﴿ فَإِنِ اعْتَرَفْتُمْ فَلَمْ يُقْتَلْكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٩٠]، حتى بعد أن تقع الحرب وتقع الضحايا يقول: ﴿ وَإِنِ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنفال: ٦١]، القرآن يقول: ﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ ﴿ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوا مِنْ دِينِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المتحنة: ٨، ٩].

هذا هو ما جاء به القرآن، أو ما جاء به الإسلام، هذا ما أمر به

مُحَمَّدٌ ﷺ ، يا سيادة البابا.



فكرة الاستئصال عند الغربيين:

أمّا ما أمر به كتابكم المقدّس فأحيل البابا على سفر تثنية التشريع من أسفار التوراة، أحيه على ما جاء في تشريع الجهاد في التوراة التي يؤمن بها اليهود والنصارى جميعًا، أحيه على هذه الأوامر التي جاءت - كما يقولون - من الله لموسى وحيًا مباشرًا، تأمره إذا دخل بلادًا معيّنّة، وانتصر عليهم أن يضرب جميع ذكورهم بحدّ السيف، جميع ذكورهم لم يستثن طفلًا صغيرًا ولا شيخًا كبيرًا، يقتل جميع الذكور.

أمّا بلاد معيّنّة، بلاد الحثيين والأموريين والكنعانيين التي يسمونها: أرض الموعد أو أرض الميعاد، فتقول التوراة لموسى: إنّ الله يقول له: إذا دخلت هذه البلاد فلا تستبق فيها نسمة حيّة. يعني: لا تدعها إلى الإيمان، ولا تقبل منهم جزية، ولا تقبل منهم عوضًا، لا تستبق فيها نسمة حيّة، أي: أبادهم جميعًا، استأصل جذورهم، استأصل شأفتهم.

وأعتقد أنّ هذه الفلسفة التي يؤمن بها كلُّ من يؤمن بالكتاب المقدّس من اليهود والنصارى هي أساس الاستئصال الذي عُرف به الغربيون.

عُرف الغربيون بالاستئصال حينما دخلوا أمريكا وأرادوا أن يستأصلوا الهنود الحمر ولا يبقوا منهم من باقية، ففعلوا فيهم الأفاعيل، وارتكبوا ما لا يقبله دين، ولا يقبله خُلق، ولا يقبله عُرف في إبادة هؤلاء الهنود الحمر.

وكذلك فعلوا حينما دخل البريطانيون أستراليا، فأبادوا سكانها الأصليين، هذا تنفيذ لأحكام التوراة التي يؤمن بها اليهود والنصارى جميعًا، والتي يؤمن بها البابا بالفاتيكان والكرادلة معه.

هذا ما جاء به الإسلام، وهذا ما جاءت به التوراة.



لا نستطيع أن نعدّد ما جاء به محمّد ﷺ من جديد يخالف ما في التوراة، وما في الإنجيل، وما جاءت به اليهوديّة والمسيحيّة، الأمر أوسع من أن نستوعبه في خطبة أو خطبتين أو ثلاثة، ولكن بحسبنا هذا القدر ليعلم من لم يكن يعلم، وليتدكّر من نسي، وليتنبه من غفل، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.





الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

قضايا إسلاميّة مُعلّقة:

قلتُ لكم: إنّ تعليقي ومناقشتي لما جاء في خطاب البابا بتفصيل ستكون - إن شاء الله - في برنامج «الشريعة والحياة» يوم الأحد القادم، ولكنّي أعلّق فقط تعليقا قصيرا على ما يجري في ديارنا العربيّة والإسلاميّة.

لا تزال قضايانا المعلّقة معلّقة، وإن كنّا وجدنا خطوة بحمد الله تعالى - نرحّب بها، ونطلب من الإخوة الفلسطينيين أن يستمسكوا بعروتها، ولا يتخلّوا عنها، تأسيس حكومة الوحدة الفلسطينيّة التي تضمّ «حماس» و«فتح» والفصائل كلّها، هذا هو جبل النّجاة، هذه سفينة الإنقاذ، الوحدة الفلسطينيّة أمام الاستكبار الإسرائيلي، وأمام التعنّت الإسرائيلي، وأمام التأييد الأمريكي المطلق.

نريد من إخوتنا الفلسطينيين أن يستمسكوا بعروة الوحدة، وأن يعتصموا بحبل الله جميعا ولا يتفرّقوا، ليس هذا أو أن يُقال: هذا حمساوي، وهذا فتحاوي، وهذا جهادي، وهذا كذا، وهذا كذا. لماذا هذا الانقسام؟ لماذا لا نتّحد؟ ألسنا كلنا فلسطينيين؟

وكلّنا مبتلى بهذا العدو المبين، الظالم المتغطرس المتجبر، المستكبر في الأرض، الذي يستحلّ الدماء، ويستبيح الحرّمات، الذي يقتل ويدمّر كلّ يوم، فلا اعتصام لنا إلّا بحبل الله، وأن نستعين بالله

تعالى، ونستعين باجتماع كلمتنا وتوحد صفنا، وسيكون الله تبارك وتعالى معنا، ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

لا زلنا - أيها الإخوة - مع كثير من القضايا، ما يجري في العراق من مقاتل ومجازر ومذابح تشيب لهولها الولدان، وتقشعر منها الأبدان، ما يجري بين السنة والشيعة، هذا كله لا ينبغي أن يظل أبداً، كثيراً ما قلت من فوق هذا المنبر، ومن خلال برنامج: «الشريعة والحياة»، ناديت المراجع الشيعية، ناديت آيات الله العظمى في العراق: أن يقفوا موقفًا واضحًا وحاسمًا، أن يقولوا كلمتهم، أن يصدروا فتاواهم، بتحريم قتل الشيعي للشني، كما أفتينا نحن بتحريم قتل الشني للشيعي.

لا يجوز أن تُستباح الدماء الإسلامية، عندنا عدوٌّ مُشترك هو الاحتلال، يجب أن نقف جميعًا في وجه الاحتلال.

وما زالت قضيتنا في الصومال الذي ظلّ يحارب بعضه بعضًا من سنين طويلة، وكلّما قلنا: أوشك هذا البلد أن يتوحد صفه، وأن تجتمع كلمته، وأن يلتقي أبناؤه على كلمة واحدة، ولكن سرعان ما يختلف المختلفون، وسرعان ما يتضارب المتضاربون، ويتقاتل المتقاتلون.

إلى متى يظلّ هذا الشعب المسكين يضرب بعضه رقاب بعض؟

وقد حذر النبي ﷺ أن نفعل أفعال أهل الجاهلية، وقال في حجة الوداع: «لا ترجعوا بعدي كفارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض»^(١).

ضرب البعض رقاب البعض من أعمال الكفر، من أعمال الجاهلية، وليس من أعمال أهل الإسلام.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢١)، ومسلم في الإيمان (٦٥)، عن جرير بن عبد الله.

والمشكل - أيها الإخوة - أنّ المسلمين ليس لهم قيادة تردّهم إلى الصواب، تحكم بينهم إذا اختلفوا، تقوّمهم إذا انحرفوا، تقول لهم: هذا يجوز وهذا لا يجوز.

ليس عندنا قيادة سياسيّة، ولا قيادة فكرية، ولا قيادة دينية، ولذلك أمّتنا ضائعة، أضيع من الأيتام على مآدبة اللئام، كما قال العرب من قديم.

لا اعتصام لأمتنا ولا نجاة لها إلا بالإسلام، تعتصم به وتحتكم إليه، إذا حكّمنا الإسلام في كلّ قضاياها وجدنا فيه الحلول لكلّ مشكلاتنا.

أسأل الله تعالى أن يجمع كلمة هذه الأمة على الهدى، وقلوبها على التّقى، ونفوسها على المحبّة، ونيّاتها على الجهاد في سبيله، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل.

اللهمّ اجعل يوم هذه الأمة خيرًا من أمسها، واجعل غدها خيرًا من يومها، وأحسن عاقبتها في الأمور كلّها.

اللهمّ لا تُهلكنا بما فعل السفهاء منّا، ولا تسلّ علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا.

اللهمّ انصر إخوتنا المجاهدين في سبيلك، في فلسطين، وفي العراق، وفي أفغانستان، وفي كشمير، وفي الشيشان، وفي كلّ مكان.

اللهمّ سدّد رميتهم، وقوّ شوكتهم، وافتح لهم فتحًا مبيّنًا، واهدِهِم صراطًا مستقيمًا، وانصرهم نصرًا عزيزًا.

اللهمّ من كاد للإسلام فكده، ومن مكر بأمة الإسلام فامكر به.

اللهم عليك بأعداء الإسلام، اللهم خذهم ومن ناصرهم أو وادهم
أخذ عزيز مقتدر.

اللهم أنزل عليهم بأسك الذي لا يردُّ عن القوم المجرمين.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رخاء، وسائر بلاد الإسلام.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله
وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



أطهر رجل عرفته البشرية لا رجل دماء ولا رجل نساء^(١)

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

ما تميّز به الشرق والغرب:

بين الشرق والغرب علاقات تسوء حيناً، وتحسن حيناً، علاقات سلّم أحياناً، وحروب أحياناً، هي علاقات دائماً بين جذب وشدّ، وجزر ومدّ، قديماً قال أحد أدباء الغرب: الغرب غرب والشرق شرق ولن يلتقيا^(٢).

ونحن لا نوافق على أنّ الغرب غرب والشرق شرق ولن يلتقيا؛ لأنّنا نؤمن أنّ الغرب والشرق كلاهما جزء من مملكة الله الواسعة، كما قال الله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩]، ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

حاولوا أن يجعلوا لكلّ من الشرق والغرب خصائص تميّزه عن غيره، فقالوا: إنّ الغرب عقلاني، والشرق روحاني. وقالوا: الغرب يوصف بأنّه

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، في ١٥ صفر ١٤٢٩هـ الموافق ٢٢ فبراير ٢٠٠٨م.

(٢) الشاعر البريطاني الهندي روديارد كيبلنغ.

عالم، والشرق يوصف بأنه فنان. وقالوا: الغرب بلد الفلاسفة، والشرق بلد الأنبياء.

وهذه أشياء يمكن الجدال فيها؛ ففي الشرقيين علماء، وفي الغربيين روحانيون، والإنسان هو الإنسان، لم يخلق الله إنسان الغرب على نحو، وإنسان الشرق على نحو آخر، «والنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ»^(١)؛ الجميع خلق من طين الأرض، ومن نفخة الروح الإلهية.

هكذا خلق آدم، ﴿إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٨، ٢٩].

هذه نظرية تنطبق على الجميع، آمن بعض الغربيين أحياناً بأن هناك تفاضلاً في الأجناس، منذ عهد اليونانيين، آمنوا بأن الناس يتفاوتون، وأن منهم من خلق ليقود ويحكم، ومنهم من خلق ليحكم ويُقاد، وأن منهم الفضي والذهبي، وأن منهم.. وأن منهم.. اعتقد الرومان أن الناس إمّا روماناً وإمّا برابرة متوحشين، هكذا اعتقد الغربيون من قديم.

ونحن المسلمين نعتقد أن الإنسان من حيث هو إنسان لا يختلف في جوهره عن الإنسان الآخر، الجينات هي الجينات، والخصائص هي الخصائص، كلنا لآدم، وآدم من تراب، «لا فضلَ في الإسلام لعربيٍّ على عجميٍّ، ولا لأبيضٍ على أسودٍّ، ولا لأسودٍّ على أبيضٍ إلا بالتقوى»^(٢).

(١) رواه أحمد (٨٧٣٦)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الأدب (٥١١٦)، والترمذي في المناقب (٣٩٥٥)، وقال: حديث حسن. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٧٨٧)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٢٣٤٨٩)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٦٢٢): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. عمن سمع خطبة النبي ﷺ.

الغريون آمنوا في وقت من الأوقات بأنّ الجنس الآري فوق الأجناس كلّها، وكان هتلر يعتقد ذلك، ويقيم دولته على أساس الجنس الآري.

وقام موسوليني يقول: سودي يا إيطاليا واحكمي.

قامت هذه النزعات، وهي نزعات غير علميّة، الأجناس كلّها متساوية، تختلف في الثقافة والتربية، وتختلف في البيئته، لكن العناصر الوراثية للجنس البشري واحدة، إنّما تختلف البيئات، يختلف الناس في التربية والتعليم والثقافة، والتقاليد الاجتماعيّة وهكذا.

الشرق أسبق في الحضارة من الغرب:

على كلّ حال قامت حضارات في الشرق وحضارات في الغرب، كانت حضارات الشرق هي السابقة، الحضارة الفينيقية تعلّم الناس منها الكتابة، وهذا أعظم إنجاز بشري، ما كان يمكن أن يتمّ أيّ إنجاز علمي بعد ذلك إلا على أساس الكتابة، ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [العلق: ٤].

قامت الحضارة الفرعونيّة، وقامت الحضارة الهندية، وقامت الحضارة الفارسيّة، وقامت الحضارة الآشورية والبابلية والكلدانية، وقامت الحضارة الصينية، كلّ هذه الحضارات قامت في الشرق، قبل أن تقوم حضارة اليونان، وحضارة الرومان، وقد سادت حضارة اليونان والرومان دهرًا.

كلّ حضارة تؤلّد دهرًا ثمّ يُحكم عليها بالأفول، حسب السنن والقوانين التي ذكرها ابن خلدون في مقدّمته، والشعلة تنتقل من الشرق إلى الغرب، ومن الغرب إلى الشرق.

الحضارات الأولى سادت في الشرق أزمنة وقرونًا طويلة، ثم انتقلت إلى الغرب عن طريق اليونان والرومان، ثم انتقلت إلى الشرق عن طريق الحضارة العربيّة الإسلاميّة، ثمّ عادت إلى الغرب مرّة أخرى، ولكنّ الغرب أفلس رُوحياً وأخلاقياً في حضارته.

هذا الغرب لم يَقم بالأمانة التي وُكِّلت إليه، لم يؤدِّ حقَّ القيادة الحضارية، بل عامل النَّاس بمعايير مزدوجة، يحلُّونه عامًا ويحرِّمونه عامًا، جعل الحقَّ للقوة، وليست القوة للحقّ.

الغرب هكذا أصبح في عصرنا، وأعتقد أنّه لا بدّ بحكم سنن الله أن تنتقل الحضارة إلى أمة أخرى، ونرجو أن نكون هذه الأمة، على أن نُعِدَّ أنفسنا للقيادة، قيادة الحضارات ليست بالكلام، وليست بالشعارات، وليست بالأنساب والأحساب، وإنّما هي علم وعمل، وجهد واجتهاد وجهاد، في كلّ ناحية من النواحي.

الديانات الكبرى شرقية المبعث:

الغرب كان بيننا وبينهم مناوشات وصراعات مختلفة على مرّ التاريخ، بدأت هذه الصراعات منذ جاء محمّد ﷺ، نحن صدّرنا إلى الغرب الديانات، الديانات الكبرى كلّها شرقية، في أرضنا، في شرقنا نبت اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام، نزل جبريل بالتوراة والإنجيل والقرآن، وقام الرسل العظام محمّد وموسى وعيسى عليهم الصّلاة والسّلام، فلم يكن عند الغربيين دين، إنّما أخذوا الدين منّا، من هذا الشرق.

المسيح ابن الشرق، والمسيحيّة بنت الشرق، واليهوديّة بنت الشرق، فلنا الفضل على الغربيين، نحن الذين أمددناهم بالدين، ونحن الذين أمددناهم بالحضارة، الحضارة الغربيّة القائمة.

يقرّر المؤرّخون المنصفون مؤرّخو العلم، جورج سارتون ودرافير وبريفولت وغيرهم: أنّ أصول الحضارة الغربيّة استمدّت كثير منها من العرب والمسلمين، من حضارة المسلمين، جوستاف لوبون في كتابه: «حضارة العرب» قرّر هذا، وجورج سارتون في كتابه: «تاريخ العلم» قرّر هذا، لا ينكر هذا إلاّ مكابر، استفادوا منّا.

لقد حدث بيننا وبينهم صراعات على مرّ التاريخ، جاء الكلّيم موسى في الشرق، وجاء المسيح عيسى في الشرق، وجاء محمّد ﷺ بعدهما في الشرق - أيضًا، كلُّ هؤلاء جاؤوا برسالات سماوية.

ميزة الرسالة المحمّدية:

لكن تميّزت الرسالة المحمّدية عن رسالة موسى وعيسى عليهما السّلام بميزتين، الميزة الأولى: أنّ كلّاً من موسى وعيسى كان رسولاً محليّاً، رسولاً إلى قومه، المسيحيون يزعمون أنّ رسالة المسيح رسالة عالميّة، وهذا ليس بصحيح، المسيح نفسه قال: إنّما بعثتُ لخراف بني إسرائيل الضّالة^(١)، أي: لم أبعث إلاّ إلى هؤلاء، والقرآن يؤكّد هذا، يقول الله تعالى عن عيسى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩].

١ - عالميّة رسالة الإسلام:

أمّا محمّد ﷺ، فهو النّبي الوحيد الذي أعلن من أول يوم أنّه رسول الله إلى النّاس كافّة، حينما جمع عشيرته الأقربين من بني هاشم وبني عبد مناف، بيّن لهم أنّه رسول الله إليهم خاصّة، وإلى النّاس كافّة،

(١) إنجيل متّى (٢٤/١٥).

والقرآن المكي أعلن عالمية هذه الرسالة، حيث يخاطب الله رسوله ﷺ فيقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وفي سورة الفرقان المكية يقول: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وفي سورة الأعراف وهي مكية - أيضا - يقول: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وفي سورة (ص) وهي مكية: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [ص: ٨٧].

وتكرّر في عدّة سور الإعلان بأنّ القرآن رسالة للعالم كلّ، رسالة للعالمين، بل للجنّ والإنس.

وهكذا أعلن محمّد ﷺ دعوة جديدة لم يعلنها نبيّ قبله، كلّ الأنبياء أعلنوا أنّهم أرسلوا إلى أقوامهم، إلاّ محمّد ﷺ، وكما قال ﷺ في خصائصه: «وكان النبيّ يُبعثُ إلى قومه خاصّة وبعثتُ إلى الناس عامّة»^(١).

٢ - الأنبياء بشّروا بالنبيّ الخاتم محمّد:

وأما الميزة الثانية لرسالة محمّد ﷺ: أن كلّ نبيّ قبل محمّد ﷺ كان يبشّر بنبيّ بعده، موسى بشّر بنبيّ بعده، وهذا مذكور في التوراة، والمسيح بشّر بنبيّ بعده، وهذا مذكور في الأناجيل، إلاّ محمّداً ﷺ، فهو النبيّ الوحيد الذي أعلن أنّ الله ختم النبوات بنبوته، قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقال النبيّ ﷺ: «وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد»^(٢).

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التيمم (٣٣٥)، ومسلم في المساجد (٥٢١)، عن جابر بن عبد الله.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٥٣٢)، ومسلم في الفضائل (٢٣٥٤)، عن جبير بن مطعم.

ولذلك بشر به المسيح: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، فمحمد ﷺ الرسول الوحيد الذي أعلن خاتمة النبوة والرسالة، وأنه لا نبي بعده.

وذلك أن البشرية كانت قد بلغت طورًا من النضج والاستواء والرقي بحيث يمكن أن تنزل عليها الرسالة العامة العالمية الخالدة، قبل ذلك ما كانت البشرية بلغت هذا الطور، فلذلك جاء محمد بهذه الرسالة التي امتدت طولًا حتى شملت آباد الزمن، وامتدت عرضًا حتى انتظمت آفاق الأمم، وامتدت عمقًا حتى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة^(١)، وصدق الله العظيم الذي قال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [التحل: ٨٩].

كان محمد ﷺ خاتم النبيين، صاحب الرسالة العالمية، وصاحب الرسالة الخالدة، جاء برسالته فقاومه من قاوم، لم تكن رسالة محمد ﷺ بالأمر السهل حتى على قومه وأقرب الناس إليه، الذين وصفوه بأنه الأمين، وأنه الصادق، وأنه كذا...

قاوموا هذه الرسالة، حتى كتب الله له النصر، كتب الله له النصر على المشركين في جزيرة العرب، وكتب الله له النصر على اليهود الذين عاهدتهم ونقضوا عهده، وعلى المجوس الذين كانوا يعبدون النار، ويقولون بالهين: إله للنور والخير، وإله للشر والظلمة.

وانتصر خلفاؤه من بعده على الروم - أيضًا، انتصروا على دولة

(١) من كلمات الشهيد حسن البنا في مقال من وحي حراء، جريدة الإخوان المسلمون اليومية ص١، السنة الأولى، العدد (١٦٨)، بتاريخ ٢٧ ذي الحجة ١٣٦٥هـ - ٢١ نوفمبر ١٩٤٦م.

الروم، وأصبح الإسلام سيّد العالم، اصطدم الإسلام بالروم الذين كانوا يمثلون الغرب في ذلك الوقت، كانت دولة الروم تمثل الكتلة الغربيّة، ودولة الفرس تمثل الكتلة الشرقيّة.

الحمالات الصليبيّة تنقضُّ على بلاد الإسلام:

انتصر الإسلام على الفريقين، ولكن بعد قرون من الزمن حينما ضعف المسلمون وتفترقوا، فكّر الغربيون أن يثاروا لأنفسهم من الإسلام، الذي ابتلع بلاد المسيحيّة، ودخلت كلّها في الإسلام، بلاد الشام، مصر، شمال إفريقيا، كلّ هذه كانت نصرانيّة، ودخلت في الإسلام، وتبنّت الإسلام، ودافعت عن الإسلام، وأصبحت تحمل الرسالة الإسلاميّة فكرة في رؤوسها، عقيدة في قلوبها، أخلاقاً توجّه حياتها، لم ينس الغرب هذه القضية، فبدأ يؤلّب على المسلمين.

بدأ يعدُّ للهجوم على الشرق، فيما عُرف عند مؤرّخي المسلمين بـ«حروب الفرنجة»، وعُرف عند مؤرّخي أوربا بـ«الحروب الصليبيّة».

تسع حملات صليبيّة انطلقت من أوربا، لا يدفعها إلاّ الحقد على الإسلام والمسلمين، كثير منهم لم يكونوا مُتديّنين، كانوا مرتزقة، حتّى إنهم هاجموا إخوانهم من المسيحيّين وهم في الطريق، ونهبوا أموالهم، وسفكوا دماءهم.

الحمالات الصليبيّة تعني: الحقد الأسود على المسلمين.

وهذه الصليبيّة دفعتهم إلى أن يحملوا الصليب شعاراً، ويأتوا تحت دعوى: إنقاذ قبر المسيح.

ومن الذي اعتدى على قبر المسيح؟



لقد ظلَّ ما سُمِّي بقبر المسيح - وإن كان المسلمون يعتقدون أنَّ المسيح لم يُقتل - وظلَّت كنيسة القيامة، وظلَّت كنائس النَّصارى في بلاد المسلمين محمية من المسلمين أنفسهم.

جاء هؤلاء وكانت الحروب التي انتصروا فيها في أول الأمر، وأقاموا ممالك وإمارات في أرض فلسطين، وفي سواحل الشام، مستغلِّين الضعف والتفرُّق والتخاذل الذي كان بين أمراء المسلمين، وظلُّوا نحو مائتي عام.

حتى هيأَ الله لهم رجالاً دافعوا عن هذا الدين، لم يكونوا من جنس العرب؛ كانوا من الأتراك والأكراد والشراكسة وغيرهم؛ عماد الدين زنكي، وابنه نور الدين محمود الشهيد، الذي كان يُشبَّه بالخلفاء الراشدين، وتلميذه صلاح الدين الأيوبي، وخلفاء صلاح الدين، والظاهر بيبرس، وغيرهم من رجال المماليك، هم الذين دافعوا عن الأرض الإسلاميَّة حتَّى حرَّروها، وعاد الصليبيون مدحورين إلى أوروبا.

ولكنهم فكَّروا في تغيير الخطَّة بطريقة أخرى غير طريقة الغزو المباشر، ومحاولة احتلال الأرض إلى آخره.

وكان عصر الاستعمار، الذي دخلت فيه بلاد الإسلام تحت نيران الاستعمار، وتحت سطوة الاستعمار البريطاني والفرنسي والإسباني والهولندي والإيطالي، وغير هذه الدول، حتَّى إنَّ هولندا، وكان عددها خمسة ملايين احتلَّت إندونيسيا، وكان عددها في ذلك الوقت خمسين مليوناً، يعني: عشرة أضعافها، أكبر بلد إسلامي في عصرنا هذا.

الاستعمار دخل بلاد المسلمين، إلاً بلدًا واحدة، وهي: المملكة العربيَّة السعوديَّة.

وكلُّ بلاد المسلمين احتلَّها الاستعمار الغربي، ولكن ديار الإسلام لم تستسلم، الإسلام يحرم عليها الاستسلام، الإسلام يغرس في نفوسها المقاومة، الإسلام يفرض عليها الجهاد لمقاومة المحتلِّ، الجهاد في ذلك الوقت يُعتبر فرض عين على الأمة، ولذلك قاوم المسلمون في كلِّ مكان، وكما اعترف المؤرِّخون الغربيُّون أنفسهم أنَّ الذي قاد حركات التحرير في البلاد الإسلاميَّة كلها الحركات الدينيَّة والإسلاميَّة، وزعماء الدين كانوا في المقدِّمة، وهم الذين حرَّضوا الشعوب على المقاومة، على التحرُّر من نير الاستعمار.

واستقلَّت البلاد الإسلاميَّة، وكنا نعيش مع الغرب ندًّا لندًّا، وقد أصبحنا أحرارًا في ديارنا، دعا من دعا إلى الحوار، فمددنا أيدينا بالحوار، وحاورنا النَّصارى في بلاد شتَّى، في بلاد الغرب، في روما، في باريس، في لندن، في برشلونة، في عدد من البلاد حاورناهم، وحاورناهم في بلاد الشرق، وقلنا: إننا - نحن المسلمين - مأمورون بالحوار، لا خيار لنا في الحوار، إنَّه جزء من برنامج الدعوة، ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، أي: ادعُ المسلمين بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادل غير المسلمين بالتي هي أحسن؛ بأحسن الطرق، وأرقِّ الأساليب، وهكذا كنا معهم.

الصحف الدانمركية تستفزُّ المسلمين:

ولكن لا ندري ماذا يُضمّر الغرب لنا، الغربيُّون - للأسف - لا يُضمرون لنا خيرًا، فتحنا لهم صدورنا، وفتحنا لهم أذرعنا، وبسطنا إليهم أيدينا، ولكن لم يقابلونا بالمثل، ورأينا الإساءات إلى الإسلام تتوالى، حتَّى الرأس الأكبر في المسيحيَّة، البابا أعظم رجل في

المسيحية، تطاول على الإسلام، وتطاول على شريعة الإسلام، وتطاول على نبي الإسلام، مما ذكرناه في خطب سابقة، فلا عجب أن يتطاول الآخرون.

إذا تطاول الكبار، فلا بد أن يجرّئوا الصغار، ومن هؤلاء الذين تجرّؤوا على حُرّمات الإسلام، وعلى أمة الإسلام، وعلى نبي الإسلام: جماعة الدانمارك، الذين تحدّثنا عنهم منذ سنتين أو ثلاثة، الذين نشروا الرسوم الكاريكاتورية المسيئة إلى محمّد ﷺ، وهي رسوم في غاية البذاءة، يقولون: إنّها فنٌّ وإبداع.

أيُّ فنٌّ هذا؟ وأيُّ إبداع في أن يتسلّط بعض الشُفهاء على بعض الفضلاء فيسيء إليه؟ هل هذا فنٌّ؟ هل هذا إبداع؟ هل هذه حُرّيّة؟ هكذا يزعمون.

وقد دعونا في ذلك الوقت إلى الوقوف في وجه هذه الحملة المسعورة ضدّ سيّد الخلق، وصفوة الرسل، وأعظم إنسان في الوجود محمّد ﷺ.

ثمّ - للأسف - أعادت الكرّة، أعادت الدانمارك، هذا البلد الأوربي الصغير، أعادت نشر الصور المسيئة في سبع عشرة صحيفة، وليس في صحيفة واحدة، كأنّما هذا البلد يتحدّى هذه الأمة، كأنّما يستفزُّ المسلمين في أنحاء العالم، كأننا - نحن المسلمين - قوم لا وزن لنا. هذا شيء عجيب جدًّا.

ما المقصود من هذا؟ ما الهدف من نشر هذه الصور؟ ما الفائدة من ورائها؟ إلّا الحقد الأسود.

هؤلاء النَّاس - للأسف - يجهلون الإسلام، ويجهلون محمدًا ﷺ، لم يدرسوا سيرته، ولم يدرسوا رسالته، ولم يدرسوا مواقفه، ولم يدرسوا أثره في الحياة، لم يدرسوا ولم يعرفوا ماذا ترك محمد ﷺ من بعده، لم يترك نبي ما ترك محمد ﷺ من بعده، ولا يزال أثره إلى اليوم في الأرض باعتراف الفلاسفة والكتّاب الأوربيين أنفسهم.

ماذا نفع مع هؤلاء؟

إننا لا نريد أن يستثيرونا فئثار كما يحبون، لا بد أن نفكر في مقاومة هذا البلاء، وأول ما ينبغي أن نفكر فيه هو: الرد العلمي، أن نرد على هؤلاء ردًا علميًا.

محمد ليس رجل دماء:

ماذا تقول الصور الدانماركية المسيئة والمسيئة؟

إنها تصوّر محمدًا ﷺ أنه رجل دماء، وأنه رجل نساء، فهل هذا صحيح من سيرة محمد ﷺ؟ هل هو رجل دماء؟

لا والله؛ إنه وقف ضدّ من حاربوه، صبر كثيرًا على من حاربوه وأذوه هو وأصحابه، ثلاثة عشر عامًا في مكة، ثم أذن الله له أن يدافع عن نفسه، ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩]، وغزى في عقر داره مرتين، في أحد، وفي الخندق، وحتى غزوة بدر كانت نوعًا من الغزو القريب من المدينة، ومع هذا كان ﷺ يسالم من سالمه، ويحارب من حاربه، ويهادن من هادنه.

هذه سيرته ﷺ، وإذا انتهت المعركة بغير قتال ولا دماء عقب القرآن

عليها بمثل ما قال في غزوة الأحزاب: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمِنَ الْوَأْخِرِ خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ [الأحزاب: ٢٥]، هل هناك متعطش للدماء يقول: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾؟

في غزوة الحديبية حينما انتهت بالصلح نزلت سورة الفتح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١]، وسأل بعض الصحابة النبي ﷺ: يا رسول الله أفتح هو؟ قال: «نعم، والذي نفس محمد بيده إنه لفتح»^(١).

لم يتصوروا أن يكون فتحٌ بغير حرب.

لا، هناك فتح سلمي، ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾.

كانت أكره الكلمات إلى النبي ﷺ: كلمة «حرب»، فقال عن الأسماء: «أقبحها حربٌ ومرة»^(٢).

وكان يقول لأصحابه: «لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية»^(٣).

ويقول ﷺ: «دعوا الحبشة ما ودعوكم، واتركوا الشرك ما تركوكم»^(٤)، أي: لا تبدؤوهم بقتال.

المسلمون هم دائماً الضحية، هم الذين يقاومون العدوان:

(١) رواه أحمد (١٥٤٧٠)، وقال مخرجه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الجهاد (٢٧٣٦)، والحاكم

في قسم الفياء (١٣١/٢)، وصححه، ووافقه الذهبي، عن مجمع بن جارية الأنصاري.

(٢) رواه أحمد (١٩٠٣٢)، وقال مخرجه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الأدب (٤٩٥٠)، وصححه

الألباني في الصحيحة (١٠٤٠)، عن أبي وهب الجشمي.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩٦٥، ٢٩٦٦)، ومسلم (١٧٤٢)، كلاهما في الجهاد والسير، عن

عبد الله بن أبي أوفى.

(٤) رواه أبو داود في الملاحم (٤٣٠٢)، والنسائي في الجهاد (٣١٧٦)، وحسنه الألباني في صحيح

الجامع (٣٣٨٤)، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

﴿ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠]، ﴿ فَإِنْ أَعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٩٠]، ﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المتحنة: ٨]، ما داموا لم يقاتلونا في الدين، ولم يخرجونا من ديارنا، نبرُّهم ونُقسط إليهم، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾.

محمد ليس رجل نساء:

ليس محمد رجل دماء، وليس محمد رجل نساء؛ لقد عاش محمد شبابه أظهر ما يكون الشباب، يرعى الغنم، ويضارب لبعض الناس في تجارتهم، لم يُعرف عنه يوماً أنه اشترك في لهو، أو ذهب إلى حانة من الحانات، أو غازل امرأة.

وكان هذا في الجاهلية التي لا يعاب أحد على ما فعل فيها، لكن لم يُؤثر عنه، ولو فعل ذلك لأخذها خصومه وطاروا بها طيراً، وقالوا: أَلستَ الَّذِي فعلتَ كذا وكذا!!؟

لم يقل أحد عنه شيئاً، شاب في غاية الاستقامة والنقاء والطهارة، ولما أراد أن يتزوج وهو في سن الخامسة والعشرين تزوج امرأة ثيباً، تزوجت قبله، وأنجبت ممن تزوج منها، وكانت تكبره بخمسة عشر عاماً كما تقول السيرة، هل هو رجل نساء ورجل شهوة ورجل غريزة حينما يتزوج بمثل هذه المرأة؟ وعاش محمد ﷺ مع هذه المرأة أسعد ما يكون الأزواج، لم يشك مرة منها، وبعد وفاتها تزوج بغيرها، وقد تجاوز الخمسين من العمر، زيجات كلها لا اعتبارات معينة، من يتأمل ويدرس هذه الزيجات كلها يجد كل واحدة وراءها حكمة من الحكم.

ولو كان مُحَمَّدٌ ﷺ رجلَ شهوةٍ لاستجاب إلى نساءه حين طالبه بزيادة النفقة.

كان هؤلاء النسوة يعشن على الكفاف، لا زينة ولا ثياب ولا حلي ولا مآكل شهية ولا مشارب شهية ولا شيء من هذا، فلما طالبه بهذا نزلت آية التخيير: ﴿يَتَأْتِيَهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لَلزَّوْجِ كَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَأَنَّ لَيْسَ أُمَّتِكُمْ وَأَسْرَحَكُمْ سَرَّاحًا جَمِيلًا * وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨، ٢٩]، فكلهن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة.

أهذا نبيُّ شهوات؟ أهذا نبيُّ نساء؟

وسائل للدفاع عمليّة عن النبي ﷺ:

هؤلاء قوم كذابون، علينا أن نردّ على هؤلاء ردًا علميًا، بلغات مختلفة، ويجنّد لذلك أهل العلم من المسلمين.

١ - الردّ السياسي القوي:

وأن نردّ كذلك ردًا سياسيًا، لا بدّ من الردّ السياسي، أن تقف الدول الإسلاميّة كلّها خصوصًا الدول الكبرى موقف الرجولة؛ للدفاع عن نبيّهم مُحَمَّدٌ ﷺ، أيساء إلى نبيّنا ونغضي العين على القذى! والطرف على الأذى؟! هذا لا يجوز، يمكن للإنسان أن يغضي في حقّ نفسه، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

أمّا في حقّ دينه ورسوله وأُمَّته، فليس من حقّ أحدٍ أن يقول: سامحتُ.

لا نسامح في حقّ ليس في أيدينا، شتم الرسول كبيرة عظيمة، ألفت فيها الكتب، ككتاب شيخ الإسلام ابن تيمية: «الصارم المسلول على شاتم الرسول».

أئمة كبار قالوا: ليس لشاتم الرسول من توبة^(١).

تشدد المسلمون في شتم رسول الله ﷺ، فكيف يسكت سياسيون؛ وزراء الخارجية، القادة، الرؤساء، الزعماء، الملوك، الأمراء؟

كلُّ هؤلاء يجب أن يحتجوا؛ حتى يعلم الناس أن محمداً ﷺ ليس هيئنا على قومه.

من المعروف أن المسلمين من أشدّ الأمم حباً لنبيهم، منذ عهد الصحابة إلى اليوم، حبُّ رسول الله ﷺ مستقرٌّ في قلب كلِّ مسلم ومسلمة، كلُّ واحد يفدي رسول الله ﷺ بأبيه وأمّه، بأبي أنت وأمي يا رسول الله.

هكذا ينبغي أن يكون هناك موقف سياسي يحتجُّ على هذه الأشياء، وأظنُّ أن أربعاً وخمسين دولة تتكوّن منها منظمة المؤتمر الإسلامي تحتجُّ بالفعل، وكذلك على المنظّمة نفسها، وعلى جامعة الدول العربيّة، وعلى المؤسّسات الكبرى، وعلى الأفراد أنفسهم أن يقوموا بدور في هذا الأمر.

وهناك - أيضاً - ردُّ شعبي، الردُّ الشعبي ليس ضرورياً أن يكون بالمظاهرة، بعض الإخوة في الجزائر جمع توقيعات ما يقرب من

(١) الصارم المسلول ص ٣ وما بعدها، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر الحرس الوطني السعودي.

مليونني شخص يحتج على إحدى الشركات التي نشرت شيئاً يُسيء إلى النبي، ولما احتج بعض الناس على الشركة طالبتهم بمليونني توقيع لتحذف هذه الإساءات، وجمع الرجل حوالي مليون ونصف مليون، ويجتهد ليكمل المليونين.

فنحن الأفراد والشعوب علينا - أيضاً - واجب.

٢ - أعمال درامية توضّح عظمة الرسالة:

هناك - أيضاً - ردّ فني إعلامي، غير الردّ بالعلم والكتب وهذه الوسائل.

أيضاً نردّ عن طريق الأعمال الدرامية، الأفلام والمسلسلات التي تخاطب عقول العالم، وعواطف العالم، وأصبحت هي أداة العصر.

أظنّ أنّ كثيرين شاهدوا فيلم: «الرسالة»، الذي أخرجه المخرج السوري المعروف الأستاذ «مصطفى العقاد» رَحِمَهُ اللهُ، فيلم «الرسالة» بالإنجليزية والعربية، أنا لم أراه حقيقة، ولكن كثيرين ممن رأه تأثّر به، وبكوا عند بعض المواقف، وقالوا: إنهم رأوا بعض الغربيين تأثروا به، فعلياً أن نقيم مثل هذه الأعمال.

الردّ الفني، الردّ الإعلامي.

نحن في موقع «إسلام أون لاين» هيئتنا برنامجاً سمّيناه: «رحمة للعالمين»، باللغة الإنجليزية، والرحمة للعالمين هو محمّد ﷺ، وهذا البرنامج مستمرّ، ونرجو أن يزداد قوّة، ويزداد روعة، وأن ينضمّ إلى الإنجليزية لغات أخرى، ما زال وراءنا نحن المسلمين شوط كبير.

٣ - مقاطعة البضائع الدانماركية:

أيضاً عندنا الرُدُّ الاقتصادي، وهو ما نادينا به من قديم، المقاطعة للبضائع الدانماركية، وهذا أمر يُوجع القوم.

وللأسف المسلمون يبدوون بقوة هذه الخطوات، ثم يتراخون ويتهاونون شيئاً فشيئاً، يضعف القوي، ويفتر المتحمّس، والواجب أن نستمرّ في هذا.

إنَّ مُحَمَّدًا ﷺ ليس هيئنا علينا، لا بدّ أن ندافع عنه، كيف أشترى بضاعة قوم يهينون النبي ﷺ؟ كيف أربحهم وأبدل إليهم مالي؟

أستطيع أن أستغني عن هذه البضائع ببضائع أخرى من الغرب أو من الشرق.

هذا بعض ما يجب على الأمة في هذه القضية، نحن لسنا ظالمين، بل نحن المظلومون، نحن المتعدّي علينا، نحن الجدار المائل، نحن الذين أصبحنا نُهان من كلِّ مكان، من يمين ومن شمال، أصبح يغلبنا المُغلوبون، ويتجرأ علينا الجبناء، ويتعزّز علينا الأذلاء، هكذا أصبحنا.

ولكن لا، ليست هذه أمّتنا.

أمّتنا أمة عزيزة، أمة قوية، أمة الخلود، أمة الرسالة العالمية، أمة الرسالة الخاتمة، أمة القرآن، أمة محمد ﷺ، لا يمكن أن تذلل هذه الأمة، ولا أن تهون، ولا أن تفرط في حرّماتها، ولا في حقوقها، ولا في حقّ نبيها ﷺ.

هذا هو الواجب علينا - أيّها الإخوة - نحو هذه القضية، التي أسأل الله تبارك وتعالى أن يلهمنا فيها الصواب، وأن ينير بصائرنا، وأن



يجعل يوم هذه الأمة خيرًا من أمسها، وغدها خيرًا من يومها، إنّه
سميع قريب.

وصلّى الله على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه وسلّم.

ادعوا الله تعالى يستجب لكم.

* * *



الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

تحية لكبير أساقفة الكنيسة الإنجليكانية:

أودُّ أن أوجّه من فوق هذا المنبر تحيةً إلى كبير أساقفة الكنيسة الإنجليكانية في لندن، الذي أنصف المسلمين في بريطانيا، وقال: إنَّ من حقّهم أن يكون لهم حكم بشريعتهم، في حدود شؤون الأسرة، وفقه الأحوال الشخصية وغير ذلك.

وهذه كلمة حقّ، وكلمة إنصاف، ولكن ألسنة السوء المقاومة لكلِّ ما هو حقّ هاجت عليه، وثارت عليه، وأذاعت الأباطيل من حوله، والرجل لم يقلّ إلاّ حقًا.

نحن نحياه من فوق هذا المنبر، كما حيّته من منبر «الشريعة والحياة».

ونرى أنّه وقف موقفًا يجب أن يؤيّد، ومن صالح البريطانيين أن يُحكم المسلمون في هذا الجانب بشريعتهم، ما يضرُّ البريطاني أن يتزوَّج المسلم على الطريقة الإسلاميّة؟ ويُطلّق على الطريقة الإسلاميّة، ويوصي ويرث ويورث على الطريقة الإسلاميّة؟ ما الذي يضرُّهم من هذا؟

المسلمون فعلوا هذا في حضارتهم، وتركوا الأقليات المختلفة تتعامل بشرائعها الدينيّة الخاصّة، وقال الصّحابة: اتركوهم وما يدينون^(١).

(١) ذكره ابن الهمام في فتح القدير (٣/٣٨٦)، نشر دار الفكر، بيروت.



رفع حظر الحجاب في تركيا:

كما أوجّه تحية أخرى إلى إخواننا في تركيا، إلى البرلمان التركي، الذي رفع قانون حظر الحجاب على المرأة المسلمة في تركيا.
حظر الحجاب.

المفروض أنّ الحجاب واجب، على البلاد الإسلامية أن تصدر قوانين تُلزم المسلمة بالحجاب، فإن لم تفعل هذا فتسكت عن هذا الأمر، تترك النساء مختارات يخترن ما يشأن، من تلبس حجابًا تلبس حجابًا، ومن تلبس نقابًا تلبس نقابًا، ومن تلبس (ميني جيب)، ومن تلبس ما تلبس، تترك الحرية للجميع، أمّا أن يصدر قانون يجعل الحجاب محظورًا، حرامًا، ممنوعًا، فلا يجوز للمحجّبة أن تدخل مدرسة أو جامعة أو مستشفى، ولا يجوز لها أن تعمل في وظيفة، أو تلتحق بعمل، هذا أمر عجب.

ولذلك كان رفع هذا الحظر، وترك النساء حرائر فيما يفعلن، هذا هو أقلُّ ما ينبغي، وللأسف العلمانيون ثاروا على هذا، وقالوا: إذا دخلن الجامعة فلن ندخلها.

أيُّ دكتاتورية وأيُّ استبداد هذا؟

تمنع غيرك حقّه في التعلّم! هذا شيء عجيب.

وقفه تضامن مع القرضاوي:

وتحية أخيرة إلى الإخوة الذين وقفوا وقفه التضامن من أجل العبد الفقير، حيث وقفت الدولة العظمى بريطانيا موقفًا منعت فيه دخولي بريطانيا، وأنا أحبُّ أن أقول للإخوة: إنّ دخولي بريطانيا لا يزيدني، ولو عشتُ طوال عمري ما دخلتُ بريطانيا ما نقصت شيئًا.

ولكن هو حقّ، نحن ندافع عن الحقوق، وندافع عن المبادئ، عن حقّ الإنسان في عصر العولمة التي ألغيت فيه الحدود، وأصبح العالم قرية واحدة في هذا الزمن، كيف يمنع بعض الناس ولغير سبب، لا سبب لهؤلاء، من ثلاثين سنة وأنا أدخل بريطانيا، ماذا فعلتُ؟

بالعكس الجاليات الإسلامية تطلبني دائماً، وأنا دائماً أحثها على الاعتدال، وعلى الوسطية، وعلى التوازن، وعلى ترك العنف، وعلى إدانة الإرهاب.

هذا ما أنادي به، أنادي بالحرية والحوار، والتسامح مع المخالفين.

ولذلك أنا أشكر كل من وقف معي، وجزاهم الله خيراً، وأعتبر هذا دفاعاً ليس عن يوسف القرضاوي، ولكنّه دفاع عن حقّ الإنسان، أيّ إنسان، ووقوفاً في وجه التجبر والظلم الذي يستطيع الإنسان فيه أن يمنع من يمنع بغير حقّ، وبغير مبرر.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجمع كلمة أمّتنا على الهدى، وقلوبها على التقى، ونفوسها على المحبّة، ونيّاتها على الجهاد في سبيل الله، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل.

اللهمّ اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام هي السفلى.

اللهمّ حبّب إلينا الإيمان، وزينّه في قلوبنا، وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين فضلاً منك ونعمة.

اللهمّ عليك بأعدائك أعداء الإسلام حيثما كانوا، اللهمّ خذهم ومن ناصرهم أخذ عزيز مقتدر، اللهمّ أنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين.

اللهم خذ بأيدي إخواننا المجاهدين في فلسطين، والمجاهدين في العراق، والمجاهدين في أفغانستان، والمجاهدين في كل مكان من أرض الإسلام.

اللهم شدّ أزرهم، اللهم افتح لهم فتحًا مبيّنًا، واهدهم صراطًا مستقيمًا، وانصرهم نصرًا عزيزًا، وأتمّ عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك.

اللهم اجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا، سحاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].





نحن أمة مسالمة والغرب يحاول استفزازنا^(١)

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

أمّتنا أمة السّلام:

لا زلنا مع الغرب في جذب وشدّ، وأخذٍ وردّ، وما كنّا نحب أن نشغل أنفسنا بهذا الأمر، ولكن الغرب هو الذي بدأ بالإساءة إلينا.

الغرب هو الذي بدأ بإعادة نشر الرسوم المسيئة إلى نبينا محمّد ﷺ.

كنّا نسينا هذا الأمر، وكنّا نحاول أن نبدأ صفحة جديدة، فنحن مشغولون بأنفسنا، مشغولون بإصلاح أنفسنا، ومشغولون بهداية العالم من حولنا، من سالمنا سالمناه، من سار نحونا شبرًا سرنا نحوه ذراعًا، ومن مدّ إلينا يده ذراعًا مددناها إليه باعًا، نحن لسنا هواة صدام ولا صراع.

نحن أمة السّلام، من أسماء الله تعالى: «السّلام»، ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ

السَّلَامُ﴾ [الحشر: ٢٤].

(١) أُلقيت بتاريخ ٢٢ صفر ١٤٢٩هـ الموافق ٢٩ فبراير ٢٠٠٨م.

الأمة التي فيها: «عبد السلام»، من الأسماء الشهيرة: «عبد السلام»،
أي: عبد الله وَعَبْدُ اللَّهِ.

نحن أمة مسالمة، ولكن الغرب هو الذي يناوشنا باستمرار؛ لأنه
يملك القوة، ولسنا في موقف مكافئ للغرب في قوته، عندنا القوة
الروحية التي آتانا الله إياها، عندنا قوة روحية بالقرآن العظيم، كتاب
الخلود، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢].

هذا الكتاب الذي تحفظه أممتنا، يحفظه صغارها وكبارها، ويحفظه
رجالها ونساؤها، يحفظه صبيانها وبناتها، عشرات الألوف ومئات الألوف
يحفظون هذا القرآن، لا تجد هذا في أمة من الأمم، ولا تجد هذا في
كتاب من الكتب، لا تجد كتاباً دينياً أو دنيوياً يحفظه مئات الألوف كما
يحفظ المسلمون القرآن، نحن عندنا كتابنا، وعندنا رسالتنا، ولكن
الغرب دائماً هو من يبدأ بعداوتنا.

هذا الأسبوع وجدنا هناك آخرين يحاولون أن يناوشوا الإسلام، غير
ما جرى في «الدانمارك»، وجدنا وزير الداخلية الألماني يقول كلاماً عن
هذه الصور وإعادة نشرها، لم أتبين ماذا يريد بعد، ماذا يريد من إعادة
نشر هذه الصور؟

وجدنا نائباً عضواً في البرلمان الهولندي هو رئيس حزب وله تسعة
نواب في البرلمان، يتحدث في محاضرة يهاجم فيها القرآن، ويقول: إنه
يُعدُّ فيلماً يفضح فيه ما في القرآن من تحريض على القتل، وتحريض
على العنف، وتحريض على الكراهية.

هكذا يقول.

قدس الأقداس عند المسلمين:

نحن عندنا قدس الأقداس، و قدس الأقداس يتمثل - أولاً - في محمد ﷺ، الذي أرسله الله ﴿بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣]، أرسله ﴿شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ * وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴿ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

هذا هو القدس الأول.

وقدس الأقداس الثاني: هو القرآن الكريم، فتحوا النار على محمد ﷺ، واليوم يفتحون النار على القرآن الكريم.

يطالب هذا النائب - أو رئيس الحزب هذا - أن يُمنع تداول القرآن في هولندا وفي أوروبا كلها؛ لأنّ هذا كتاب فاشي، كما مُنع كتاب «كفاحي» لهتلر بعد الحرب العالمية الثانية.

يجب أن يُمنع القرآن؛ لأنّه كتاب فاشستي، يدعو إلى العنف وإلى كراهية الآخرين.

وهذا - والله - كذب مُفتري، وقول كُله اختلاق، لا يقوله إلا جاهل، أو مكابر معاند.

القرآن يدعو إلى المحبة ويحارب البغضاء والكراهية:

ليدلني هذا النائب المتعصب المغلق، الذي لا يرى الحقيقة، وهي واضحة كالشمس، ليدلني على الآيات التي تحض على الكراهية، أو التي تحض على العنف، أو التي تحرض على القتل.

نحن نقرأ القرآن، نتعبّد بتلاوته، ولا يوجد في العالم أمة تتعبّد بتلاوة كتابها، وتتلوه آناء الليل وأطراف النهار كالأمة الإسلامية.

نحن في شهر رمضان نقرأ القرآن كله ويسمعه الناس، وهو يُسمع في الإذاعات صباحًا ومساءً، ولا يوجد مسلم إلا وعنده مصحف يتلوه ويتعبّد لله بتلاوته، أين الآيات التي تحرّض على العداوة والبغضاء والكرهية، وتدعو إلى كراهية الآخرين؟

بالعكس نحن نجد الآيات التي تدعو إلى المحبّة، وإلى العفو، وإلى الصّفح، وإلى أن يعيش الناس كلهم بشعور الأخوة، بشعور البنوة لآدم والعبودية لله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، ﴿لِتَعَارَفُوا﴾، أي: ليعرف بعضكم بعضًا، ليتفاهم بعضكم مع بعض، ليتقارب بعضكم مع بعض، لا لتتناكروا، ولا لتتحاربوا، ولا لتتعادوا.

هذا ما يدعو إليه القرآن.

القرآن يحارب البغضاء والكرهية والعداوة، حتّى إنه حين حرّم الخمر لم يعلّل تحريمها بأنها تذهب بالعقل، أو تدمّر الجسم، أو تفعل كذا، ولكن قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [المائدة: ٩١]، جعل العداوة والبغضاء هي السبب الأوّل في تحريم أمّ الخبائث؛ لأن الله تعالى يريد من عباده أن يتعارفوا، وأن يتحابّوا، حتّى وإن اختلفت أديانهم.

هناك الأخوة الإنسانيّة؛ كلنا لآدم، أبناء آدم، هناك أخوة بشريّة، صحيح أنّ هناك الأخوة الدنيويّة، وهي أمّ الأخوات، لكن هناك الأخوة القومية والوطنية، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف: ٦٥]، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ [الأعراف: ٧٣]، ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥]، كيف يكون أخوهم وقد كذبوا به؟

لأنه منهم يقول لهم: يا قوم، أي: أنتم مني وأنا منكم.
 هناك أخوة وطنية، هناك أخوة بشرية.
 هذا ما جاء به الإسلام.

فأين تحريض القرآن على العداوة والبغضاء؟

وهو يدعو إلى العفو والصفح حتى عن المعاندين، يقول: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَهُمْ لَهُمُ الْحَقُّ فَأَعْفُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [البقرة: ١٠٩]، ويقول عن بني إسرائيل: ﴿وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

هذا ما جاء به الإسلام، لم يجئ الإسلام بالتحريض على الكراهية، ولا بالتحريض على العنف.

الإله عند المسلمين رحمن رحيم:

قالوا: إن أسماء الله في القرآن تدلُّ على القسوة والشدة والعنف؛ لأنَّ من أسماء الله: «الجبَّار»، و«القهار»، و«المنتقم»، ونسي هؤلاء أنَّ الأسماء المشتهرة والشائعة في القرآن هي أسماء الجمال لا أسماء الجلال، كما يسمِّيها العلماء، هناك أسماء يسمِّيها العلماء: أسماء الجمال وأسماء الجلال والعظمة والقوة، الله يجمع بين هذين النوعين، ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨]، ﴿نَبِيِّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]، ولكنَّه جعل المغفرة والرحمة من أسمائه فقال: ﴿أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]، ولم يقل: وأنِّي أنا المعذب. لم يجعل العذاب من هو الْعَذَابُ الْأَلِيمُ، ولم يقل: وأنِّي أنا المعذب. لم يجعل العذاب من

أسمائه، وإنما جعله من أفعاله، وفرق بين أن يكون من أفعاله وأن يكون من أسمائه؛ لأن هذه الأسماء ذاتية، صفات ثابتة له ﷺ، الله تعالى يتّصف بالأمرين، ولكن الصفات الغالبة صفات الرحمة، كما قال تعالى في الحديث القدسي: «إن رحمتي سبقت غضبي»^(١).

وقال تعالى: ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، العذاب يخص، ولكن الرحمة تعم، ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، كما قالت الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، فعلم الله وسع كل شيء، ورحمة الله وسعت كل شيء.

في القرآن مائة وأربعة عشر سورة، منها مائة وثلاثة عشرة بدأت بالبسملة، ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، جمع بين ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ولم يكتف بأحدهما، في كل سور القرآن ما عدا سورة التوبة، سورة الفاتحة تبدأ بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١-٣]، وفي كل يوم إذا صلينا الفرائض فقط نقولها سبع عشرة مرّة، إذا اقتصرنا على الفرائض، ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في الفاتحة مرّتان، يعني: نقولها في الفرائض في اليوم والليلة أربعة وثلاثين مرّة، ونكرّر ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾؛ لتمتلي قلوبنا بالرحمة.

إذن أين القسوة، وأين العنف؟

اسم «الجبار» الذي يتحدثون عنه ورد في القرآن مرّة واحدة، في أواخر سورة الحشر، وذكر مع «السلام المؤمن»، ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣]، فهو كما أنه جبار هو سلام وهو مؤمن، يهب

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٤٢٢)، ومسلم في التوبة (٢٧٥١)، عن أبي هريرة.

الأمان والإيمان، فهو جبار على المتجبرين، يأخذ الجبابة والفراغة والمتألهين في الأرض، والمستكبرين على الخلق، هؤلاء يأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

هذا هو مقتضى جبروته، هذه صفة مطلوبة.

والله تعالى في الإسلام هو «أرحم الراحمين»، وردت هذه في القرآن خمس مرّات، «أرحم الراحمين»، و«خير الراحمين» وردت مرّتين، هذا هو الله ﷻ.

من نظر إلى التوراة يجد الإله إلهًا غضوبًا، في التوراة يقول: لأنني إله غير أنتقم من الآباء في الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع.

ينتقم من الآباء في أبنائهم إلى الجيل الثالث والرابع.

نحن عندنا في الإسلام ﴿وَلَا نُزِرُ وَأَزِرُّ وَزَرَ أُخْرَى﴾، ما ذنب الابن حتى يُجزى بذنب أبيه؟

﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَأَزِرُّ وَزَرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤]،
﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]، ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١].

هذا هو العدل الإلهي.

يقولون: الإله عند المسلمين إله منتقم.

ونحن نقول: لم يرد في الأسماء الحسنى اسم المفرد «المنتقم»، ولكن ورد في القرآن: ﴿يَوْمَ نَبِّطُشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦]، يوم نبطش البطشة الكبرى بالمشركين العتاة الذين آذوا المسلمين وعدّبوهم، ﴿يَوْمَ نَبِّطُشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]، ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ﴾ * أو نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ [الزخرف: ٤١، ٤٢].

الانتقام من المجرمين رحمة بالخلق، وإلا عاثوا في الأرض فساداً، وسُلِّطوا على النَّاس ولم يدفعهم دافع، فانتقام الله من المجرمين رحمة من الله تعالى.

هذا ما جاء به القرآن العظيم.

مَنْ نظر إلى أسماء الله الحسنى في القرآن وجدها أسماء متوازنة، الله من صفاته: «ذو الجلال والإكرام»، ﴿وَبَقِيَ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، الجلال يمثل العظمة، والإكرام يمثل البرِّ والإحسان.

هذا هو الله ﷻ، فهل هذا الكتاب يحرض على العنف كما يقولون؟

لماذا شرع القتال؟

هذا النائب الجاهل، الذي لم يكلف نفسه أن يسأل عالماً ثقة من علماء المسلمين؛ لأنه لو قرأ القرآن لن يفهم منه شيئاً، يقول هذا النائب: القرآن يحرض على القتل. القرآن يحرض على القتل؟!!

لا والله، القرآن يحذر من القتل، ويرى أن قتل نفس واحدة كأنها قتل للبشر جميعاً: ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ﴾ [المائدة: ٣٢]؛ لأنَّ الاجترار على سفك دم نفس واحدة يجزئك على غيرها، ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ﴾.

لا يحبُّ الإسلامُ القتل، وإنَّما شرع القتال، وشرع الجهاد، وليس معنى شرعية الجهاد: أن تقاتل النَّاس وتقتلهم، ولكنَّه إنَّما شرع الجهاد دفاعًا عن الدين، ودفاعًا عن الأرض، ودفاعًا عن العِرض، ودفاعًا عن الحُرِّمات، ودفاعًا عن النَّفس.

وهذا واضح من آيات القرآن.

انظر إلى السور التي جاءت بالأمر بالقتال، مثل سورة البقرة، ومثل سورة الأنفال، ومثل سورة التوبة، واقرأ هذه الآيات بإمعان.

سورة البقرة تقول: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ * وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَفَفْنَاهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْنَاكُمْ ۗ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ [البقرة: ١٩٠، ١٩١]، هؤلاء الذين يقاتلونكم، ﴿ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَفَفْنَاهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْنَاكُمْ ﴾ *، ﴿ وَأَقْتُلُوهُمْ ﴾ * فهم من بدأ بطردكم وإخراجكم من دياركم، ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ *، فتنة المسلمين في دينهم، واضطهادهم في عقيدتهم، وإيذاؤهم وتعذيبهم حتى يرجعوا عن دينهم، هذا أشدُّ من القتل؛ لأن القتل اعتداء على الجسم، والفتنة والاضطهاد اعتداء على الروح، اعتداء على الإرادة والفكر، وهذا أشدُّ من القتل، قتل معنوي أخطر وأشدُّ، ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ *، وفي آية أخرى: ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

ثم قال: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٣]، حتى يمنع الاضطهاد تمامًا، ويكون النَّاس أحرارًا، ويدخل من شاء منهم الدين الذي يحبُّ.

الإسلام إذن يقاتل من أجل الحُرِّيَّة.

كان المسلمون ممنوعين في مكة من أن يدافعوا عن أنفسهم، وبعد الهجرة نزلت أول آية في شرعية القتال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩]، ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ﴾ يُبَدِّوْنَ بِالْقِتَالِ، ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠]، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ قانون التدافع، هذه من سنن الله تعالى في الخلق، أن يدفع بعض الناس ببعض، وإلا لأكل الأتقياء الضعفاء.

فمن هذا القانون يدفع الله عن بيوت العبادة، عن حرية العبادة، ولذلك المسلمون لا يدافعون عن المساجد فقط، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ ومن ذلك الإذن بالقتال ﴿لَهَدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ﴾ لليهود والنصارى ﴿وَمَسَاجِدٌ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾، فالمسلمون حين يقاتلون يدافعون عن حرية العبادة وأماكن العبادة للأديان جميعًا. هذا ما جاء به الإسلام.

ليس الإسلام راغبًا في التعطش للدماء، بل إن النبي ﷺ يقول لأصحابه: «لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»^(١).

يُعَلِّمُهُمْ أَنْ يَسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فنحن لسنا هواة مشاكل وصراعات مع الآخرين، إذا انتهت المعركة بغير دماء قال القرآن: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ [الأحزاب: ٢٥]، ولذلك نحن نتمنى ألا نلقى العدو، «لا تتمنوا لقاء العدو»، إنما

(١) سبق تخريجه ص ٤٣، وفيه: «لا تتمنوا لقاء العدو».

إذا لقيناهم مجبرين، ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ ﴾ [البقرة: ٢١٦]، إذا لقيناهم لا بد من الصبر والثبات، ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥]، هنا المؤمن يثبت ثبات الجبال، ولا يفتر أبدًا؛ لأنه يعلم أنه لن يموت قبل أجله، ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

هذا ما جاء به الإسلام.

المسلمون لم يبدؤوا بالقتال:

هل يريد هؤلاء أن يكون موقف الإسلام هو الاستسلام للآخرين يدخلون ديارهم، ويسفكون دماءهم، وينتهكون حرمتهم، وهم متفرجون صامتون لا يدفعون عدوًّا، ولا يفعلون شيئًا؟ هل هذا هو المطلوب؟

لا يقول هذا عاقل.

من حق كل أمة أن تدافع عن نفسها، ولكن المسلمين لا يبدؤون أبدًا، هم الذين بُدئوا، انظروا إلى سيرة رسول الله ﷺ، كان هو الذي يُبدأ دائمًا، ويُطلب منه أن يردَّ.

في غزوة بدر جاء المشركون ونزلوا ببدر وهي قرب المدينة، وفي غزوة أحد جاؤوا إلى المدينة نفسها، وفي غزوة الخندق جاؤوا وحاصروا المدينة، يريدون إبادة الرسول ﷺ وأصحابه، وكان النبي بعد ذلك يردُّ على عدوانهم، حتى فتح مكة؛ لأنَّهم أغاروا على خزاعة حلفاء النبي ﷺ، وجاءت خزاعة تستنجد بالنبي ﷺ، فكان لا بد من تأديبهم.

وهكذا كان موقفه ﷺ، لم يبدأ أحدًا بالقتال، والقرآن الكريم صريح في هذا، القرآن - الذي يزعم هذا النائب أنه يحرض على القتل - يقول: ﴿فَإِنْ أَعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقِنِّلُوكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَكِيلًا﴾ [النساء: ٩٠]، هل رأيتم أصرح وأوضح وأنصح من هذا البيان؟

﴿فَإِنْ أَعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقِنِّلُوكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَكِيلًا﴾، هذا من أول الأمر.

وحتى بعد أن تقع الحرب ويتلاقى الفريقان، ويحدث ما يحدث من دماء، يقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١]، إن مالوا هم إلى السلم فمِل أنت - أيضًا - إلى السلم، ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٦٢]، يعني: المسلم يفترض النية الحسنة، ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢].

الإسلام لا يقاتل إلا من يقاتله:

هذه سورة الأنفال، وهي سورة الجهاد، نزلت بعد غزوة بدر، تقول: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾، سورة التوبة التي فيها آية السيف، كما قالوا في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ [التوبة: ٥]، قالوا: هذه آية السيف، وهذه الآية جاءت في شأن مشركي العرب، مشركي الجزيرة العربية، الذين نقضوا العهود، وتعدوا الحدود، ولم يكن لهم أمير، لم يكن لهم وحدة سياسية وقيادة، ففعلوا الأفاعيل بالمسلمين خلال العهد المكي وخلال العهد المدني.

العهد المكي إيذاء وتعذيب، والعهد المدني غزوات مستمرة، فكان لا بد من موقف حاسم مع هؤلاء، موقف يحسم الأمر إلى النهاية، فنزلت سورة «براءة»، ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١]، وأمهلتهم السورة أربعة أشهر يسبحون في الأرض، ويختارون لأنفسهم، إما أن يدخلوا في الإسلام، وإما أن يقاتلوا، وبعد هذه الأشهر الأربعة إذا انسلخت الأشهر الحرم، أي: التي حرم الله فيها القتال، وأعطاهم فيها المهلة يجب أن يقاتلوا، ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾، انتهى الإمهال.

هؤلاء الناس لهم ظروفهم الخاصة، ومع هذا قبل أن تنتهي الأربعة أشهر دخل العرب في دين الله أفواجا، أسلمت الجزيرة العربية كلها، ولم تحتج إلى قتال ولا إلى شيء.

ومع هذا، الآية التي يقولون: إنها آية السيف، قبلها يقول الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مَدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]، من كان بينكم وبينهم عهد مؤقتة أتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم.

وبعد هذه الآية يقول: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦]، أجره وأعطه فرصة كي يسمع القرآن، ويعرف الدعوة، وبعد ذلك أبلغه مأمنه، وأوصله إلى مكان يأمن فيه؛ حتى لا يؤذيه أحد.

وبعد هذه الآية يقول الله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧].

القرآن يجعل الأمر مفتوحًا للمصالحة وللمسالمة ولتغيّر المواقف، القلوب تتغيّر، ليس هناك عداوة دائمة، وليس هناك كُره دائم، يقول القرآن: ﴿عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً ۗ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المتحنة: ٧]، الأعداء قد يصبحون أصدقاء.

هذا ما جاء به القرآن.

فكرة الاستئصال فكرة توراتية:

انظروا - أيها الإخوة - ماذا جاءت به التوراة، التوراة التي يؤمن بها هذا النائب ويؤمن بها المسيحيون جميعًا في أوربا وغير أوربا، الكتاب المقدس عند النصارى يشمل التوراة والإنجيل، التوراة وملحقاتها، والإنجيل وتوابعه، ماذا تقول التوراة؟

إنَّ مَنْ يقرأ التوراة يجد العجب، التوراة تقول لموسى ومن معه: «وحين تتقدمون لمحاربة مدينة فادعوها للصلح أولاً، فإن أجابتكم إلى الصلح واستسلمت لكم؛ فكل الشعب الساكن فيها يصبح عبيدًا لكم. وإن أبت الصلح وحاربتكم؛ فحاصروها، فإذا أسقطها الرب إلهكم في أيديكم؛ فاقتلوا جميع ذكورها بحد السيف».

عندما تنتصرون اضربوا كل الذكور بحد السيف، لا تعطوهم فرصة، لو قالوا: نريد أن ندخل في دينكم. لا توافقوا، لو قالوا: نعطيكم الجزية. ارفضوا. ولم تستثنِ التوراة طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً، هذه هي التوراة بالنسبة للبلاد البعيدة.

أمّا البلاد القريبة في التوراة - ويعنون بالبلاد القريبة: أرض فلسطين التي يسكنها الكنعانيون واليبوسيون والحثيون وعدد من الشعوب أو

القبائل الكبرى - تقول التوراة: «أمّا مدن الشعوب التي يهبها الرب إلهكم لكم ميراثاً، فلا تستبقوا فيها نَسْمَةَ حَيَّة، بل دمّروها عن بكرة أبيها»^(١). هذا ما جاءت به التوراة بالنسبة لأرض فلسطين، التي يُسمونها: أرض الميعاد، لا تبقوا أحداً من أهلها، أبيدوهم، استأصلوهم.

فكرة استئصال الشعوب فكرة توراتية، وهو ما طبّقه المسيحيون، حينما دخلوا أمريكا أرادوا أن يقضوا على الهنود الحمر تماماً، وقضوا على معظمهم.

وحينما دخل الإنجليز أستراليا قضوا على سكان أستراليا الأصليين.

الإبادة فكرة توراتية، فأين هذا مما جاء به الإسلام؟

الإسلام يقول: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَمْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ٤]، ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَمْتُمُوهُمْ﴾، أي: كسرتهم شوكتهم، ﴿فَشُدُّوا الْوَتَاقَ﴾، في هذه الحالة، دع القتل والجأ إلى الأسر، أنت تقتل فقط لتكسر شوكتهم وتثخنهم، أي: تضعفهم، فإذا ضعفوا أمامك فلا تقتل، بل خذهم أسرى فقط، ﴿فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾، بعد الأسر ذكر القرآن واحداً من اثنتين: إما أن تمنّ على هؤلاء الأسرى لوجه الله، وإما أن تفديهم بمال أو بأسرى من المسلمين.

فهذا ما جاء به الإسلام، أين هذا وأين ذاك؟

الإسلام يرفض إبادة الحيوانات فكيف بالبشر:

الإسلام يرفض الإبادة حتّى لأمم الحيوان، شكا الناس في المدينة من الكلاب الضالة، وأرادوا أن يقضوا عليها، فقال رسول الله ﷺ:

(١) انظر: سفر التثنية (١٠/٢٠ - ١٨).

«لولا أنَّ الكلاب أُمَّة من الأمم لأمرتُ بقتلها»^(١)، ولكن الكلاب أُمَّة، القرآن يقول: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّةٌ مِنْكُمْ﴾ [الأنعام: ٣٨]؛ فالكلاب أُمَّة من الأمم، والحمير أُمَّة من الأمم، والنمل أُمَّة من الأمم، والعنكبوت أُمَّة من الأمم، وكلُّ أُمَّة من الأمم خلقها الله لحكمة، ولم يأذن لك أن تبيد هذه الأُمَّة.

انظروا الإسلام يستبقي الكلاب، الإسلام سبق ما ينادي به الآن أهل البيئات من المحافظة على الأجناس حتَّى لا تنقرض، هؤلاء لا يريدون إبادة الكلاب بل إبادة البشر، إبادة الأمم.

ماذا يقول هذا النائب الهولندي الَّذي يزعم أنَّ القرآن يحرض على القتل وعلى العنف؟ ماذا يقول في هذه النصوص التوراتية التي يؤمن بها المسيحيون في أنحاء العالم؟

إنِّي لأعجب من هؤلاء المتعصِّبين المنغلقين، الَّذين يرون الحقَّ أمامهم واضحًا وضوح الضحى، ومع هذا يُغلقون أعينهم فلا يبصرون، ويصمُّون آذانهم فلا يسمعون.

هذا - أيُّها الإخوة - ما جاء به قرآننا العظيم، قرآننا العظيم جاء ليمدَّ يده ليسالم النَّاس جميعًا، ويريد أن تقوم البشريَّة على التعارف، وعلى الإخاء، وعلى المسالمة، وعلى التفاهم، وعلى الحوار، ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، الحوار فريضة عندنا - نحن المسلمين.

(١) رواه أحمد (١٦٧٨٨)، وقال مخرَّجوه: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين. وأبو داود في الصيد (٢٨٤٥)، والترمذي في الأحكام (١٤٨٦)، وابن ماجه في الصيد (٣٢٠٥)، عن عبد الله بن مغفل.

هذا ما جاء به هذا الإسلام العظيم الذي لا يعرفه هؤلاء النَّاس، وللأسف كثير من المسلمين لا يعرفونه، لا يفهمونه حقَّ الفهم، بل يقدّمون صورة مشوّهة عن هذا الدين، وعن هذا القرآن العظيم.

وآن لنا أن نفهم هذا الدين، آن لنا أن نفقه هذا القرآن العظيم، أن نعرفه من ينباع الصافية، وأن نقدّمه للنّاس كما أنزله الله تبارك وتعالى؛ حتّى يعي النَّاس ماذا نريد منه، وماذا يريد منهم هذا الإسلام العظيم، إنّه لم يرد منهم إلّا الخير، ولم يجرّ إلّا بالرحمة، وقد قال الله تبارك وتعالى لرسوله ﷺ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

معاناة أهل غزّة:

نتابع ما يجري في غزّة، وما يجري لإخواننا الصابرين المصابرين المرابطين، الباذلين المضحّين، الذين يقدّمون في كلّ يوم شهداء، مواكب من الشهداء، مواكب وراء مواكب يوميًا من هذا الشعب الذي صبر على الجوع، وصبر على الحصار، وصبر على البلاء، وهو لا يزال يقدّم التضحيات وراء التضحيات، ماذا قدّمنا - نحن العرب؟ وماذا قدّمنا - نحن المسلمين - لإنقاذ إخواننا؟ ماذا فعلت الأمة العربيّة؟ وماذا فعلت الأمة الإسلاميّة؟ ماذا فعل الساسة؟ وماذا فعل الزعماء والقادة؟ وماذا فعل أهل الفكر والرأي؟ وماذا فعل الأغنياء أصحاب المال، وماذا فعلت الفئات المختلفة؟

كلّ فئة في المجتمع عليها واجب نحو إخوانهم هؤلاء، لا يجوز لنا أن نتفرّج على هؤلاء، وأن نقف خرسًا صامتين صمت القبور، وهم يقدّمون أرواحهم في كلّ يوم رخيصة، لا يبالون بما يصيبهم في سبيل الله، وفي سبيل أرضهم وعرضهم، وفي سبيل كرامتهم وسيادتهم واستقلالهم.

إنّ علينا واجبًا نحو إخواننا هؤلاء، علينا أن نقدّم لهم كلّ ما نستطيع من عون مادي وعون أدبي، وأن نضغط على حكوماتنا لتقف موقفًا صلبًا، موقفًا رجوليًا، موقفًا إيمانيًا، موقفًا عربيًا، موقفًا إسلاميًا؛ لنثبت أن هذه الأمة حيّة، أن هذه الأمة ما زالت متلاحمة، ما زال بعضها يحسّ ببعض، ما زالت كالجسد الواحد، إذا تألم بعضه تألم كلّهُ.

علينا - أيها الإخوة - أن نفعل هذا، وأن نشعر إخواننا أننا لم ننسهم، كيف ننسهم؟ مَنْ ذا الذي ينسى هذه الجراحات؟ مَنْ ذا الذي ينسى هؤلاء الشهداء؟ مَنْ ذا الذي ينسى هذه التضحيات الكبيرة في كل يوم؟ لا يخلو يوم من أن يذكّرنا بهذه المأساة، وأنّ علينا واجبًا، وعلى حكوماتنا واجبًا، وعلى الفئات المختلفة في المجتمع واجبًا، كلٌّ منّا عليه واجب بقدر ما يستطيع وما يملك، ونحن نستطيع الكثير، الفرد ضعيف بنفسه قوي بإخوانه، أنت مهما كنت وحدك لا تستطيع أن تفعل شيئًا، ولكن مع إخوانك تستطيع أن تفعل الكثير.

موقف المسلمين من المسيئين لرسولهم:

وهذا ما نقوله - أيضًا - في هذا الموقف من الذين يسيئون إلى رسول الله ﷺ، وإلى كتاب الله تعالى، وإلى الإسلام العظيم، يجب أن نقف موقفًا جماعيًا من هؤلاء.

نحن دعونا - فيما مضى - إلى مقاطعة البضائع الدانماركية، وهذا أدنى ما يجب نحو هؤلاء.

في الأسبوع الماضي ذكرتُ أنّ هناك ردودًا كثيرة، يجب أن يكون هناك رد سياسي، ورد حكومي، ورد شعبي، ورد اقتصادي، ورد إعلامي، ورد فني.

وأنا أؤكد على الرد الاقتصادي، لا يجوز أبدًا أن تُعطي هؤلاء مالك، تربحهم ليأخذوا مالك ويعملوا به لوحات، وينشروا بها صورًا تسيء لنبينا ورسولك محمد ﷺ!؟

نحن الأفراد ضعاف، ولكننا ننتمي لأمة قوية، فعلى هذه الأمة أن

تتكاتف لتدافع عن نفسها، ولتدافع عن رسولها، ولتدافع عن أرضها وعرضها، ولتدافع عن إخوانها وأخواتها في فلسطين.

نسأل الله تعالى أن يمدّهم بنصره، وأن يؤيّدهم برُوح من عنده، وأن يمدّهم بملاً من جنده، وأن يحرسهم بعينه التي لا تنام، وأن يكلاًهم بكنفه الذي لا يضام، وأن يفتح لهم فتحاً مبيئاً.

اللهم افتح لهم فتحاً مبيئاً، واهدهم صراطاً مستقيماً، وانصرهم نصرًا عزيزاً، وأتمّ عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك.

اللهم انصر إخواننا المجاهدين في أرض الإسلام حيثما كانوا، اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسلام حيثما كانوا، اللهم خذهم ومن ناصرهم أخذ عزيز مقتدر، اللهم أنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين.

اللهم يا منزل الكتاب، ويا مجري السحاب، ويا هازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم، اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم، اللهم اهزمهم وزلزلهم.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].



عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ بِمِثْلِ مَا أُقِيْمَ وَلَا تُكَلِّمِ الْمُرْتَدِينَ وَالصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

إِسَاءَاتٌ غَرِيبَةٌ إِلَى خَيْرِ البَرِيَّةِ (١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ المُسْلِمُونَ:

عُدْنَا إِلَيْكُمْ، عُدْنَا إِلَى هَذَا المُنْبَرِ الَّذِي نَعْتِزُّ بِهِ، لَا يَمْنَعُنَا عَنْهُ إِلَّا المَرَضُ أَوْ السَّفَرُ، عُدْنَا لِنَقُولَ كَلِمَةَ الحَقِّ، وَنُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَنَارَاتِ الهُدَى، وَمَعَالِمَ الرُّشْدِ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ، وَيَتَمَيَّزَ الإِيمَانُ مِنَ الكُفْرِ، وَالهُدَى مِنَ الضَّلَالِ، نَعُودُ اليَوْمَ إِلَى هَذَا المُنْبَرِ لِنَتَحَدَّثَ فِيهِ عَنْ أَمْرَيْنِ هَامَيْنِ:

فِي الخُطْبَةِ الأُولَى: نَحَدِّثُكُمْ عَنِ الإِيذَاءِ وَالإِسَاءَةِ الَّتِي وُجِّهَتْ إِلَى خَيْرِ الخَلْقِ، وَصَفْوَةِ الرُّسُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَفِي الخُطْبَةِ الثَّانِيَةِ: نَحَدِّثُكُمْ عَنِ مَعْرَكَةِ العَرَبِ، وَمَعْرَكَةِ المُسْلِمِينَ، وَمَعْرَكَةِ أَحرَارِ العَالَمِ فِي سُورِيَا الحَبِيبَةِ وَالشَّقِيقَةِ الَّتِي تَلْقَى مِنَ العَنْتِ وَالإِيذَاءِ مَا تَلْقَى مِنْذُ شَهْرٍ طَوِيلَةٍ، وَنَسْأَلُ اللهَ ﷻ أَنْ يُعَجِّلَ بِالفَرَجِ لَهَا، وَالنَّصْرَ لِأَهْلِهَا إِنْ شَاءَ اللهُ.

(١) أَلْقَيْتُ فِي مَسْجِدِ عَمْرِ بْنِ الخَطَّابِ بِالدُّوْحَةِ، بِتَارِيخِ ١٤ سَبْتَمْبَرِ ٢٠١٢م.

إساءة الغرب إلى المقدسات الإسلامية وأمة الإسلام:

أمّا الموضوع الأول، فقد تعودنا من الغربيين ما بين كل فترة وأخرى أن يُسيئوا إلى المُقدّسات الإسلاميّة، ويُسيئوا إلى أمّة الإسلام، هذه الأمّة الكبرى، أمّة الإسلام، مليار وثلثاء من البشر، أكثر من ألف مليون وستمئة مليون من البشر، كل هؤلاء مسلمون يشهدون أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله.

يُسيء الغربيون في بلاد مختلفة إلى مُحمّد رسول الله ﷺ، وما أساء المسلمون إليهم حتّى يكون ذلك عملاً مقابل عمل، وإساءةً مقابل إساءة، ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، لكن لم يسيء المسلمون إلى أحد، المسلمون في حالهم، المسلمون يبنون أنفسهم، خصوصاً في بلاد الربيع العربي التي استردّت كرامتها، واستردّت حرّيتها، وبدأت تبني نفسها من جديد على أساس سليم.

لم يسيء المسلمون إلى أحد، ولكن الغربيين ما بين الحين والحين يسيئون إلينا، ويسيون إلينا في أعزّ ما نملكه، وأعزّ ما نعتقده، وأعزّ ما نؤمن به، في محمّد رسول الله ﷺ، احتججنا من قبل على الدانمرك في إيذائهم لرسول الله ﷺ، بما نشره من صور لا تليق بأن تُنسب إلى إنسان عاديّ، فما بالكم بأفضل شخصيّة في العالم عرفها التاريخ، بمحمّد ﷺ الذي علّم البشريّة مكارم الأخلاق.

أساء الغربيون حينما أساء الدانمركيون إساءتهم تلك من قبل، وفوتنا هذا الأمر بعد أن احتججنا عليه، ثمّ جاء البابا نفسه وأساء إلى الرسول ﷺ في محاضرة له، ورددنا عليه، ثمّ سكتنا ومضت المدة.



ثم جاءت الآن هذه الصورة الدميمة القبيحة، جاء هذا الفلم الذي صنعه جماعة من الأمريكيين، ولا نقول: كل الأمريكيين. فمن الظلم - أيها الإخوة - أن نُحمّل القبائح إلى غير مَنْ صنعها، ليس الأمريكيان هم الذين صنعوا هذا الفيلم، وإنما صنعه أفراد من الأمريكيان، منهم رجل متطرف قبيح السيرة، سيء السريرة، أحرق المصحف من قبل، انضم إلى هؤلاء الآن، ومعهم بعض المسيحيين، وكثير من هؤلاء المسيحيين للأسف من أقباط مصر المهاجرين إلى أمريكا من قديم، ويتخذون موقف العداء لبلدهم، وإخوانهم المسلمين في مصر؛ لماذا هذا؟ والله لا يحمي المسيحيين في مصر إلا المسلمون، ولا يمكن أن يحميهم الأمريكيان، ولا الإنجليز، والفرنسيون، ولا الألمان، ولا الدنيا كلها، لا يستطيعون أحد أن يحميهم إلا إخوانهم المجاورون لهم.

قام هؤلاء بعمل فلم لم يُنشر على الشاشات، ولا في السينمات، ولا على الفضائيات، وإنما نُشر على «الإنترنت»، مَنْ رآوه قالوا عنه: إنه فلم مُقزّر. قالت عنه وزيرة خارجية أمريكا السيدة هيلاري كلينتون: إنه فيلم مُقرف ومُدان. كل مَنْ رآه لا يقول عنه إلا هذا.

لماذا يُساء إلى مُحَمَّد ﷺ؟!

إنَّ محمداً ﷺ هو أعظم شخصيّة بشريّة هيأها الله تعالى لهداية العالمين، عاش مُحَمَّد ﷺ أربعين سنة قبل أن يُوحى إليه، فلم يُعرف بين قومه إلا بصفة واحدة أنه الصادق الأمين، الصدق والأمانة هي التي حلته وزيّته بين قومه، لم يُعرف عنه شر قط، ولا عُرف بلهو الجاهليّة، ولا عُرف بما عرفه النَّاس من دنايا وشرور.

كان يتعبّد إلى ربه كل سنة في غار حراء حتّى أتاه الوحي بعد أربعين سنة، جاءه جبريل، ثمّ قال له: اقرأ. قال: «ما أنا بقارئ». أنا أمّي لا أعرف القراءة والكتابة، قال: اقرأ. قال: «ما أنا بقارئ». وغطّه حتّى بلغ منه الجهد، حضنه بقوة وعنف، وقال: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ - ٥].

كانت هذه هي الآيات الأولى من القرآن الكريم الذي نزل على محمّد ﷺ بعد ذلك في ثلاث وعشرين سنة، وظلّ ﷺ يتلقّى هذا الوحي، ما كان يرجو هذا الوحي، ولا يتوقعه، كما قال القرآن: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [القصص: ٨٦]، ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢].

نزل هذا الوحي على محمّد ﷺ، ورجع إلى زوجته خديجة يرجف فؤاده، ويرتعش جسمه، ويقول: «زملوني، زملوني». غطوني، فقالت له حين حكى لها ما وقع له: والله لا يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الدهر^(١). من كان هذا خلّقه فليس مجالاً لأن ينزل عليه شيطان، وذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل تقص عليه ما رأى، فقال له: هذا الناموس الذي أنزله الله على موسى، وليتني أكون حيّاً حينما يُخرجك قومك فأنصرك نصراً مؤزراً. فقال بكل براءة وطهارة: «أومخرجي هم؟!» قومي يخرجونني أنا الصادق الأمين عندهم؟! قال: ما جاء أحد قط بمثل ما جئت به إلا عودي^(٢).

كان محمّد ﷺ - الذي يتقول عليه المُتقولون، ويفتري عليه المفترون،

(١) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (٣)، ومسلم في الإيمان (١٦٠)، عن عائشة.

(٢) جزء من الحديث السابق.

ويؤذيه أولئك الفاسقون - هو نِعْم الرجل، نِعْم الزوج لأزواجه، ونِعْم الأب لأولاده، ونِعْم الجد لأحفاده، ونِعْم الجار لجيرانه، ونِعْم التاجر إذا تاجر، ونِعْم الراعي إذا رعى، ونِعْم المسالم إذا سالم، ونِعْم المحارب إذا حارب، ونِعْم القائد إذا قاد، ونِعْم الجندي إذا انقاد، كان مثلاً أعلى في كل شيء، هذا هو مُحَمَّد ﷺ.

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ:

حينما أراد الله ﷻ أن يصوّر بعثة مُحَمَّد ﷺ ورسالته قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. إذا أردت أن تعرف رسالة مُحَمَّد فهذا هو وصفها: رسالة الرحمة، الرحمة العامة، الرحمة للعالمين، للإنس والجن، والمشرق والمغرب، والشمال والجنوب، والعرب والعجم، لكل الناس، حتى غير المسلمين، الرحمة للجميع، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، ولذلك قال ﷺ عن نفسه: «إنما أنا رحمة مهداة»^(١). رحمة أهداها الله للناس، هذا هو مُحَمَّد ﷺ.

وصفه الله تعالى في القرآن بأنه يُعَلِّم قومه ما لم يعلموه من قبل: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١]، ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. هذا هو مُحَمَّد ﷺ.

(١) رواه الحاكم في الإيمان (٣٥/١)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٩٠)، عن أبي هريرة.

العدالة والكرامة لكل الناس:

جاء مُحَمَّدٌ ﷺ بالهدى ودين الحق، جاء بالعدالة والكرامة لكل الناس، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، جاء بكل خير للبشرية، كل البشرية، لم يجرى - بما جاء به - لقوم دون غيرهم، لم يجرى لقريش دون سائر القبائل، أو للعرب دون سائر الشعوب، أو لأهل الشرق دون أهل الغرب، أو لجيل من الناس دون غيره من الأجيال، هو نبي الأمم، نبي العالمين، رحمة الله لكل العالمين، أيًا كان جنسهم، وأيًا كان لونهم، وأيًا كان وطنهم، وأيًا كانت لغتهم، ولكل الأجيال، ليس لجيل واحد، ولا جيلين، ولا لعشرة أجيال، بل إلى أن تقوم الساعة، فدينه هو الدين العالمي، الدين الخالد، هذا هو مُحَمَّدٌ ﷺ.

الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن:

جاء مُحَمَّدٌ ﷺ بهذا الدين، يدعو الناس إلى الله بالحكمة، وبالموعظة الحسنة، ويجادلهم بالتي هي أحسن، ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، الحكمة والموعظة الحسنة للموافقين له من الذين دخلوا في دينه، ومن لم يدخلوا يجادلهم، يحاورهم ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، بالطريقة التي هي أفضل الطرق، إذا كانت هناك طريقتان للجدال والحوار: إحداها حسنة، والأخرى أحسن منها؛ فمحمد ﷺ مُطَالِبٌ بأن يجادلهم بالتي هي أحسن، وهكذا ظل طول حياته يجادل الناس بالتي هي أحسن، يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، لم يكن ضد أحد، الكل إخوانه، العالم كله أمة الدعوة، ومن دخل في دينه فهم أمة الإجابة، ولكن العالم كله أمة دعوة يدعوهم إلى هذا الدين العظيم.

هكذا عاش مُحَمَّدٌ ﷺ، ثلاثة عشر عامًا في مكّة، يدعو النَّاسَ إلى الله، إلى التوحيد بدل الوثنيّة، بدل الشرك، يدعو الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بالله، ويشركون به آلهة أخرى، من الأحجار، أو الأشجار، أو الأنهار، أو ممّا لا يضر ولا ينفع، ولا يبصر ولا يسمع، ولا يعطي ولا يمنع، يدعوهم إلى الله ﷻ، إلى عبادة الله وحده، لا يعبدون حجرًا ولا وثنًا.

كما يدعوهم - مع توحيد الله - إلى مكارم الأخلاق: بر الوالدين، صلة الأرحام، الإحسان إلى الجيران، وإلى اليتامى والمساكين، وكل ضعيف في المجتمع يجب أن يسعوه بأنفسهم، وأموالهم، وأخلاقهم، كل خير دعا إليه الأنبياء والمرسلون من قبله، ودعا إليه فلاسفة الأخلاق من قبله، ودعا إليه الحكماء والأخيار في العالم من قبله، كل خير يتصوره النَّاسُ جاء مُحَمَّدٌ ﷺ يدعو إليه.

ظلَّ رسول الله ﷺ ثلاثة عشر عامًا يقوم بهذه الدعوة، ولكنه يُقَابَلُ بالأذى، يؤذيه قومه، يصفونه أحيانًا بأنه شاعر، أو أنه كاهن، أو أنه مجنون، أو أنه وأنه، تنزل عليه أساطير الأولين، وكل هذا أكاذيب لا يقوم عليها دليل، فما كان مُحَمَّدٌ إِلَّا نبيًّا يوحى إليه من الله تبارك وتعالى، كما قال تعالى مخاطبًا إياه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠]. أنا بشر مثلكم، آكل كما تأكلون، وأشرب كما تشربون، وأمراض كما تمرضون، وأموت كما تموتون، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِمُونَ ﴿ [الزمر: ٣٠ - ٣١].

هذا هو مُحَمَّدٌ ﷺ، جاء يدعو قومه إلى الخير، وهم يرمونه بالشر، يرمون عليه سلا الجزور، ويحاولون أن يخنقوه، لولا أن جاء أبو بكر، وقال: ﴿أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨] (١).

(١) رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٨٥٦)، عن عبد الله بن عمرو.

إيذاؤه ﷺ وإيذاء أصحابه:

آذوه، وآذوا أصحابه، خصوصًا المستضعفين منهم، مثل عمّار بن ياسر، وأبوه ياسر، وأمه سُمَيَّة بنت خياط التي كانت أول شهيد في الإسلام، قتلها أبو جهل لعنه الله، وقتل أباه، وفرّ عمّار بن ياسر حينما استباح لنفسه أن يقول كلمة كفر، قالها بلسانه لينجو من أذى هؤلاء وبطشهم، وظل يبكي على ما حدث منه، حتّى نزل قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]. مَنْ أُكْرِهَ عَلَى كَلِمَةِ الْكُفْرِ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ لَا حَرَجَ، ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦]. كان هذا موقف عمار بن ياسر، أسرة عذبت كلها في الله، مرّ عليهم النبي ﷺ وهم يُعذَّبون، ويتأوّهون من العذاب، ولم يملك أن يفعل لهم شيئًا، فقال لهم: «صبرًا آل ياسر؛ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةَ»^(١).

وأجبر النبي ﷺ أن يدخل الشَّعب مُقَاتِعًا من قومه، مهجورًا منهم، لا يبيعونه، ولا يشترّون منه، ولا يُزوّجون، ولا يتزوَّج منه، المسلمون، وبنو هاشم - مسلمهم وكافرهم - وبنو المطلب معهم هوجروا وقوطعوا ثلاث سنوات حتّى فرَّج الله عنهم وخرجوا من هذه المحنة. هل يستحقّ محمّد ﷺ هذا العداة والإيذاء، وهو الَّذي فعل هذا كله، وصبر على هذا كله؟

(١) رواه الطبراني في الأوسط (١٥٠٨)، والحاكم في معرفة الصحابة (٣/٣٨٣)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٥٩٢): رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح، غير إبراهيم بن عبد العزيز المقوم، وهو ثقة. عن جابر بن عبد الله.

كان أصحابه يأتون إليه ما بين مضروب، ومشجوج، ومخدوش، ومقطوع، ويقولون: ائذن لنا يا رسول الله أن ندافع عن أنفسنا. فيقول لهم: «كُفُوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ» [النساء: ٧٧]، لم يؤذن لي بعد»^(١). ثلاثة عشر عاماً، وهو يصبر على هذا، إلى أن نزل قوله تعالى بعد الهجرة النبوية: «أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ صَوَاعِقُ الْبَيْعِ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا» [الحج: ٣٩، ٤٠]. انظروا؛ هذا مُحَمَّدٌ ﷺ يؤمر بأن يدافع عن نفسه، وليس عن نفسه فقط، بل يدافع عن حرية التدين، عن حرية كل إنسان أن يؤمن بما يعتقد، ولذلك يدافع عن البيع والكنائس ومعابد اليهود، كما يدافع عن المساجد، يدافع عن كل هذا ويقاوم، يبذل الأرواح والدماء في الدفاع عن هؤلاء، هذا هو مُحَمَّدٌ ﷺ في مكة.

فلما اضطر النبي ﷺ إلى أن يهاجر من بلده، من مسقط رأسه، ومنبت نفسه، وملتقى أهله وأحبائه وأصدقائه إلى بلد جديد، إلى يثرب التي سُميت بعد ذلك المدينة، التي نورها الله برسوله ﷺ، وبأصحابه من المهاجرين والأنصار - لم يتركه المشركون، هاجموا مرات، أول مرة في بدر هاجموا قرب المدينة، والمرة الثانية في أحد، دخلوا عليه المدينة.

وهاجموه المرة الثالثة في غزوة الخندق، غزوة الأحزاب، حيث اجتمعت قريش ومن يتبعها، وغطفان ومن معها، أكثر من عشرة آلاف مقاتل يهاجمون رسول الله ﷺ في عقر داره، يساندتهم اليهود الذين

(١) رواه النسائي (٣٠٨٦)، والحاكم (٦٦/٢)، وصححه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي،

كلاهما في الجهاد، عن ابن عباس.

عاهدتهم النبي ﷺ من أول يوم وعقد معهم اتفاقية ومعاهدة تجعلهم أمة واحدة، في حالة السلم وحالة الحرب، في حالة السراء وحالة الضراء، إذا هاجم المدينة أحد فيجب على الجميع أن يدافع عنها، فإذا هؤلاء اليهود ينضمون إلى المهاجمين بدل أن ينضموا إلى المدافعين من أهل المدينة، إلى الرسول وأصحابه، ينضمون إلى قريش المتعدية المقاتلة، ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿ [الأحزاب: ١٠، ١١].

ولكن الله تعالى نصر الله المسلمين بحفر الخندق، وشجاعة المؤمنين وثباتهم، ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٥]، انظروا تعبير القرآن، حينما تمر المعركة بغير حرب وبغير قتال يُمْنُ الله على المؤمنين: ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾. فالمسلمون ليسوا هواة قتال، ولا هواة دماء، ولا هواة حرب، الله يمتن عليهم بأنه كفاهم القتال.

نبيُّ السلام:

كان مُحَمَّدٌ ﷺ نبي السلام حينما يُراد السلام، وكتابه الكريم يقول: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً ﴾ [البقرة: ٢٠٨]. السلم هو السلام، ويقول: ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنفال: ٦١]. لم يكن النبي ﷺ يريد القتال، ولكنه قاتل دفاعاً عن نفسه، عن إخوانه، عن ملته، عن دينه، عن أمته، قاتل المعتدين الذين ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾ [التوبة: ١٠]، القتال هنا فريضة وضرورة، فريضة يوجبها الدين، وضرورة يُحتمها الواقع، هكذا كان مُحَمَّدٌ ﷺ.

لم يكن مُحَمَّدٌ ﷺ في يوم ما مُتعدّيًا على أحد، ومن يقرأ السيرة النبوية قراءة متأنية متدبّرة مُتفهمًا كلام العلماء الراسخين في العلم - وليس السطحيين الخطافين - يوقن أنّ مُحَمَّدًا ﷺ لم يعتد على أحد قط، كان دائمًا مُسالمًا، ولكن لا يقبل أن يعتدي عليه أحد ويصمت، لا، بل يرد على السيئة بمثلها، كما قال الشاعر العربي قديمًا:

وكنْتُ إذا قومٌ غزوني غزوتهم فهل أنا في ذا يا لهمدانَ ظالمٌ؟
متى تحملِ القلبَ الذكيَّ وصارمًا وأنفًا حميًّا تجتنبك المظالم^(١)

هذا هو منطق الفطرة، ومنطق الرجولة، ومنطق الإيمان، ألا تُظلم، وألا تسكت عن ظالم إذا قدرت أن تردّ ظلمه، فرُدّ ظلم الظالم حتى لا يتفاقم، وحتى لا يتسع شرّه، وحتى لا ينتشر شرره، هكذا كان مُحَمَّدٌ ﷺ.

فتح مكة المكرمة:

دخل مكة فاتحًا الفتح الأعظم، بعد أن ظلّ ثلاثة عشر عامًا فيها يُصبُّ عليه العذاب هو وأصحابه، وبعد ثمانية أعوام في المدينة يقاتل ويهاجم في بلده دخل مكة فاتحًا، مُطأطأ رأسه فوق ناقته شبه ساجد، لا ينادي أحد باسمه: يحيا محمد، أو يعيش محمد. ولكن يُنادى: لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعزّ جنده، وهزم الأحزاب وحده. الهتاف باسم الله، لا باسم محمد.

ثم يصلي مُحَمَّدٌ ﷺ ثماني ركعات - ركعات الفتح - شكرًا لله تبارك وتعالى، ويدخل على بيت ابنة عمه بجوار الكعبة أم هانئ بنت أبي طالب،

(١) البيت لعمر بن بركة الهمداني. انظر: الحماسة المغربية للجزاوي (٦١٥/١). تحقيق محمد رضوان الداية، نشر دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ١، ١٩٩١م.

فيسألها طعامًا فنقول: يا رسول الله، ليس عندنا إلا الخل. ليست عندنا شاة نذبحها، ولا عسل نُقدِّمه لك، ولا لبن، ولا قشدة، لا شيء غير الخل؛ فقال: «نِعْمَ الإِدَامُ الخَلُّ»^(١). الرسول الفاتح - أعظم رجل في جزيرة العرب في ذلك يوم - يأكل خبزًا مُقدِّدًا بالخل، هذا مُحَمَّدٌ ﷺ.

ثم يأتي إليه قومه الَّذِينَ طالما تناولوا عليه، وطالما آذوه، وطالما عذبوا أصحابه طوال هذه السنين، يأتون إليه في المسجد الحرام كأنَّ على رؤوسهم الطير، فيقول لهم: «يا معشر قريش، ما تَظُنُّونَ أَنِّي فاعل بكم؟» قالوا: خيرًا؛ أخ كريم، وابن أخ كريم. الطغاة الجبابرة الَّذِينَ قتلوا وسفكوا الدماء يقولون الآن: أخ كريم، وابن أخ كريم! فيقول: «لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ أَيُّوْمٌ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَ» [يوسف: ٩٢]، اذهبوا فأنتم الطلقاء»^(٢). أطلق سراحهم جميعًا إلا أفرادًا معدودين كانت لهم سيئات خاصة، هكذا كان مُحَمَّدٌ ﷺ.

خشوعه ﷺ وعبادته وزهده:

لم يكن مُحَمَّدٌ بالشرير، ولم يكن مُحَمَّدٌ بالظالم، ولم يكن مُحَمَّدٌ بالقاسي، بل كان ﷺ قلبًا رحيماً، يخشى الله ﷻ، ويذكر هازم اللذات، وكان رسول الله ﷺ، إذا صلى قام حتى تفطر رجلاه، قالت عائشة: يا رسول الله أتصنع هذا، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: «يا عائشة، أفلا أكون عبداً شكوراً»^(٣). كان يصلي بالليل حتى تتورم

(١) رواه مسلم في الأشربة (٢٠٥٢)، وأحمد (١٤٢٢٥)، وأبو داود في الأطمعة (٣٨٢٠)، عن جابر بن عبد الله.

(٢) ذكره ابن هشام في السيرة النبوية (٤١٢/٢)، عن ابن إسحاق، قال: حدثني بعض أهل العلم.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٨٣٧)، ومسلم في صفة القيامة (٢٨٢٠)، عن عائشة.

قدماه، وكان يصوم الأيام الكثيرة حتّى يقال: لا يفطر. ويُفطر حتّى يُقال: لا يصوم، كان ﷺ أكثر الناس عبادة لله.

كما كان ﷺ أكثر الناس زهدًا في الدُّنيا، لطالما جاع ووضع على بطنه حجرين من شدّة الجوع، وضع أصحابه حجرًا، ووجدوه يضع حجرين ليمسك بهما بطنه من شدّة الجوع^(١)، حتّى يهيئ الله له زادًا يأكله، قالت عائشة: «ما شبع رسولُ الله من خبز الشعير ثلاثة أيّام متوالية»^(٢). وقالت: «إن كان الهلال ثمّ الهلال ثمّ الهلال يظهر في الأفق، ثلاثة أهلة في شهرين، ولا يوقد في بيت رسول الله نار»^(٣). لا يطبخ فيه، بل يأكل ما تيسّر، لم يكن من أهل السرف، ولا من أهل الترف، لم تكن الدُّنيا تساوي عنده شيئًا، وقال عنها: «إنّها لا تزُن عند الله جنح بعوضة»^(٤).

كانت الوسادة التي ينام عليها من آدمٍ حشوه ليف، وكان ينام على حصير، دخل عليه عمر بن الخطّاب فوجد الحصير قد أثر في جنبه فقال: يا رسولَ الله، كسرى وقيصر عندهم الذهب والفضة، وينايمان على الديباج والحرير، وأنت تنام على الحصير حتّى يؤثّر في جنبك؟! فقال: «يا عمر، أما ترضى أن تكون لهم الدُّنيا ولنا الآخرة؟ أولئك قوم عَجَلت لهم طيباتهم في حياتهم الدُّنيا»^(٥). ولنا الآخرة.

(١) رواه الترمذي في الزهد (٢٣٧١)، واستغربه. والبيهقي في شعب الإيمان (٩٩٤٣)، وقال العراقي في تخريج الإحياء ص ٨٤٢: ورجاله كلهم ثقات. وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٤١٣)، وقال في الصحيحة (١٦١٥): الحديث حسن بمجموع الطرق. عن أبي طلحة.

(٢) متّفق عليه: رواه البخاري في الأُطعمة (٥٤١٦)، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٩٧٠).

(٣) متّفق عليه: رواه البخاري في الهبة (٢٥٦٧)، ومسلم في الزهد (٢٩٧٢).

(٤) رواه الترمذي (٢٣٢٠)، وقال: صحيح. وابن ماجه (٤١١٠)، كلاهما في الزهد، والحاكم في الرقاق (٣٠٦/٤)، وصحّحه، وقال الذهبي: زكريا بن منظور ضعّفه. وصحّحه الألباني في الصحيحة (٩٤٣)، عن سهل بن سعد.

(٥) متّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٩١٣)، ومسلم في الطلاق (١٤٧٩)، عن ابن عباس.

ودخل عليه ابن مسعود فوجد مثل هذا وقال ما قال، فقال له رسول الله ﷺ: «ما لي وللدنيا، إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب في يوم صائفٍ استظلَّ تحت شجرة في ساعةٍ من نهار، ثمَّ رحل وتركها»^(١). الدنيا بالنسبة له مَقِيلٌ يَقِيلُ فيه ساعة القيلولة، ساعة الحرِّ الشديد، يدخل تحت ظلِّه ساعة من نهار ثمَّ يتركه، هكذا كان مُحَمَّدٌ ﷺ، وهكذا عاش.

ماذا يأخذ الشعاع من الدنيا؟ شعاع الشمس ينزل فيملاً الدنيا بهجة ونورًا وحرارة وضياء، ولا يأخذ منها شيئًا، يجعل الحياة تستمر، ولكنه لا ينال من الدنيا شيئًا.

أكرم الخلق وسيد الرسل والأنبياء:

هكذا كان مُحَمَّدٌ ﷺ الذي يتقوَّل عليه هؤلاء المُتَقَوِّلُونَ، ويصفونه بصفات لا يسمح الإنسان لنفسه أن يوصف بها بشر عادي، فكيف بسيد الخلق، وسيد الرسل والأنبياء جميعًا؟

يقول شاعرنا في الجوهرة:

وأَفْضَلُ الْخَلْقِ عَلَى الْإِطْلَاقِ مُحَمَّدٌ، فَمِلْ عَنِ الشَّقَاقِ^(٢)

هو أفضل الخلق؛ فكيف يصفه هؤلاء بما يصفونه؟ إنهم يجهلون هذا الرسول الكريم، وعلينا نحن أن نرد عليهم بما يليق بنا، برسالتنا، بنبوة نبينا، بتعاليم قرآننا، بكرائم حضارتنا، لا نرد عليهم بالعنف.

(١) رواه أحمد (٤٢٠٨)، وقال مخرّجوه: صحيح. والترمذي (٢٣٧٧)، وقال: حسن صحيح. وابن

ماجه (٤١٠٩)، كلاهما في الزهد. عن عبد الله بن مسعود.

(٢) هو إبراهيم اللقاني في منظومته جوهرة التوحيد، انظر: حاشية البيجوري على الجوهرة ص ٢١٤، نشر دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٢ م.

والَّذِينَ رَدُّوا عَلَيْهِم بِالْعَنْفِ مُخْطِئُونَ أَيُّهَا الْإِخْوَةَ، لا بَدَّ أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْأَقْوَى، نَحْنُ الْأَعْظَمُ، نَحْنُ الْأَكْرَمُ، نَحْنُ الْأَمْثَلُ، نَحْنُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، الْأُمَّةَ الْوَسْطَى، ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣]، شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ، فَنُعَلِّمُ الْبَشَرِيَّةَ، يَنْبَغِي أَلَا نَسِيرَ مَعَ الْآخِرِينَ، بَلْ يَجِبُ أَنْ نَعْطِيَهُمْ دُرُوسًا، نَقُولُ لَهُمْ: إِنَّكُمْ أَخْطَأْتُمْ فِي حَقِّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، لَمْ تَعْرِفُوا قَدْرَهُ.

تعريف الأمم بسيرته العاطرة ورسالته العظيمة:

وعلينا نحن أن نقوم بتعريف الأمم بما لمحمد ﷺ من سيرة عاطرة، ومن رسالة عظيمة، ومن تعاليم عليا، ومن مثل رفيعة، ترك لنا ﷺ قرآنا يهدي للتي هي أقوم، وسيرة تمثل كل خير للبشرية؛ كيف يتمثل كل إنسان القيمة العليا من هذه السيرة، فكل إنسان - كما شرحت لكم من قبل - يجد في هذه السيرة القدوة له، الشاب يجد له قدوة، الشاب العازب، والشاب المتزوج، ومن تزوج امرأة واحدة، ومن تزوج أكثر من امرأة، ومن أنجب، ومن لم ينجب، ومن أنجب ومات أولاده، والجد، والمسالم والمقاتل، والغني والفقير، والحاكم والمحكوم، كل إنسان يجد في سيرة محمد القدوة، ليس للأنبياء الآخرين مثل هذه السيرة، عيسى ﷺ لم يتزوج، ولم ينجب، ولم يحارب، ولم يسالم، ولم يحكم، ولم يكن رئيس دولة.

لكنَّ مُحَمَّدًا ﷺ هُوَ الَّذِي جَمَعَ هَذِهِ السَّيْرَةَ الْعَظِيمَةَ، نَحْنُ نَبَاهِي بِهَذَا النَّبِيِّ الْعَظِيمِ، يَجِبُ أَنْ نُعَلِّمَ النَّاسَ سَيْرَتَهُ، يَجِبُ أَنْ نُعَلِّمَ النَّاسَ رِسَالَتَهُ، نُعَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا يُعَلِّمُ النَّاسَ، نُعَلِّمُهُم بِالْكَتَبِ الْكَبِيرَةِ، وَالْكَتَبِ الْمَتَوَسِّطَةِ، وَالرِّسَائِلِ الصَّغِيرَةِ، بِمَا يُنْشَرُ مَطْبُوعًا، وَمَا يُنْشَرُ عَلَى

الفضائيات، والإذاعات، والإنترنت، والصحف، وما يُنشر كأفلام، لا بدّ أن تكون لنا أفلام تُبَيِّن رسالة مُحَمَّد ﷺ، نحن الأمة الإسلاميّة الكبرى - مليون وثلاثا مليار من البشر - لم نُقدِّم إلى الآن سيرة الرسول، وفي قطر الآن فلم عن سيرة رسول الله ﷺ، يقوم عليه بعض الإخوة الشباب، ودولة قطر تساعد في هذا، وتعين عليه، وتقوم بما ينبغي، وعلى الجميع أن يعمل على هذا، نُقدِّم سيرة الرسول، ورسالة الرسول، السيرة والرسالة، لا بدّ أن نُقدِّم الأمرين معًا، السيرة وحدها لا تكفي، ولكن نُقدِّم رسالة الرسول أيضًا، الرسول ترك لنا رسالة عظيمة علينا أن نقدمها للناس، وترك لنا قرآنًا عظيمًا، وترك لنا سنّة واسعة، وترك لنا أمّة عظيمة منتشرة في العالم تقوم على هذه الرسالة، علينا أن نرعى هذا الأمر، وأن نكون أوفياء لهذا الدين، ليس الوفاء أن نذهب إلى السفارات ونرميها بالحجارة، أو نُشعل فيها النار، ونقتل السفير، ونقتل مَنْ معه، ليس هذا هو الوفاء لديننا، ليست أمريكا - كدولة - وراء هذا الأمر، نحن نقول لأمريكا: ينبغي أن يكون لك موقف أقوى، وتحاولين أن تقفي - كما تحاول البلاد الأوربية - أن تقف ضد هذا التطرف. هذا الفيلم المسيء لنبينا ليس إبداعًا، ليس حرية في التعبير، هذا سبٌّ وشتم، هل حرّية السبِّ والشتم تعتبر تعبيرًا؟ إذا سببت إنسانًا فلعلنت أباه؛ هل يعتبر هذا إبداعًا؟ هذه رذيلة، هذه شتيمة، هذا سباب، لا نريد للأمم أن تتعلّم السباب، ولكن تتعلّم العفاف، تتعلّم الأدب، هذا ما ينبغي أن نُعلّمه للعالم، ونُعلّمه لأمتنا.

يجب أن نتعلّم هذا أيّها الإخوة، ونعمل على أن نُقدِّم رسولنا للعالم في أعظم صورة تليق به بكل ما نستطيع، ونحن أمّة كبيرة تستطيع أن تُقدِّم رسولها للناس في عصر كثرت فيه ألوان الإعلام



القادرة على التأثير، نحن قادرون على أن نُقدِّم هذا، ونسأل الله تبارك وتعالى أن يُعلِّمنا ما ينفَعنا، وأن ينفَعنا بما علَّمنا، وأن يهدينا إلى التي هي أقوم، وأن يجعلنا خير أمة للناس، نأمر بالمعروف، وننهي عن المنكر، ونؤمن بالله.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *



الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

كلمتنا عن إخواننا في سوريا، هؤلاء الإخوة الذين مرت عليهم هذه الشهور الطويلة، وهم صابرون على ما أصابهم من بأساء وضرّاء، وحين البأس، قاموا يطالبون بالحرّية، ومن حق الإنسان أن تكون له الحرّية، «متى استعبدتم النَّاس وقد ولدتهم أمّهاتهم أحرارًا؟»^(١). النَّاس ولدتهم أمّهاتهم أحرارًا؛ فلماذا يستعبدهم المُستعبدون؟

قامت سوريا كما قامت مصر من قبلها، وكما قامت تونس، وكما قامت ليبيا، وكما قام اليمن، وكما تقوم شعوب في بلاد الأرض كلها تطالب بالحرّية، أليس طلب الحرّية حقًا؟!

ولكن النظام السوري - النظام المستكبر المُتجبر - لم يسمح بهذا الأمر، قابله من أول يوم بالعنف، بالعصا، بالحديد والنار، بالقوة القاهرة، لم يسمح لهذا الشعب أن يرفع صوته، لم يكن مع أحد منهم عصا، ولا حجر، ولا سيف، ولا سكين، ولا أي شيء، ظل هذا الشعب شهورًا وهو ينادي بالحرّية، ولكن النظام السوري ظل يُقتل هذا الشعب، يُقتله بجيشه، وشرطته، وشبّيحته، والشبيحة أناس بلطجية يُقتلون المتظاهرين بالسكاكين، والسيوف، وبكل ما تستطيع لصالح الحكومة، يُقتلونهم في الشوارع، وفي البيوت، يدخلون عليهم مخادعهم، وظلّ

(١) فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم ص ١٩٥، نشر مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥هـ، وحسن المحاضرة للسيوطي (٥٧٨/١)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، مصر، ط ١، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

الشعب صابراً صامداً يُقدّم كل يوم شهداء، ما رأيت يوماً مرّ على الشعب السوري دون أن يُقدّم شهداء هم الآن بالمئات، ودعونا الجيش إلى أن ينضمّ إلى الشعب، قلنا لمن فيه: يجب أن تتركوا هذا الجيش وتنضموا إلى هذا الشعب، وأن تقفوا مع أهليكم وأبنائكم وإخوانكم. واستجاب لنا كثيرون، وانضموا إلى الجيش الحر.

ولكن الجيش الحر يُقاتل بما يملك، وهو لا يملك إلا القليل من السلاح الذي ساعدته به بعض البلاد، ولكنّه يحتاج إلى الكثير والكثير ليدفع عن الشعب بطش الجيش السوري الذي يقاتل بأسلحة الدولة التي اشترته له بقوت الشعب السوري، بأرزاق بنيه، بهذا المال اشترت الأسلحة من روسيا وغيرها لتقاتل هذا الشعب، تقاتله بالدبابات، وبالصواريخ، وبالراجمات، وبالمروحيات، وبالطائرات التي تقاتل في الحروب العالميّة، ما رأينا حكومة تقاتل شعبها بهذه القسوة، ما رأينا ذلك إلا في الحروب الاستعماريّة الوحشية التي يقاتل فيها المستعمرون الشعوب، حتّى بعض المستعمرين لا يفعلون هذا، إسرائيل تفعل هذا بالفلستينيين أياماً أو أسابيع ثمّ تكف، لكن هؤلاء يظلون سنة أو أكثر يضربون هذا الشعب ليلاً ونهاراً، وصباحاً ومساءً، ولا يملّون، ويُقتلون رجالاً ونساءً وشيوخاً وأطفالاً، الأطفال بالعشرات وبالمئات، هذا ما يجري للشعب السوري الذي وقف ينادي بحريته.

علينا - أيّها الإخوة - أن نقف مع هذا الشعب، يجب أن نكون كلنا مع الشعب السوري، نسند ظهره، ونشد أزره، ونُقوّيه، ونقول له: نحن معك، نحن منك وأنت منا. هذا الشعب ليس غريباً عنا، فواجب على كلّ منا وجوباً دينياً، مفروض على كل منا فريضة شرعيّة أن نكون مع

هذا الشعب، مَنْ استطاع أن يؤيِّده بنفسه فليفعل، مَنْ استطاع أن يذهب إلى هناك ليقاتل مع هذا الشعب فليفعل، مَنْ استطاع أن يرسل إليه سلاحًا فليفعل، يجب على الدول العربيَّة أن ترسل السلاح إلى الشعب السوري الَّذي يُقاتل، هذا فرض على البلاد العربيَّة، لا يكفي أن تبعث بعوثًا، ماذا يفعل المبعوث المسكين لهذا النظام المتغطرس؟ لا يستطيع أن يفعل شيئًا أمام هذا الجيش النظامي المقاتل الَّذي يقاتل بكل قوَّته، بكل ما عنده من ذخيرة وسلاح، لا يدَّخر شيئًا ليقتل هذا الشعب، على الدولة العربيَّة أن تبعث بما تستطيع من أسلحة لهذا الشعب.

وعلى الأمم المتحدة، ومجلس الأمن، والجامعة العربيَّة، ومنظمة التعاون الإسلامي، وعلى أحرار العالم، على كل حر شريف أن يقف مع الشعب السوري.

نحن مع هذا الشعب، ولن يركع هذا الشعب أبدًا، لقد بذل ما بذل، عشرات الآلاف قدمها الشعب السوري من قبل طيبة بها نفسه، الأمهات كنَّ يُزغردن حين يُقتل أولادهن، فَرِحَات بما قدَّمن في سبيل الله من شهداء، شعب عظيم هذا الشعب المؤمن، يجب على هذا الشعب أن يتكاتف، وأن يتساند، وأن يشدَّ بعضه أزر بعض.

قام إخواننا العلماء في قطر بإقامة رابطة علماء الشام، وزاروني فرحبت بهم، وقلت لهم: أنا معكم، وأشدُّ على أيديكم، ولكن لا تكونوا في جزيرة منعزلة، بل انضموا إلى رابطة العلماء في سوريا بعضكم مع بعض، فأنتم شعب واحد، يجب أن تكون كل روابط العلماء بعضها مع بعض لتقف ضد العلماء الَّذين يؤيدون هذا النظام.

رأينا للأسف من العلماء مَنْ يقف مع النظام القاتل، النظام الجائر،



النظام الظالم، هؤلاء أناس متعوسون مبهوسون، مطموسون، طمس الله على بصائرهم، ليست لهم عيون ترى، ليست لهم آذان تسمع، ليست لهم قلوب تعقل؛ خرب الله هذه الأجهزة عندهم فأصبحوا يؤيدون هذا النظام، سيأتي عليهم يوم يندمون فيه، الشعب السوري كله مع الثورة السورية إلا هذه القلّة التي لا قيمة لها، قلّة منبوذة، قلّة ممجوجة، قلّة فاسدة، قلّة كاسدة، قلّة طمس الله عليها، ولكن الشعب السوري سينتصر، ونحن سنقف مع الشعب السوري.

يا أيّها الشعب السوري العظيم، نحن معك في قطر، في بلاد الخليج، في بلاد العرب، كل العرب معك، كل المسلمين معك، كل الأحرار الشرفاء في العالم معك، ولا يمكن إلا أن يكونوا معك، وستنتصر إن شاء الله؛ لأنّ سنّة الله أن ينتصر الحقُّ على الباطل، وينتصر العدلُ على الظلم، وينتصر الخير على الشر، وينتصر الصلاح على الفساد، هذه سنّة الله، ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣].

اللهم إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا، وأهلينا وأموالنا، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيمننا وشمالنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغتال من تحتنا.



٥

الأمّن الغذائي في ضوء الإسلام^(١)

الخطبة الأولى

أمّا بعدُ، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

نعم الله تعالى علينا كثيرة وفيرة، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤، النحل: ١٨]. وكلّ النعم التي ننعم بها من الله عَجَلٌ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

نعمة الشبع والرخاء، ونعمة الأمن من الخوف:

وإنّ من أعظم النعم التي امتنّ الله بها علينا نعمتين ذكرهما القرآن الكريم: نعمة الشبع والرخاء، ونعمة الأمن من الخوف، كما قال الله تعالى ممتناً على قريش: ﴿لِيَلْفِ قُرَيْشٍ * إِذْ لَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ١ - ٤].

يستحق الله العبادة من قريش خاصّة، ومن النّاس عامّة، لهاتين النعمتين؛ إنّه أشبعهم وأطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف، حيث

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ١٨ أبريل ٢٠٠٨م.

يُتخطف النَّاسُ من حولهم، وهم في بلدهم آمنون بسبب بيت الله الحرام، الذي كانوا سدنته وخدمته.

نعمة الشَّبع أو الرِّخاء نعمة عظيمة؛ فالإنسان حينما خلقه الله خلقه من عنصرين: عنصر أرضي، وآخر سماوي، أو عنصر مادي، وآخر رُوحِي.

العنصر المادي الطين والحمأ المسنون يحتاج إلى غذائه ممَّا تنبت الأرض، كما قال وَعَجَلٌ: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨]. ليسوا كالملائكة، فالملائكة لا يأكلون الطعام، أمَّا البشر من حيث هم بشر، ولو كانوا أنبياء، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠]، الأنبياء يأكلون الطعام، وكل بشر يحتاج إلى الطعام.

ومن أجل هذا خلق الله الأرض، واستخلف فيها الإنسان، وأمره أن يعمرها، ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، لتنتب للإنسان ما يحتاج إليه من غذاء وطعام، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ [الملك: ١٥]. تصوّر لو كانت هذه الأرض قطعًا من الذهب أو الفضة؛ ماذا يُغني الذهب والفضة للناس؟ لن يأكلوا ذهبًا ولا فضة، ولكن خلقها ذلولًا، مذلة للإنسان، تربتها صالحة لأن تبذر فيها الحب، وترجو الثمر فيها من الرب.

الأقوات موجودة في الأرض:

وخلق الله هذه الأرض تتضمّن معاش الإنسان، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠]. وقال: ﴿وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ [فصلت: ١٠]. الأقوات التي يحتاج إليها سكان الأرض موجودة في الأرض.

بعض الاقتصاديين كالاقتصادي المشهور (توماس مالتوس) كان متشائمًا، يعتبر أنه كلما ازداد عدد الناس قلت الموارد، وبعد مدة من الزمن سيهلك الناس جوعًا، ونسي هذا الرجل أن الله قبل أن يخلق الناس هيأ لهم معاشهم، قال: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا﴾ [الأعراف: ١٠]. ثم قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [الأعراف: ١١]. قبل أن يخلقهم هيأ لهم معاشهم، وبارك في هذه الأرض، وقدر فيها أقواتها. ومن أجل هذا ضمن الله الرزق للبشر، ولكل الأحياء التي تدب على الأرض؛ حينما قال: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

قيمة الغرس والزرع:

هناك موارد الرزق في الأرض التي تُزرع أو تُغرس، ومن أجل هذا جاء الحثُّ على الزرع والغرس كما جاء في الحديث: «ما من مسلم يغرس غرسًا، أو يزرع زرعًا؛ فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»^(١). يؤجر على هذا الغرس أو الزرع كلما أكل منه مخلوق، ويظل يأخذ أجرًا على ذلك طالما انتفع الأحياء به.

هذه قيمة الغرس والزرع، حتّى إنَّ النبي ﷺ يقول: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة - نخلة صغيرة، أو شتلة - فإن استطاع ألا تقوم حتّى يغرسها؛ فليغرسها»^(٢). يزرع إلى أن تلفظ الحياة آخر أنفاسها.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المزارعة (٢٣٢٠)، ومسلم في المساقاة (١٥٥٣)، عن أنس.

(٢) رواه أحمد (١٢٩٨١)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والبخاري في الأدب المفرد (٤٧٩)، والضياء في المختارة (٢٧١٥)، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٩)، عن أنس.

ويقول النبي ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَزْرَعْهَا أَوْ لِيَمْنَحْهَا أَخَاهُ»^(١). إذا لم تستطع زرعها أعطها غيرك يزرعها: بالإعارة أو بالهبة أو بالتملك أو بالإيجار، كما كان سيدنا عمر بن عبد العزيز يقول للناس في زمنه عن الأرض الزراعية: زارعوا عليها: بنصفها، بثلثها، بربعها، بخمسها، بعشرها، ولا تدعوا الأرض خراباً^(٢). ازرع الأرض، فإن لم تقدر أعطها غيرك ليزرعها بأي قدر - ولو بسيط - حتى تظل الأرض مزروعة، ويستمر العمران.

ويقول ﷺ: «مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ»^(٣). زراعة الأرض البور يسميها الحديث (إحياء الموات)، كأنَّ الأرض ميتة، وحينما تسوق إليها الماء، وحينما تُهيئها للزراعة فقد أحييتها، وبهذا تستحق أن تملكها، فهناك موارد الرزق من الزراعة.

الثروة الحيوانية والمائية:

وهناك موارد الرزق من الثروة الحيوانية: الإبل والبقر والغنم وكل ما يؤكل، حتى الدواجن في البيوت، وكل هذه الثروة الحيوانية التي تعطي الإنسان اللحم والبروتين.

وهناك الثروة المائية: الأحياء المائية، الأسماك وغيرها من الحيوانات المائية التي توجد في البحار، وهذه ثروة لم يستطع الإنسان أن يستفيد منها تماماً، ومن المعلوم أن ثلاثة أرباع الكرة الأرضية مياه ومحيطات، وكلها مليئة بالخيرات.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المزارعة (٢٣٤١)، ومسلم في البيوع (١٥٤٤)، عن أبي هريرة.

(٢) المحلى لابن حزم (٥٠/٧).

(٣) رواه أحمد (١٤٨٣٩)، وقال مخرجه: حديث صحيح. والترمذي في الأحكام (١٣٧٩)، وقال:

حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٧٥)، عن جابر.

هذه موارد لرزق الإنسان، فإذا لم يجد الإنسان الرزق أمامه؛ فلا بد أن يكون هذا من ظلم الإنسان أو جهله، ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].
 إمَّا أَنَّ الْإِنْسَانَ لَجَهْلِهِ لَمْ يَسْتَغْلِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ مِنْ خَيْرَاتٍ: فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ، وَفِي الْبَحَارِ، وَفِي الْيَابِسَةِ.

وإمَّا أَنَّ الْإِنْسَانَ ظَلَمَ نَفْسَهُ أَوْ ظَلَمَ غَيْرَهُ، وَمَنْ ظَلَمَ الْإِنْسَانَ لِأَخِيهِ الْإِنْسَانَ، أَنْ يَوْجِدَ بَعْضَ النَّاسِ يَأْكُلُونَ وَلَا يَعْمَلُونَ، وَأَنَاسٌ آخَرُونَ يَعْمَلُونَ وَلَا يَأْكُلُونَ، هَذَا مِنَ الظُّلْمِ الَّذِي يَقَعُ لَدَى الْبَشَرِ.

هناك فوارق شنيعة بين الناس بعضهم وبعض، هناك مَنْ يلعب بالملايين، وهناك مَنْ لا يجد الملايين، هناك مَنْ يضع يده على بطنه يشكو من زحمة التخممة، من كثرة ما أكل، يبحث عن عصائر مُهضِّمة؛ أكل أكثر ممَّا ينبغي، وهناك مَنْ يضع يده على بطنه يشكو من عضه الجوع.

وللجوع عضَّة؛ كأنها عضَّة الثعبان، كاد الجوع أن يكون كفرًا، استعاذ النبي ﷺ من الجوع فقال: «اللهم إني أعوذ بك من الجوع؛ فإنه بئس الضجيع»^(١). الجوع بئس مَنْ يضاجعك ويرافقك.

شر عقوبتين يعاقب الله بهما المجتمعات المنحرفة: الجوع والخوف، إذا سلَّط الله على مجتمع الجوع والخوف؛ فقد سلَّط عليه من العقوبات شرَّها. يقول الله ﷻ: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]. هذا ما يقوله الله، الجوع والخوف من شرِّ العقوبات التي تتلى بها المجتمعات.

(١) رواه أبو داود في الصلاة (١٥٤٧)، والنسائي في الاستعاذة (٥٤٦٨)، وابن ماجه في الأَطعمة (٣٣٥٤)، وصحح إسناده النووي في رياض الصالحين (١٤٨٥)، وحسنه ابن حجر في نتائج الأفكار (٨٨/٣)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (١٣٨٣)، عن أبي هريرة.

ولهذا نجد الحديث في عصرنا عن الأمن الغذائي، أصبح الغذاء يدخل في باب الأمن هو الآخر، الإنسان في حاجة إلى أن يأمن على قوته، وفي الحديث: «مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مَعْفَى فِي بَدَنِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ؛ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحِذَافِيرِهَا»^(١). عنده قوت يومه، يأمن على قوته.

أمّا أن يصبح فلا يعرف هل يجد قوت يومه؟ هل يجد قوت عياله؟ هل يستطيع أن يشتري الرغيف من المخبز؟ هل يستطيع أن يشتري الأرز من الدكان؟ هل عنده ما يمسك رmqه، ما يطفئ حرقه؟ هذه قضية كبيرة تقوم من أجلها الثورات، وتنقلب من أجلها المجتمعات، وتُقلب من أجلها الحكومات: قضية الجوع.

يقول سيدنا أبو ذر فيما يُروى عنه: عجبت لمن لا يجد القوت في بيته؛ كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه؟ جوعان لا يجد ما يأكله، كيف لا يثور على الناس؟ كيف لا يخرج عليهم شاهراً سيفه؟ وخصوصاً إذا وجد بجواره مَنْ ينعم بما لذّ وطاب من الطعام والشراب.

هناك مَنْ تتكلف مائدته الألوْف، هناك مَنْ يستورد عشاءه من باريس أو سويسرا، هناك أناس يتفننون في لذات بطونهم، وينسون أن من حولهم مَنْ لا يجد القوت، أن هناك أطفال يتصوّرون ويئنون من الجوع أنين الملسوع.

هناك أناس يرمون في صناديق القمامات لحمًا وأرزًا وأشياء كثيرة، وهناك آخرون في بعض البلاد يبحثون في صناديق القمامة

(١) رواه الترمذي (٢٣٤٦)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه (٤١٤١)، كلاهما في الزهد، وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٣١٨)، عن عبيد الله بن محصن الأنصاري.

عن شيءٍ يصلح للأكل، لقمة جافّة، أو شيئاً يصلح أن يملأ به شيئاً من معدته.

ويقول الإمام عليّ رضي الله عنه: لو تمثّل لي الفقر رجلاً لقتلته. وفي بعض الأحاديث: «كاد الفقر أن يكون كُفراً»^(١). وفي حديث آخر: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر»^(٢). قرن بين الكفر والفقر؛ لأن الفقر يمكن أن يؤدي إلى الكفر، كما قال بعض الصحابة: إذا ذهب الفقر إلى بلد، قال له الكفر: خذني معك. إنّ الإنسان إذا افتقر، وخصوصاً إذا كان بجواره الأغنياء والمترفون والشّبعي، فهذا يؤدّيه إلى الكفر والعياذ بالله.

ولهذا أوقف سيدنا عمر رضي الله عنه حد السرقة؛ حينما أصاب الناس الحاجة عام المجاعة، لم يقطع يد سارق؛ لماذا؟ لأن هناك شبهة عامّة في أنّ السارق لا يسرق إلّا من حاجة، إلّا من الجوع^(٣)، هو لم يسقط الحد لأنّ الحدّ لم يجب أساساً، الحد لا يجب إلّا إذا انتفت الشبهات، «ادروا الحدود بالشبهات»^(٤)، والشبهة قائمة، ولذلك كان من فقه عمر عدم إقامة الحد؛ لأن شرطاً من شروط إقامة الحد غير موجود، وهو شرط انتفاء الشبهة، هكذا كان المسلمون رضي الله عنهم.

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٥٣/٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦١٨٨)، وضعّفه الألباني في ضعيف الجامع (٤١٤٨)، عن أنس.

(٢) رواه أحمد (٢٠٤٠٩)، وقال مخرّجوه: إسناده قوي على شرط مسلم. وأبو داود في الصلاة (١٥٤٤)، والنسائي في السهو (١٣٤٧)، وابن خزيمة في الصلاة (٧٤٧)، عن أبي بكر.

(٣) انظر: إعلام الموقعين عن ربّ العالمين لابن القيم (١٧/٣)، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

(٤) رواه ابن حزم في كتاب الإيصال، كما في التلخيص الحبير (١٦٢/٤)، وصحّحه ابن حجر، من قول عمر بن الخطاب.

التكافل الاجتماعي في الأمة:

وكانت هذه الأمة يكفل قويُّها ضعيفها، وغنيُّها يأخذ بيد فقيرها، ومليئها يصبُّ على فارغها، أمة كالجسد الواحد، كالبنيان المرصوص، يشدُّ بعضه بعضاً، هكذا كانت الأمة.

أمر الإسلام أن يُطعم الجائع، ونهى أن تترك الجائع جائعاً وأنت شعبان، أمن الإسلام، أمن الإنسانية أن تأكل ملء بطنك، وتنام ملء جفحك، وتضحك ملء سنك، وبجوارك من لا يجد القوت؟ لا بد أن تقاسمه ما عندك، هكذا أمر الرسول ﷺ الصحابة: أن يعين بعضهم بعضاً، فقال: «طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية»^(١). هكذا، كما قال عمر: إنَّ النَّاسَ لَن يَهْلِكُوا عَلَى أَنْصَافٍ بَطُونِهِمْ^(٢).

ويقول النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ؛ فليعد به على مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ زَادَ؛ فليعد به على مَنْ لَا زَادَ لَهُ»^(٣). وهكذا، الأمة متكافلة، لا بد أن يُطعم الجائع، ليس من الإسلام أن تترك النَّاسَ حَوْلَكَ وَأَنْتَ تَشْبَعُ.

وعرض لنا القرآن مشهداً من مشاهد القيامة، من مشاهد أهل الجحيم، حينما يسأل أهل الجنة أهل سقر، الَّذِينَ دَخَلُوا النَّارَ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿١﴾ إِلَّا الْأَصْحَابَ الَّذِينَ فِي جَنَّةٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٣﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤﴾﴾ [المدثر: ٣٨ - ٤٢].

(١) رواه مسلم في الأشربة (٢٠٥٩)، وأحمد (١٤٢٢٢)، عن جابر.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات (٣١٦/٣)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٦٨م.

(٣) رواه مسلم في اللقطة (١٧٢٨)، وأبو داود في الزكاة (١٦٦٣)، عن أبي سعيد الخدري.

ما الذي أدخلكم النار؟ ﴿ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾ ﴿ وَلَمْ نَكُ نَطْعِمُ الْمَسْكِينِ ﴾ [المثثر: ٤٣ - ٤٤]. أضعنا حقَّ الله بإضاعة الصلاة، وأضعنا حقَّ المساكين بإضاعة الزكاة.

الحض على طعام المسكين:

وأهم من ذلك أن الإسلام لا يفرض إطعام المسكين فقط، بل يفرض فريضة أخرى تميز بها هذا الدين العظيم سمّاها القرآن (الحض على طعام المسكين)، كلُّ مُسْلِمٍ مُطَالِبٌ أَنْ يَحْضَ الْأَخْرَيْنَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ، ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ﴾ [الماعون: ١]، الكافر الذي يكذب بالدين وبالقيامة وبالجزاء، ﴿ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴾ ﴿ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴾ [الماعون: ٢ - ٣].

ويعرض القرآن علينا أيضًا من مشاهد القيامة ذلك الذي يأخذ كتابه بشماله من أهل المال، ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي ﴾ ﴿ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴾ [الحاقة: ٢٨ - ٢٩]، فيقول الله: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾ ﴿ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾ ﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾ ﴿ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴾ ﴿ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴾ [الحاقة: ٣٠ - ٣٤]. قرن عدم الحض على طعام المسكين بالكفر.

ولذلك كان أبو الدرداء يقول لزوجته: يا أم الدرداء، إنَّ لله سلاسل لم تزل تغلي بها النار منذ خلق الله النار: كسرنا نصفها بالإيمان بالله، فاكسري النصف الآخر بالحض على طعام المسكين يا أمَّ الدرداء^(١).

والحض على طعام المسكين واجب جماعي، يقول القرآن يصف المجتمع الجاهلي: ﴿ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴾ ﴿ وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴾ [الفجر: ١٧ - ١٨]. اليتيم ضائع فيكم، ولا يحض بعضكم بعضًا

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور لعبد بن حميد وابن المنذر (٢٧٤/٨)، نشر دار الفكر، بيروت.

على طعام المسكين، فإيّاك أن تقول: لا شأن لي، فأنا أدّيتُ زكّاتي وانتهى الأمر. لا، بل عليك فريضة أخرى أن تحضّ الآخرين على إطعام المساكين، وهذا كما يقول الإمام مُحَمَّد عبده: أصل في تأسيس الجمعيات الخيرية لإغاثة الفقراء والمساكين. حتّى تتفادى هذا الذنب يمكنك أن تحضّ غيرك بإنشاء هذه الجمعيات، فالإسلام يأمر بإطعام المسكين، والحض على إطعامه.

كما أوجب الإسلام الزكاة، وجعلها الركن الثالث من أركانه الخمسة، وقرنها بالصلاة في ثمانية وعشرين موضعًا من القرآن، هذا ليسدّ حاجة الجائعين والفقراء؛ فأول أهداف الزكاة حل مشكلة الفقر، «تؤخذ من أغنيائهم لتُرد على فقرائهم»^(١).

ثم هناك نفقات الأقارب، الأسرة في الإسلام يكفل بعضها بعضًا، الموسر ينفق على المعسر، والغني يحمل الفقير.

ثم تكافل أهل الحي بعضهم وبعض، «ليس منّا من بات شبعان وجاره إلى جنبه جائع»^(٢)، لا يجوز أن تقول: وماذا أفعل له وقد أدّيت الزكاة، فليمت. كيف تترك أخاك يموت وأنت حي؟! قال الإمام ابن حزم: ولا يحل لمسلم اضطر أن يأكل ميتة، أو لحم خنزير، وهو يجد طعامًا فيه فضل عن صاحبه، لمسلم أو لذمي؛ لأنّ فرضًا على صاحب الطعام إطعام الجائع؛ فإذا كان ذلك كذلك، فليس بمضطر إلى الميتة،

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٤٩٦)، ومسلم في الإيمان (١٩)، كلاهما في الزكاة، عن ابن عباس.

(٢) رواه الطبراني (٢٥٩/١)، والبخاري (٧٤٢٩)، وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٣٨٧٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٥٥٤)، وابن حجر في القول المسدد (٢١/١)، عن أنس.

ولا إلى لحم الخنزير. وله أن يُقاتل عن ذلك، فإن قُتل فعلى قاتله القود، وإن قُتل المانع فإلى لعنة الله؛ لأنه منع حقًا، وهو طائفة باغية^(١).

ويقول ابن حزم: وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد: أن يقوموا بفقرائهم، ويجبرهم السلطان على ذلك^(٢). هذا هو المجتمع الإسلامي!

ثم هناك في موارد الدولة من الغنائم والفيء والخراج وهذه الأشياء فيها كلها مجال لإطعام الفقراء، ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ [الحشر: ٧]، الفئات الضعيفة في المجتمع يجب أن يكون لها حقها في مال الدولة.

ثم هناك التكافل الاجتماعي العام، الإسلام يلزم مجتمعه بالتكافل؛ فيما بين بعضه وبعض، هذا شأن المجتمع المسلم.

وهناك - غير الزكاة وموارد الدولة - الصدقات التطوعية، والوصايا، والأوقاف، وغيرها، كل هذه موارد لإمداد الإنسان المحتاج بما يحتاج إليه من قوت، هذا هو شأن مجتمعنا المسلم.

ولكننا للأسف نجد في مجتمعاتنا من لا يجد القوت في بيته، من لا يجد قوت يومه، غلاء الأسعار التي يشكو منها الجميع في كل مجتمعاتنا العربية، حتى في مجتمعاتنا الخليجية ذات الوفرة، التي أفاء الله عليهم بها، يوجد ناس هنا لا يكادون يجدون قوت أبنائهم.

ماذا يفعل إنسان يأخذ ثلاثة آلاف، وهو مطلوب منه أن يسكن

(١) المحلّي بالآثار (٢٨٤/٤) مسألة (٧٢٥).

(٢) انظر: المحلّي بالآثار (٢٨١/٤) وما بعدها، مسألة (٧٢٥).

بخمسة آلاف أو ستة؟ ماذا يفعل النَّاسُ أمام غلاء الأسعار، غلاء البيوت، غلاء الوقود، غلاء الملابس، غلاء الأدوية، غلاء هذه الأشياء؟ ماذا يفعل الإنسان الفقير المحدود الدخل؟ العمال الذين يأتون بهم ويستغلونهم كأنهم ليسوا بشرًا؛ ماذا يفعل هؤلاء وموجة الأسعار تتعالى يوماً بعد يوم؟

وللأسف معظم التجار لا يقنعون من قليل، ولا يشبعون من كثير، سلع اشتروها بأثمان رخيصة، حينما تحدث زيادة في الرواتب عند بعض النَّاسِ يغلون الأسعار؟ يا أخي بعها بثمان معقول، لماذا تُغلي على الناس؟ وإغلاء الأسعار على النَّاسِ من أسباب غضب الله وسخطه على عباده، لماذا حَرَّمَ الإسلام الاحتكار، وقال نبي الإسلام: «مَنْ احتكر فهو خاطئ»^(١)؟ لأنَّ الاحتكار وخصوصًا احتكار الأقوات، احتكار الضروريات من أشد ما يحاربه الإسلام، وهناك ساقان تقوم عليهما الرأسمالية المتوحشة هما: الربا، والاحتكار، وكلاهما يحاربه الإسلام.

رحمة الفئات الضعيفة:

الإسلام يحرص أبلغ ما يحرص على الفئات الضعيفة؛ حتَّى لا تدوسها الأقدام، حتَّى لا يسحقها الأقوياء، حتَّى لا يقهرها أولئك الذين يملكون الأموال، ويملكون السلطان، ويملكون الجاه.

إنَّما يرحم الله النَّاسَ برحمة هؤلاء الضعفاء، «إنَّما تُرزقون وتُنصرون بضعفائكم»^(٢)، هكذا قال النبي ﷺ، الرزق والنصر، لأنَّ مَنْ الَّذِي يعمل وينتج؟ مَنْ الَّذِي يشتغل؟ ليسوا الأغنياء الكبار، الَّذِي ينتج هم هؤلاء

(١) رواه مسلم في المساقاة (١٦٠٥)، وأحمد (١٥٧٥٨)، عن معمر بن عبد الله القرشي.

(٢) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٩٦)، عن سعد بن أبي وقاص.

الفئات الضعيفة، وكما أنهم عدّة الإنتاج في السلم، هم أيضًا عدّة الكفاح في الحرب، هم الوقود عندما تقوم الحروب؛ لماذا يُهمل هؤلاء وهم سبب الرزق والنصر؟ «إنّما تُرزقون وتُنصرون بضعفائكم».

لهذا رأينا في أماكن شتى من المجتمعات: الاعتصامات تتوالى، والاحتجاجات تتعالى، الإضرابات تتعاضم، كل هذا من شكوى الإنسان من ظلم الإنسان.

لا بدّ أن تتدخل الدول لحماية الضعفاء، لا بدّ أن يتدخل المسؤولون، لا نريد اقتصادًا موجهًا مثل الاقتصاد الشيوعي، ولكن حينما يبالغ التجار أحيانًا؛ يمكن أن تقول الدولة: لا، ثبتوا سلع هذه الأشياء. كما فعلت بعض الدول في الخليج، لا بدّ من التدخل لحماية الضعيف، هناك جمعيات لحماية المستهلك، لأنّ المستهلك ضعيف أمام التاجر وأمام المنتج، خصوصًا إذا كان المنتجون أناسًا كبارًا ويحتكرون بعض السلع، لا بدّ للدولة أن تتدخل.

ولا بدّ للمجتمع أن يتدخّل: الهيئات المختلفة، والجمعيات المختلفة لا بدّ أن تقوم بدورها لحماية هؤلاء الضعفاء، الذين لا يملكون شيئًا، حرام علينا والله أيّها الإخوة أن نأكل ونشرب، ونملأ بطوننا، وفي مجتمعاتنا من لا يجد ما يملأ به بطنه وبطن أولاده، خصوصًا مجتمعات الخليج التي وسّع الله عليها من رزقه، وأصبح عندها والحمد لله فوائض أموال؛ كيف ندع إخوتنا من أهل الإسلام ومن أهل الإيمان، وحتى من غير المسلمين، فحتى الإنسان من حيث هو إنسان لا يجوز أن نتركه يموت من الجوع، لا يجوز أن نتركه يهلك من المرض، الإسلام يريد الإحسان إلى البشر جميعًا، ومما وصف القرآن به الأبرار قوله:

﴿ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسْكِنًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [الإنسان: ٨]. وكان الأسير من المشركين، لم يكونوا يأسرون إلا أهل الشرك، ولكن إطعام الأسير من أوصاف الأبرار، ﴿ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴾ [الإنسان: ٩].

رأينا في بعض البلاد إضرابات واعتصامات من أهل الجوع، وبعض الحكومات تقاوم هذا بالهراوات وعنف الشرطة، وبالقتل أحيانا، وبالاعتقالات أحيانا، وما هكذا تُعالج مثل هذه المشكلات!

لا بدّ أن نعالج المشكلات من جذورها، الجائع لا يُضرب، إنّما الجائع يُطعم، هو مستعد أن يموت ما دام لا يجد القوت، ولكن على مَنْ بوّأه الله المسؤولية: أن يبحث عن حاجات الناس، وكيف يعالجها.

لا بدّ أن تُعالج الأمور من جذورها، هناك خلل في مجتمعاتنا، خلل في إنتاج الثروة، وخلل في توزيع الثروة، وخلل في استهلاك الثروة، لا بدّ أن نعالج هذا الخلل، وكل داء له دواؤه، وله علاجه، «ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء: علمه مَنْ علمه، وجهله مَنْ جهله»^(١)، وقد أكرمنا الله بهذا الإسلام العظيم، الذي عنده لكل مشكلة حل، وعنده لكل داء دواء إذا عُدنا إليه، وأحسننا فهمه، وأحسننا توظيفه، وأحسننا العمل به.

نسأل الله وَعَلَىٰ أَنْ يُهَيِّئَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا، وَأَنْ يَهْدِينَا لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، وَأَنْ يُوَفِّقَنَا لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَىٰ، ادعوا الله تعالى يستجب لكم.

(١) رواه أحمد (٣٩٢٢)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره. وابن ماجه في الطب (٣٤٣٨)، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٤٥١)، عن ابن مسعود.

الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

واجبنا نحو حصار غزة:

تحدثنا عن الأمن الغذائي، عن مشكلة الجوع، عن مشكلة الفقر، عن الذين يعانون ولا يجدون ما يأكلون، هذه مشكلة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، وتكاد تكون مشكلة عالمية.

ولكن ماذا نقول إذا تحدثنا عن إخوتنا في فلسطين، وعن إخوتنا في غزة خاصة؟ ماذا نقول في هؤلاء الذين يعانون الجوع، ويعانون الحصار منذ سنوات؟ الحصار الظالم الذي استهدف هؤلاء يريد أن يُجوعهم، يريد أن يقتلهم، ماذا يفعل إخوتنا في قطاع غزة ومزارعهم تُحرق، وأشجارهم تُقتلع، وحياتهم تُدمر في كل يوم؟ ماذا يفعل هؤلاء الذين لا يجدون الطعام، ولا يجدون المشرب، ولا يجدون الدواء، ولا يجدون الوقود، ولا يجدون الحاجات الأساسية المتوافرة للناس في أنحاء العالم؟

صحيح أنّهم قالوا: نصبر على الجوع، ولا نقبل الركوع، لا نركع لغير الله، ولا نخضع لغير الله، ولن نطأ رءوسنا، ولن نحني ظهورنا أمام هؤلاء الصهاينة أبداً. ولكن الإنسان هو الإنسان، يظل للإنسان حاجاته ومطالبه الأساسية، تُلح عليه وتضغط عليه، مهما صبر ومهما ضحى.

ماذا نقول أيُّها الإخوة أمام ما يعانيه إخواننا هؤلاء؟ كل أمور الحياة

يشكون منها، حتى التعليم، علمت أن إحدى عشرة جامعة إسلامية ومدنية توشك أن تغلق أبوابها؛ لماذا؟ لأن طلابها لا يجدون ما يدفعون به الرسوم للجامعة، والجامعة لا تستطيع أن تعفيهم؛ لأنها لا تجد ما يقيمها على رجليها.

وهذه الرسوم ليست بالشيء الهائل، هي مئات الآلاف، على هذه الجامعة مائة ألف، وعلى هذه مائة وعشرون ألفاً، وعلى تلك مائتا ألف، كلها مبالغ يستطيع أحد أغنياء المسلمين، واحد ملياردير يستطيع أن يقول: أنا أعطي هؤلاء الطلاب ما يستحقون. واحد فكيف بالعشرات؟ وكيف بالمئات الذين يملكون ممّا أعطاهم الله الكثير والكثير؟

أنشأ الإخوة هناك صندوقاً سموه (صندوق الزكاة للطالب الفقير)، يستطيع الإنسان أن يدفع لهذا الصندوق، وأنا لا أحفظ الرقم الآن، ولكنني أستطيع أن أعطيه للصحافة وللإعلام، زكاة الطالب الفقير بعض ما يجب علينا، لا ينبغي أبداً أن ندع إخواننا وخدمهم، سألوني: هل يجوز إعطاء الزكاة للطالب الفلسطيني؟ قلت: نعم، يجوز أن نعطيه الزكاة، وما بعد الزكاة، من الأوقاف، ومن الوصايا، وحتى من المال الذي فيه شبهة، وهذا الطالب أولى من غيره وأحق من غيره لأسباب عديدة، لأنه فقير، ولأنه غارم، ولأنه ابن سبيل مُشرد، ولأنه يجاهد في سبيل الله، ولأنه يقاوم أعداء الله، يستحق الزكاة من أكثر من جهة.

نحن علينا أيها الإخوة أن نكون مع إخواننا، نشدُّ أزرهم، نسند ظهرهم، نقوي عضدهم، لا نتخلى عنهم، هم يبذلون كل يوم أرواحهم؛ أفلا نبذل نحن أموالنا؟ بالأمس أو أول أمس أكثر من عشرين شهيداً سقطوا بالرصاص الإسرائيلي، بعض هؤلاء الشهداء صبيان لم يبلغوا

الحُلم، وبعضهم صحفيون، لا يحمل أحدهم بندقية ولكن يحمل (كاميرا) يُصوّر بها الحقيقة، وهؤلاء الصهاينة أعداء الحقيقة، لا يريدون أن تُعرف الحقيقة، ولا أن تُنشر على الناس فقتلوا هذا الصحفي.

هذا الشعب يُقدّم كل يوم هذه الضحايا وهؤلاء الشهداء؛ راضياً مطمئناً، وتقابل الأمّات هؤلاء الشهداء بالزغاريد، والله رأيت أم هذا الصحفي تتكلم بقوة وتقول: نحن الأقوياء وهم الضعفاء، نحن الأعزّاء وهم الأذلاء. هكذا بكل قوّة، فماذا فعلنا نحن؟

لا يسعنا أن نقف متفرجين مكتوفي الأيدي، أن نقف صامتين صمت القبور، حرام علينا أن يقف إخواننا هذه المواقف الشريفة البطوليّة، ونحن صامتون متفرجون؛ ألا يكفيننا صمت العرب، وحكام العرب، وأنظمة العرب من حولهم؟

علينا نحن أيضاً - نحن الشعوب، نحن الجماهير - أن نضغط على حكامنا؛ حتّى يقفوا مع هذا الشعب، ويطالبوا برفع الحصار الظالم عن هذا الشعب، يجب علينا أن نضغط على حكوماتنا؛ لا بأعمال الشغب، ولكن بالحُسن، بالتفاهم، بكل ما يمكن من الوسائل السلميّة المشروعة.

هذه مسؤوليّة هذه الأمّة جميعاً، حكّامها ومحكوميها، أغنيائها وفقرائها، رجالها ونسائها، شيوخها وشبابها، الكل عليه مسؤوليّة، لا يجوز أن يتقدّم المحكومون ويتأخّر الحكام، أو يتقدّم الفقراء ويتأخّر الأغنياء، أو يتقدّم الشيوخ ويتأخّر الشباب، أو يتقدّم النساء ويتأخّر الرجال، يجب على الجميع أن يخوض هذه المعركة، معركة الجميع، معركة العرب، معركة المسلمين، معركة الإنسانيّة، معركة كل حر وكل شريف.

يجب أن نقف مع إخواننا: أن نشدّ أزرهم، أن ندعو لهم باستمرار، أقل ما يجب علينا أن ندعو لهم في صلواتنا وفي خلواتنا، وفي الأسفار، وكلما خلونا إلى ربنا دعونا أن يحرسهم بعينه التي لا تنام، وأن يكلاًهم في كنفه الذي لا يُضام، وأن يفتح لهم فتحاً مبيّناً، ويهديهم صراطاً مستقيماً، وينصرهم نصرًا عزيزاً، ويتم عليهم نعمته، وينزل في قلوبهم سكينته، وينشر عليهم فضله ورحمته.

علينا أن نكون مع إخواننا في وسط هذا الانقسام الفلسطيني، الذي لا يجوز أن يستمر أبداً، لا يجوز للفلسطينيين أن ينقسموا والعدو لهم بالمرصاد، يجب أن يتحدوا في مواجهة هذا الخطر، ولا يصدقوا أن إسرائيل ستعطيهم شيئاً، إنّما هي وعود معسولة، سراب بقية، حتى إذا أتاه الظمان لم يجد شيئاً.

يا أيّها الإخوة، علينا أن نقف مع إخواننا هؤلاء وسط الانقسام الفلسطيني، والعجز العربي؛ إن لم أقل كما يقول بعض الإخوة من الكتاب: التواطؤ العربي. نقول: العجز العربي، والوهن الإسلامي، والغياب الأوروبي إن لم أقل: التواطؤ الأوروبي. والتأييد الأمريكي المطلق، والعدوان والتجبر الإسرائيلي.

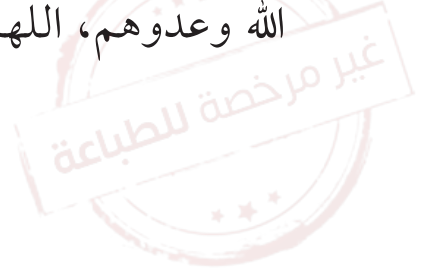
علينا أن نقف مع إخواننا في فلسطين، نقاط بضائع الأعداء، ونشدّ أزر إخواننا بكل ما نستطيع، بما نقدر عليه من مساعدات، لا أقول: تبرعات. هي أكثر من تبرع، بل واجب علينا أن نشدّ أزر إخواننا، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، والمؤمن عضدٌ لأخيه، «المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشدُّ بعضه بعضاً»^(١).

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٦)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى.



أسأل الله تبارك وتعالى أن يسدّد خُطأ إخواننا، وأن ينيرَ لهم الطريق،
وأن يفتح لهم الأبواب، وأن يُهيئَ لهم الأسباب، وأن ينصرهم على عدو
الله وعدوهم، اللهم آمين.

* * *





لماذا انشغل النَّاسُ بِالمالِ (١)؟

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، أيُّها الإخوة المسلمون:

ظاهرة انشغال النَّاسِ بِالأموالِ:

زارني في مكثبي مجموعة من الشباب المسلم الملتزم بالإسلام، والمتحمس لقضاياها، من إحدى دول الخليج العربي، وممَّا سألتهم عنه: النَّشاط الإسلامي، ونشاط الدعوة الإسلاميَّة في بلدهم.

فقالوا: النَّشاط عموماً بخيرٍ، ولكنَّ هناك ظاهرة أصبحت فاشية في مجتمعاتنا، بعد غلاء أسعار النفط، أصبح النَّاسُ مشغولين بِالمالِ، واكتساب المالِ، وتنمية المالِ.

فصاحبُ العَشْرِ يَبْغِي عَشْرَهُ مِائَةً * وصاحبُ الألفِ يَبْغِي الألفَ مِليُونًا
النَّاسُ مشغولون بِالمالِ، شغلهم المالُ عن كلِّ شيءٍ، فهذا همُّه في العقارات وتجارة العقارات، وهذا همُّه في الاستيراد، وهذا همُّه في البورصة ومتابعة أخبار البورصة.

(١) ألقيت في جامع عمر بن الخطاب، بتاريخ ٢٦ ربيع الآخر ١٤٢٩هـ الموافق ٢ مايو ٢٠٠٨م.

فهذه أمور شغلت النَّاسَ عن النَّظَرِ في قضاياهم، وفي مستقبل دينهم،
وفيما يُحيط بأمتهم من كرب، وما ينزل بها ويزلزلها من خُطوب.

المال في الإسلام ليس شراً:

وكانَّ بعض هؤلاء الشَّباب ينظر إلى المال باعتباره شراً، أو باعتباره
وسيلة للطغيان، وقالوا: هذا ما نخاف على النَّاسِ منه، أن يغتني النَّاسُ،
وتصبح أموالهم هي آلهتهم، وهذا هو الخطر على المجتمع.

قلتُ لهؤلاء الشَّباب: أحبُّ أن تعلموا أنَّ المال في ذاته ليس شراً،
المال في ذاته ليس مذموماً في نظر الإسلام.

ربَّما كان ذلك في نظر المسيحيَّة؛ في الإنجيل: لا يدخل الغنيُّ
ملكوت السماوات حتَّى يدخل الجمل في سَمِّ الخِياط^(١).

وجاء رجل من الأغنياء للمسيح يريد أن يتَّبعه، فقال له المسيح:
اذهب فبع مالك، ثمَّ اتَّبعني^(٢).

تخلَّص من مالك ثمَّ تعال لتمضي في طريقي.

ولكن محمداً ﷺ لم يحرم الأغنياء من ملكوت السماوات، ولم يأمر
مَنْ أراد أن يتَّبعه أن يتخلَّص من ماله، بل نراه ﷺ قال: «ما نفعني مالٌ
قطُّ، ما نفعني مالٌ أبي بكر»^(٣).

وكان سيِّدنا أبو بكر من التَّجَّار الذين رزقهم الله بسطة في المال،

(١) إنجيل متَّى (٢٣/١٩).

(٢) إنجيل مرقس (٢١/١٠).

(٣) رواه أحمد (٧٤٤٦)، وقال مخرَّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والترمذي في
المناقب (٣٦٦١)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه في المقدِّمة (٩٤)، عن أبي هريرة.

وكان ماله في خدمة الدعوة، حتّى إنّه في غزوة العُسرة، في غزوة تبوك جاء بماله كلّ في حجره؛ ليسلمه للنبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «يا أبا بكر، ما أبقيت لأهلك؟».

قال: أبقيتُ لهم الله ورسوله^(١).

وكان عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف من أثرياء المسلمين، وكانت أموالهما - أيضًا - معدّة للنّفقة في سبيل الله، فلم يكن النبي ﷺ ينظر إلى المال باعتباره شرًّا، وقد امتنّ الله عليه فقال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۖ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۖ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٦ - ٨].

وَجَدَكَ - يا مُحَمَّد - فقيرًا فأغناك.

امتنّ الله عليه بالغنى.

وامتنّ الله على الصّحابة حينما وسّع عليهم في الرّزق، فقال: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَفَكُمْ الْإِنْسُ فَآوَانِكُمْ وَأَيُّدِكُمْ بِنَصْرِهِ ۖ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦]، وسّع عليكم من رزقه؛ لتكونوا أهلًا لشكر نعمة الله ﷻ.

وقال ﷺ لعمر بن العاص حينما دخل في الإسلام، فبعثه أميرًا على سرية من سرايا الجهاد وقال له: «إنّي أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك».

فقال: يا رسول الله، ما أسلمتُ من أجل المال، ولكنني أسلمتُ رغبة في الإسلام، وأن أكون مع رسول الله ﷺ.

(١) رواه أبو داود في الزكاة (١٦٧٨)، والترمذي في المناقب (٣٦٧٥)، وقال: حديث حسن صحيح. والحاكم في الزكاة (٤١٤/١)، وصحّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، والبخاري (٢٧٠)، وقوّاه، عن عمر بن الخطاب.

فقال: «يا عمرُو، نِعْمًا بِالْمَالِ الصَّالِحِ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ»^(١).

لا تخف من المال؛ المال ليس شرًّا في ذاته، «يا عمرُو، نِعْمًا بِالْمَالِ الصَّالِحِ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ».

هذه نظرة الإسلام إلى المال، ولذلك كان من أدعية النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغَنَى»^(٢).

وروى عنه سعد بن أبي وقَّاص: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ»^(٣)؛ البعيد عن الأضواء والشُّهرة.

وحينما جاءت أم سليم بابنها أنس ليعلم النبي ﷺ، وهو ابن عشر سنين، قالت: يا رسول الله، ادعُ الله له.

فدعا الله له بعدة دعوات، منها: أن يكثر الله ماله، قال ﷺ: «اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فِي مَا أُعْطِيَتْهُ»^(٤).

القرآن يُسَمِّي الْمَالَ خَيْرًا:

ليس المال إذن شرًّا؛ المال سمَّاه القرآن خيرًا، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨]، هذه غريزة فطرية.

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ٢١٥]، ﴿مَنْ خَيْرٌ﴾، أي: من مال.

(١) رواه أحمد (١٧٧٦٣)، وقال مخرَّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والحاكم في البيوع

(٢/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وصحَّحه الألباني في مشكلة الفقر (١٩).

(٢) رواه مسلم في الذكر (٢٧٢١)، عن ابن مسعود.

(٣) رواه مسلم في الزُّهد والرقائق (٢٩٦٥).

(٤) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٤٤)، ومسلم في الفضائل (٢٤٨٠)، عن أنس بن

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ
وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ [البقرة: ١٨٠]، ﴿ خَيْرًا ﴾، أي: مالا، خصوصا إذا كان مالا ذا بال.
القرآن سمى المال خيرا، وقال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص حينما
مرض مرضا، وأراد أن يوصي فيه بماله كله، قال له النبي ﷺ: «لا».

قال: فالشطر؟

قال: «لا».

قال: فالثلث؟

قال: «الثلث، والثلث كثير؛ إنك أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن
تدعهم عالة يتكففون الناس في أيديهم»^(١)، أي: يسيطون أيديهم
يسألون الناس.

ولهذا يحب الإسلام للمسلم أن يكون ميسر الرزق، ليس من
الضرورة أن يكون مليونيرا، ولا مليارديرا، ولكن أن يكون ميسر الرزق،
لا يعيش عيشة ضنكا.

العيشة الضنك عقوبة من الله لمن يُعرض عن ذكره، كما قال تعالى
حينما أنزل آدم وزوجه إلى هذه الأرض: ﴿ فَأِمَّا يَا أَيُّهَا النَّاسُ فَاتَّبِعْ
هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ [طه: ١٢٣]، لا يضل في الدين، ولا يشقى في
الدنيا، ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
أَعْمَى ﴾ [طه: ١٢٤]، فهو في ضنك في الدنيا، ويحشره الله يوم القيامة أعمى،
والعياذ بالله تعالى.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٧٤٢)، ومسلم (١٦٢٨)، كلاهما في الوصايا، عن سعد بن أبي
وقاص.

ويقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]؛ فالتقوى سبب السعة في الرزق، والبسطة في العيش، حتى قال عن أهل الكتاب: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ النِّعِيمِ﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٥، ٦٦]، ﴿وَالْوِاسْتِقْمَاءُ عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦]، ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

وسيدنا نوحٌ قال لقومه: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ ﴿وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠ - ١٢]، استغفار الله، والتوبة إلى الله، والرجوع إلى الله، أن تفرغ باب الله نادماً، مستغفراً من ذنوبك، هذا سبب أن يُوسِّع الله عليك ويمدك بالمال والبنين والجنات والأنهار.

هذا بالنسبة للفرد، وبالنسبة للمجتمع كله، المجتمع الذي يتبع هدى الله، ومنهج الله، ويسير في ركاب التقوى مجتمع يُنعم الله عليه ببركات السماء والأرض، ويرزقه من حيث لا يحتسب.

هذه نظرة الإسلام إلى المال، ولذلك قرّرت الشريعة الحجر على السُّفهاء الذين يبذرون المال، ويعثرونه ذات اليمين وذات الشمال، ولذلك نهى النبي ﷺ عن إضاعة المال^(١)، وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ [النساء: ٥]، ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ﴾، أي: لا تمكّنوهم من التصرف، احجروا عليهم إذا ثبت أنهم يعثرون المال ولا يعرفون قيمته، وينفقونه في غير وجهه، وفي غير حقه.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٤٧٧)، ومسلم في الأفضية (٥٩٣)، عن المغيرة بن شعبة.

فهؤلاء من حقّ الأُمَّة أن تكفّ أيديهم؛ لأنّ المال - وإن كان ملكاً للفرد - هو ملك للمجتمع، ولذلك القرآن يقول: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾، هي في الحقيقة أو في النّظر الرسمي أموالهم، هناك عقود يملكون بها هذه الأموال، ولكن قال: ﴿أَمْوَالَكُمُ﴾؛ لأنّها في النّهاية أموال المجتمع، إذا بذّر السفيه وبعثر، فإنما يبعثر مال المجتمع، مال الأُمَّة.

فهذه هي نظرة الإسلام إلى المال.

المال نعمة وأمانة وضرورة وفتنة:

المال في نظر الإسلام نعمة يجب أن تُشكر، وأمانة يجب أن تُرعى، وضرورة يجب أن تُحفظ، وفتنة يجب أن تُحذر.

١ - المال نعمة يجب أن تُشكر:

أوّل شيء أنّه نعمة من نعم الله تبارك وتعالى على الإنسان، يقضي بها وطره، يؤدّي بها مطالبه، يقضي بها حاجاته.

خلق الله الإنسان خلقاً ليس كالملائكة، لا بدّ أن يحتاج إلى الطعام، وإلى الشراب، وإلى اللباس، والسكن والدواء، وهذه الأمور، وهذه كلّها تحتاج إلى المال، المال هو الذي يمكّنه من هذا كلّ، لذلك كان المال أمراً مهمّاً.

إذا آتاك الله المال، فقد آتاك نعمة يجب أن تشكر الله تبارك وتعالى عليها، فإذا شكرته عليها أدامها عليك، وزادك منها، كما قال تعالى:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

اشكر النعمة يزدك الله منها، ويبقيها عليك، وشكر النعمة أن تؤدّي الحقوق التي أوجبها الله فيها - وسنذكر في خطبة قادمة: ماذا فرض الله من حقوق في مال الإنسان - هذه الحقوق: الزكاة أولها، وليست آخرها، الزكاة هي الحقّ الأوّل في المال، القرآن قال: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٤، ٢٥].

الزكاة حقّ، وحقّ معلوم، معلوم من تجب عليه الزكاة، ومعلوم من تجب له الزكاة، معلوم المقدار، معلوم متى يُصرف، ﴿حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾، فالزكاة هي أوّل الحقوق، وليست آخرها.

هناك حقّ المجتمع، إذا ضاق عيشه، إذا نزلت به مجاعة، إذا نزلت به مصيبة، فالإنسان لا بدّ أن يسهم - بقدر ما يستطيع - في تفريج الكربة عن الناس، في إغاثة الملهوف، في إطعام الجائع، وهكذا.

«أيّما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائع، فقد برئت منهم ذمّة الله تعالى»^(١).

المال نعمة يجب أن تُشكر.

٢ - المال وديعة يجب أن تُرعى:

وهو أمانة ووديعة يجب أن تُرعى، الله ائتمن الإنسان على المال، هناك حقيقة أو نظريّة - كما يسمونها - في الإسلام، نظريّة الاستخلاف، أنّ الإنسان مُستخلف في مال الله، المال مال الله، أنت حينما تزرع

(١) رواه أحمد (٤٨٨٠)، وقال مخرّجه: إسناده ضعيف. وأبو يعلى (٥٧٤٦)، والحاكم في البيوع (١١/٢). وقال الذهبي: عمرو بن الحصين العقيلي: تركوه، وأصعب بن زيد الجهني: فيه لين. عن ابن عمر.

مزرعتك تبذر فيها حبّ القمح أو الشعير، أو تغرس فيها نخلة أو كذا، هل أنت الذي خلقت التربة؟ هل أنت الذي جعلت الأرض ذلولا؟

الله ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ [المُلك: ١٥]، لو كانت هذه الأرض ذهبًا أو فضة هل كانت تُنبت نباتًا؟ هل أنت الذي أمدت التربة بالمعادن والأملاح وعناصر التغذية للحبّة؟ هل أنت الذي خلقت الحبّة ووضعت فيها الحياة؟

هذه الحبّة من القمح فيها حياة، هي كائن حيّ، حينما ينزل عليها الماء ينبت هذا الكائن وينمو، أنت فعلت ذلك؟

هل أنت الذي خلقت الهواء الذي تمتصّه الحبّة؟ هل أنت الذي خلقت الشمس لترسل الحرارة، وترسل الضياء؟ هل أنت الذي خلقت الأكسجين وثاني أكسيد الكربون؟ هل أنت الذي وضعت النظام الذي يجعل الإنسان يتنفس ثاني أكسيد الكربون، ويجعل النبات يستنشق هذا الغاز؟ هل أنت الذي وضعت النظام بين المملكتين؟ المملكة النباتية والمملكة الحيوانية، الله هو الذي فعل ذلك، ماذا فعلت أنت؟

أنت وضعت الحبّ وانتظرت الثمر من الربّ.

الله هو الذي هيأ هذا كله، وأنت لم تعمل شيئًا، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿وَأَيُّهُمْ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمِيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٣٣ - ٣٥].

﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾، يد الله هي التي عملت، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ [يس: ٧١]، عملته يدُ الله.

هل أنت الذي خلقت الناقة أو البقرة أو الشاة؟

الله هو الذي خلقها، وهو الذي أودع فيها القدرة على أن تدرّ الحليب، وأن تلد الحيوانات الصغيرة، الله هو الذي فعل كل هذا، ﴿خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُونَ * وَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٧١ - ٧٣].

﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾، الصبي الصغير يسوق الجمل، يسوق الثور، ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُونَ * وَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾.

هذا المال الله هو الذي خلقه، ولذلك إذا قلنا: المال مال الله، فهو حقيقة؛ لأنه منشئ المال، ولأنه منشئ الإنسان، من الذي أعطاك العقل لتفكر؟ من الذي أعطاك الإرادة لترجح؟ من الذي أعطاك القدرة لتنفيذ؟
إنه الله تعالى.

الله هو خالقك، وهو خالق الأرض، وخالق الشمس، وخالق الهواء، وخالق كل شيء، فلا عجب أن يكون المال ماله، ولذلك يقول الله: ﴿وَعَاثُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور: ٣٣].

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٠]،
لم يقل: لا يحسبن الذين يبخلون بأموالهم، بل عبّر عنها: بما آتاهم الله من فضله.

﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]، أنت مُسْتَخْلَفٌ، مُوَكَّلٌ، يعني: أنت نائبٌ عن مالك المال، وكيل عنه، مثل أمين الصندوق، فأنت أمين الصندوق، ولست صاحب الصندوق، صاحب الصندوق هو الله، الله خالق المال، ومنشئ المال، ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾، أنت مُسْتَخْلَفٌ.

إِيَّاكَ أَنْ تَظُنَّ أَنَّ الْمَالَ مَالُكَ، وَأَنَّكَ صَاحِبُ التَّصَرُّفِ فِيهِ، وَتَقُولُ مَا قَالَ قَوْمُ شُعَيْبَ لَشُعَيْبٍ: ﴿أَصْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ [هود: ٨٧]، نحن أحرار في أموالنا.

لا؛ ليست أموالكم، بل هي أموال الله عندكم، وهذا ما يعرفه حتى الأعراب من المسلمين.

سُئِلَ أَحَدُ الْأَعْرَابِ وَكَانَ يَرْعَى الْغَنَمَ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَعْرَابِي، لِمَنْ هَذِهِ الْغَنَمُ الَّتِي تَرَعَاهَا؟

قال: هذه الغنم هي لله عندي^(١).

فما أبلغ الكلمة وما أصدقها.

٣ - المال ضرورة يجب أن تُحفظ:

المال نعمة يجب أن تُشكر، وأمانة يجب أن تُرعى، وهو كذلك ضرورة يجب أن تُحفظ.

اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْمَالَ مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ الْخَمْسِ أَوِ السِّتِّ الَّتِي جَاءَتْ الشَّرِيعَةُ لِحِفْظِهَا وَإِقَامَتِهَا وَإِتْمَامِهَا: الدِّينَ وَالنَّفْسَ وَالْعَقْلَ وَالنَّسْلَ وَالْمَالَ، وَبَعْضُهُمْ أَضَافَ: الْعِرْضَ.

المال أحد هذه الضروريات، هو ضرورة للفرد، وضرورة للمجتمع، لا يستطيع الإنسان أن يعيش بغير المال، ولا يستطيع المجتمع أن يعيش بغير المال، ولذلك قرّر فقهاؤنا المُحَقِّقُونَ أَنَّ كُلَّ عِلْمٍ تَحْتَاجُ

(١) انظر: الفتح على أبي الفتح ص ٢٩٥، تحقيق عبد الكريم الدجيلي، نشر دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ٢، ١٩٨٧م.

إليه الأمة في دُنْيَاهَا أو في دِينِهَا، وكلَّ صنّاعة أو حِرْفَة تحتاج إليها الأمة، حتّى النّجارة والحدّادة والزراعة والصناعة، كلُّ هذه الأشياء اعتبروها فروض كفاية.

على الأمة أن يكون فيها من الزّراع والصنّاع والحرفيّين والكيميائيّين والمهندسين والمحاسبين والأطباء، وكلّ صنعة أو حِرْفَة أو علمٍ تحتاج إليه الأمة يجب أن يتوفّر للأمة، هذه من الضروبيّات.

وإذا فرّطت الأمة في أحد هذه الجوانب تكون الأمة كلّها آثمة، وبخاصّة أولو الأمر فيها، المسوّولون عنها، المسوّولون السياسيّون، الحكّام أوّلاً، وأهل العلم والرأي - أيضاً - بعدهم أو معهم.

الأمة يجب أن تتوفّر فيها مقوّمات الحياة العزيزة الكريمة، لا يمكن أن تعزّ أمة وتقوى وهي لا تملك قوت يومها.

أمّتنا أمة زراعية، معظم بلادنا بلاد زراعية، رزقها الله الخصوبة في الأرض، ومع هذا - للأسف - كثير من بلادنا العربيّة والإسلاميّة تحتاج إلى أكثر من نصف قوتها، تستورده من غيرها، لو كفّ الغرب يده عنها لماتت جوعاً، لماذا لا نزرع أرضنا؟

والنّبى ﷺ يقول: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا يقوم حتّى يغرسها فليغرسها»^(١)، «ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طيرٌ أو إنسانٌ أو بهيمةٌ، إلّا كان له به صدقة»^(٢).

(١) سبق تخريجه ص ٩٨.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في المزارعة (٢٣٢٠)، ومسلم في المساقاة (١٥٥٣)، عن أنس بن مالك.



لماذا لا نزرع؟ لماذا لا نصنع؟

كما أقول دائماً: نحن أمة سورة الحديد لم نتعلم صناعة الحديد.

عندنا سورة اسمها: «سورة الحديد»، يقول الله في هذه السورة الكريمة: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥]، آية نسمعها ونقرؤها وتُتلى علينا دائماً، هل أتقنا صناعة الحديد؟

قوله تعالى: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ إشارة إلى الصناعات الحربيّة، ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ إشارة إلى الصناعات المدنيّة.

فهل أتقنا الصناعات المدنيّة أو الحربيّة؟

ما زلنا عالمة على غيرنا، حتّى لم نستطع أن ننشئ ونصنع بأيدينا سيارة مائة في المائة، نحن نجمّع السيّارة، ونستورد «الموتور» من عند غيرنا، بعض البلاد الشريقيّة سبقتنا وصنعت السيّارة، وصنعت ما هو أكثر من السيّارة.

أمة سورة الحديد لم تتعلم صناعة الحديد.

لا بدّ أن نُؤدّي حقّ الله علينا، أن نحسن الخلافة في المال، ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]، لم نحسن هذا الاستخلاف، لم نَقم بحقّ التوكيل الإلهي لنا؛ إنّنا وكلاء الله في هذا المال، فلم نُنتج المال كما ينبغي أن يُنتج، أصبح غيرنا يُنتج ونحن نستهلك، يُنشئ ونحن نستورد، يُرسل ونحن نستقبل، لماذا؟

كنا في وقت من الأوقات على القمّة، لم نكن في السفح، كنا في رأس القافلة، ولم نكن في الذيل، أصبحنا الآن في الذيل، مستوردين من

غيرنا، عندنا أموال نستطيع أن نشترى من أدوات الحضارة التي ينتجها غيرنا ما شئنا، يستطيع الواحد منا أن يتصل بمصنع المرسيدس أو بوكلايه هنا في قطر؛ ليشترى أحدث موديل منها، مجهّزة بكلّ الكماليات، ولكن هل صنعنا منها مسمارًا؟ هل إذا خربت ولم يكن لمصانعها هنا وكيل نستطيع أن نعمّر ما خرب منها؟

لا نستطيع أن نعمل شيئًا.

المال فتنة يجب أن تُحذر:

المال نعمة يجب أن تُشكر، وأمانة يجب أن تُرعى، وضرورة يجب أن تُحفظ، ثمّ هو - بعد ذلك - فتنة يجب أن تُحذر، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَوْلَكُمُ وَأَوْلَادُكُمْ فَتَنَةٌ﴾ [الأنفال: ٢٨]، المال من غير شكّ فتنة، ولذلك حذر الله أن نفتن به، كما حذر أن نفتن بالأولاد، الأولاد نعمة عظيمة ولكن يمكن أن يفتن الإنسان بأولاده، وقال الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُلْهِكُمْ أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

وصف الله رواد بيوته ومساجده في القرآن فقال: ﴿فِي بُيُوتِ أذنَ اللهُ أن تُرْفَعَ وَيُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ ﴿رِجَالٌ لَا نُلْهِمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧].

هؤلاء هم رواد بيوت الله كما وصفهم الله في كتابه، ليسوا دراويش ولا مُتَعَطِّلين، رجال أعمال وتجارة وبيع، ولكن تجارتهم وبيعهم لم يلهيهم عن ذكر الله، ولا عن الصلاة، ولا عن الزكاة، ولا عن خوف الله وانتظار يوم القيامة، ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾.



المال فتنة يجب أن نعرف هذا، وهو فتنة لمن افْتُنَّ به، يعني: المال في حد ذاته يمكن أن يكون منه عند الإنسان الملايين، ولكنها في يده وليست في قلبه، كما كان بعض الأنبياء؛ فقد أتى الله داود المُلْك، وأتى سليمان مُلْكًا لا ينبغي لأحد من بعده، ومكَّن ليوسف في الأرض، ﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ * وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [يوسف: ٥٥، ٥٦].

وكان بعض الصحابة من الأغنياء في حياة النبي، وبعد النبي ﷺ، في حياة النبي عبد الرحمن بن عوف، عثمان بن عفان، وبعده الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وغيرهم.

هؤلاء لم يكسبوا المال بدينهم، بل جعلوا المال في خدمة الدين، لم يجعلوا الدين في خدمة المال، ولكن بعض الناس - للأسف - جعلوا المال معبودهم.

وقف أحد الصالحين يلوم قومه على انشغالهم بالمال وقال لهم: إن ربكم الذي تعبدون تحت قدمي هاتين.

فهاج الناس عليه، فقال لهم: أتدرون ما تحت قدمي هاتين؟

نظروا فإذا صُرَّة من ذهب، فقال: هذا ربكم الذي تعبدون.

أنتم تعبدون هذا الإله وهو المال، الخطر هنا أن يُعبد الإنسان نفسه للمال، أن تصبح الدنيا أكبر همّه، ومبلغ علمه، أمّا أن يكون المال في يده لا في قلبه، أمّا أن يملك المال ولا يملكه المال، أمّا أن يمشي على الأرض وهو ينظر إلى السماء، أمّا أن يعيش في الدنيا بقلب أهل الآخرة، فلا خطر في هذا.

مشكلة حب المال:

مشكلة النَّاس التي شكا منها هؤلاء الشَّبَاب، أَنَّ هناك أَناسًا أَصبح كلُّهم المال، همُّه مع البورصة، همُّه مع الأَرْض، همُّه مع الربح، لا يهتمُّه أَن يستورد الشيء الذي يضرُّ النَّاس، قد يستورد أَغذية ملوثة بالإشعاع، ولا يهتمُّه ما قد يصيب قومه من وراء هذا، قد يستورد أَغذية انتهت صلاحيتها؛ لأنَّه وجد أَن فيها مكسبًا كبيرًا، ملايين تأتيه مرَّة واحدة، فلا يبالي، لا يبالي بآن يغش النَّاس.

مرَّ النَّبي ﷺ في السوق يومًا، فوجد رجلًا يبيع قمحًا، فأدخل يده في القمح هذا، فوجده في الداخل مبلولًا، ومعنى مبلول: أَنه انتفخ، فعندما يوضع في الكيل يزيد النِّصف كما يقال، فقال النَّبي ﷺ: «ما هذا يا صاحب الطعام؟».

قال أصابته السماء، يا رسولَ الله. يعني: نزل عليه المطر.

قال: «أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه النَّاس؟! مَنْ غشَّ فليس مِنِّي»^(١).

هؤلاء الذين يُطْفَفُونَ، ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَّالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ١-٦]، أَلَا ينتظرون هذا اليوم؟! هذا فيمن يزيد حفنةً أو ينقص حفنةً، فما بالكم بمن يأكلها كلَّها؟

كما جاء في صحيح البخاري: «يأتي على النَّاس زمانٌ لا يُبالي المرءُ ما أخذ منه، أمن الحلال أم من الحرام»^(٢)، لا يبالي، أي: لا يتحرى؛

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٠٢)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري في البيوع (٢٠٥٩)، عن أبي هريرة.

ف«الحلال بيِّن، والحرام بيِّن، وبينهما مُشَبَّهَات لا يعلمها كثير من النَّاس، فَمَنْ اتَّقَى المُشَبَّهَات استبرأ لدينه وعرضه»^(١).

هناك ناس لا يكتفون بالشبهات، بل يقعون في الحرام المحض، في الكبائر، في الربا، في أخذ الرِّشَا، في الاختلاس، في الاحتكار، في إغلاء الأسعار على النَّاس، على الضعفاء.

هؤلاء الَّذِينَ عبدوا المال من دون الله، لن يغني عنهم المال شيئاً، لقد نسوا ما هو أهم من المال، يقول الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾، ثم يقول: ﴿ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، القناطر المقنطرة والأنعام والحرث والخيل وهذه الأشياء كلها ﴿مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾ [آل عمران: ١٤].

كلُّ ما في هذه الدُّنْيَا أنت تاركه، إذا لم يزل عنك فانت زائل عنه.
 قيل لبعض الصالحين: إن فلاناً كلَّف غرفة نومه أكثر من مليون دولار.
 فقال: وكم ينام فيها؟

قالوا: ممكن ينام فيها عشر سنين أو عشرين.

قال لهم: لكن هناك غرفة سينام فيها أطول، وهي معدة له مجاناً.
 القبر حفرة، من مزايا القبور هنا في قطر أنها حُفِر، في بعض البلاد - مثل مصر - تجد قبر الغني غير قبر الفقير، ولكن الجميع في النهاية مرميٌّ فوق الثرى، والجميع يأكله الدود، حفرة سيدخلها مجاناً، ويعيش فيها آلاف السنين إلى ما شاء الله.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير.

ماذا قدّم الإنسان وماذا أخّر؟

كلُّ ما في هذه الدُّنيا سيتركه الإنسان، وعندما يأتيه الأجل يقول النَّاسُ: ماذا خلّف؟ كم ترك لأولاده؟ وتقول الملائكة: ماذا قدّم؟ ماذا قدّم لآخرته، الملائكة تقول: ماذا قدّم؟ والنَّاس يقولون: ماذا أخّر؟ ماذا خلّف وراءه؟

وهذا الَّذي خلّفه ليس له، النَّبِيُّ ﷺ يقول: «أَيْكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟».

قالوا: أيُّ رسول الله، ما ممَّا أحدٌ إلَّا ماله أحبُّ إليه.

قال: «فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالٌ وَارِثُهُ مَا أَخَّرَ»^(١).

ما قدّمته في حياتك هو مالك، وما تركته ليس لك، لأولادك، والله أعلم ماذا يفعلون به، قد يتمتّعون به ثمَّ يلعنونك، لا تدري، «فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالٌ وَارِثُهُ مَا أَخَّرَ».

يقول النَّبِيُّ ﷺ: «يقول ابنُ آدم: مالي، مالي. وهل لك يا ابن آدم من مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبَسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟»^(٢).

ليس لك من المال إلَّا ما أكلته، وماذا يأكل؟

هل معدّة الغنيّ أوسع من معدّة الفقير؟

إنَّ معظم الأغنياء مصابون بأمراض يُمنعون معها من أكل الطيبات التي يستمتع بها الفقير مجّانًا، لا يمنعه أحد منها، يأكل ما يشاء، ومعظم الأغنياء لا تأكل كذا، لا تأكل كذا، إِيَّاكَ تتناول كذا.

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٤٤٢)، عن ابن مسعود.

(٢) رواه مسلم في التفسير (٢٩٥٨)، وأحمد (١٦٣٠٦)، عن عبد الله بن الشخير.



وما الذي يحتاجه الإنسان ليسكن؟

لو فرض أن أحداً من النَّاسِ عنده قصر يمشي كيلو متر على سوره، ماذا يحتاج من هذا القصر؟

يحتاج إلى غرفة، والغرفة يحتاج منها لموضع الفراش.

ما هي الدنيا، أيها النَّاسُ؟

الدُّنْيَا الَّتِي يَسْعَى النَّاسُ إِلَيْهَا يَسْعَى مِنْهَا الْقَلِيلُ وَاللَّهُ، الْقَلِيلُ وَالْقَلِيلُ مِنَ الْقَلِيلِ، وَالْبَاقِي أَنْتَ مُحَاسِبٌ عَلَيْهِ، ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]، وَمَنْ قَلَّ مَالُهُ قَلَّ حِسَابُهُ، وَمَنْ كَثُرَ مَالُهُ ثَقُلَ حِسَابُهُ، كُلُّ عِنْدَ اللَّهِ لَا يَضِيعُ، ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

نسأل الله وَعَلَيْكَ أَنْ يَغْنِينَا بِحِلَالِهِ عَنْ حَرَامِهِ، وَبِطَاعَتِهِ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَبِفَضْلِهِ عَمَّنْ سِوَاهُ.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وادعوه يستجب لكم.



الخطبة الثانية

أمّا بعد، أيّها الإخوة المسلمون:

يهود ضد الصهيونية في زيارة للقرضاوي:

أريد أن أعلّق على أمرين:

الأمر الأوّل: أنّه زارني في بيتي جماعة من اليهود الذين يعارضون قيام دولة الصهاينة في فلسطين، شعارهم: «يهود ضد الصهيونية»، وقد التقيتهم من قبل في مدينة «لندن» في صيف عام (٢٠٠٤م)، عندما حاول اللوبي الصهيوني في لندن أن يثير ضجّة ضدّي، وقد دخلتُ لندن بتأشيرة قانونية علنيّة، فأرادوا أن يخرجوني من لندن، وكان هؤلاء الحاخامات من اليهود معي، وقفوا معي حيثما كنتُ، وتكلّموا معي، وهاجموا هذا اللوبي الصهيوني، وحينما سافرتُ جاء يودّعني في المطار ثمانية منهم إلى باب الطائرة.

زاروني أول أمس في منزلي ورخبتُ بهم؛ لأنني لستُ ضد اليهود باعتبارهم يهودًا، وقلتُ لهم بصريح العبارة: أنا لستُ ضدّ اليهود من الناحية العرقية؛ لأنّهم ساميون، ونحن العرب ساميون - أيضًا، أنتم بنو يعقوب (إسرائيل)، ونحن بنو إسماعيل، ونحن أبناء عمومة، والإسلام ليس عنده مسألة العرقية هذه، ليس لها قيمة، ﴿يَتَأَيَّأُ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

ولسنا ضدّ اليهود من الناحية الدّينيّة؛ فاليهود والنّصارى أهل كتاب،



وربّما كان اليهود في ناحية الشريعة أقرب إلى المسلمين من النصارى؛ لأنّ اليهود يختنون أبناءهم، والنصارى لا يختنون، ونحن نختن أبناءنا. واليهود يذبحون ذبائحهم ويتحرّون ذلك، ونحن نفعل ذلك، واليهود لا يأكلون الخنزير كما يفعل المسلمون، واليهود لا يقبلون التماثيل في معابدهم والمسلمون كذلك، فهم قرييون منّا، ولذلك قلتُ لهم: نحن نُرحّب بكم.

سألني مندوب صحيفة الشرق: هل أنت ترفض الحوار إذا كان فيه مسيحيون ويهود؟
قلتُ: لا.

قال: لو مثل هؤلاء اشتركوا ترحّب؟

قلتُ: قطعاً أرحّب بمثل هؤلاء؛ كلٌّ من يعارض الاغتصاب الصهيوني لفلسطين أنا معه، وهؤلاء معهم يهود كثيرون، ولكنّ الإعلام الصهيوني قوي الشكيمة، عالي النبرة، لم يمكن لهم أن يظهروا في الإعلام. فنحن نرحّب بهؤلاء.

ونحن المسلمين نُرحّب بكلّ حوار إيجابي، نفتح أيدينا وصدورنا لكلّ من يحاورنا؛ لأنّنا مأمورون بالحوار، القرآن يُسمّيه: «الجدال»، ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، نحن نجادل بالتي هي أحسن، ولذلك نحن نفتح أذرعنا، ونفتح قلوبنا للغربيين، للأوروبيين والأمريكيين، ولكنهم - للأسف - لا يفتحون لنا صدورهم، ما زالت عندهم بقايا من الرّوح الصليبيّة، من الحقد الأسود للإسلام والمسلمين.

قصة الطفل المسلم الفرنسي إسلام:

والكلمة الثانية التي أريد أن أقولها: ما رأيناه أمس على قناة الجزيرة، طفل مسلم أراد أن يشترك في برنامج في فرنسا، هو فرنسي من أصول جزائرية، وُلِد في فرنسا، ويتكلم الفرنسية، وكان هناك برنامج أحبّ الطفل أن يشترك فيه، وعن طريق الإنترنت أرسل إليهم، وقبلوا أن يشترك، وفرح الطفل بالمشاركة في البرنامج، وعمره تسع سنوات أو نحو ذلك، وأخبر أصحابه أنه اليوم سيشارك ليشاهدوه على البرنامج، وذهب ومعه صديقه الفرنسي «جون» غير مسلم ومعه أمّه غير محجبة، لكنّه فوجئ أن القناة قالت للأمّ: نعتذر لكم، لا نستطيع أن نقبله، قالت لهم: لماذا؟

قالت: لأنّ اسمه لا نستطيع أن نظهره على الشاشة، وماذا في اسمه؟
الولد اسمه: «إسلام». قالوا: لا نستطيع أن نظهره على الشاشة واحد اسمه «إسلام».

انظروا إلى هذا الجنون، كلمة: «إسلام» ماذا تضرُّكم؟

الإسلام ليس دين المسلمين فقط، بل هو دين الأنبياء جميعاً؛ نحن نعتقد أنّ الدين عند الله الإسلام، كلُّ الأنبياء كانوا مسلمين، والمسيحية إسلام، واليهودية إسلام، وموسى كان مسلماً، وعيسى كان مسلماً، ويعقوب كان مسلماً، وإبراهيم كان مسلماً.

هؤلاء رفضوا والولد بكى، وظلّ يتعطف إليهم، ويتوسّل لهم، وهم يرفضون، ويقولون: غيروا اسمه لأي شيء إلا كلمة: «إسلام».
الولد قال: لا أُغيّر اسمي أبداً.

والأم قالت: لا أُغَيِّرُ اسمه.

وصارت قضية، واشتكت إلى مدير التلفزيون، قال لها: سنُحَقِّقُ في الموضوع.

ومرّت أيّام وأيّام ولم يُحَقِّقُوا في الموضوع، ولم يفعلوا شيئاً، فاضطّرت الأم أن تظهر هذه القضية إعلامياً.

انظروا ماذا يكُنُّه الغرب للإسلام، طفل بريء فرح أنّه سيشارك في برنامج تليفزيوني، لكن لأنّ اسمه «إسلام» يُحرّم من المشاركة!

اسمه إسلام، اسمه إيمان، اسمه إحسان، النَّاسُ تُسَمِّي بِهذه الأسماء، ولا يخطر في بالها أيّ شيء من التعصّب، ولكنّ هؤلاء المُتَعَصِّبِينَ فعلوا ذلك.

هذا هو الغرب - أيّها الإخوة - الَّذِي نتعامل معه، وَالَّذِي يَتَّهَمُنَا أَنَّنَا دعاة للعنف، ودعاة للإرهاب، ودعاة للتعصّب، وهم - للأسف - المُتَعَصِّبُونَ.

اللهمّ إِنَّا نَسْأَلُكَ العفو والعافية في ديننا ودُنْيَانَا، اللهمّ هَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا، وَاسْتُرْ عَوْرَاتِنَا، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا، وَاحْفَظْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَمِنْ خَلْفِنَا، وَعَنْ أَيْمَانِنَا وَعَنْ شَمَائِلِنَا، وَمِنْ فَوْقِنَا، وَنَعُوذُ بِعَظْمَتِكَ أَنْ نُغْتَالَ مِنْ تَحْتِنَا.

اللهمّ اجعلْ يوم هذه الأُمَّة خَيْرًا مِنْ أَمْسِهَا، وَاجْعَلْ غَدَهَا خَيْرًا مِنْ يَوْمِهَا، وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَهَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَجْرِهَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ.

اللهم اجمع كلمتها على الهدى، وقلوبها على التقى، وأنفسها على المحبة، ونياتها على الجهاد في سبيلك، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل.

اللهم لا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].





لماذا انشغل الناس بالمال^(١)؟

الخطبة الأولى

أمّا بعد، أيّها الإخوة المسلمون:

خطر المال في الافتتان به:

تحدّثنا في الأسبوع الماضي عن المال، وفتنة المال، وتخوّف بعض الشّباب من كثرة المال، وسعة الرّزق، التي أفاض الله بها على أهل الخليج في هذه الآونة من الزّمن، بعد ارتفاع أسعار البترول، وقلت: إنّنا - نحن المسلمين - لا نعتبر المال شرّاً؛ الإسلام ليس كالمسيحيّة؛ المسيحيّة لها موقف شديد من المال، وتعلن أنّ الغني لا يدخل ملكوت السماوات حتّى يدخل الجمل في سمّ الخياط، ولكن الإسلام يقول: «نعمّا بالمال الصالح للرجل الصالح»^(٢)، وقد نزلت أطول آية في كتاب الله تنظّم شأننا من شؤون المال؛ كتابة الدّين، واعتبر القرآن المال قوام المعيشة وقوام الحياة للنّاس فقال: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ [النساء: ٥].

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٤ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ الموافق ٩ مايو ٢٠٠٨م.

(٢) سبق تخريجه ص ١١٨.

إِنَّمَا يَأْتِي الْخَطْرَ عَلَى الْمَالِ مِنَ الْاِفْتِتَانِ بِهِ، مِنَ الْغُرُورِ بِهِ، مِنْ اِعْتِبَارِ الْإِنْسَانِ أَنَّهُ قَدْ اسْتَعْنَى عَنْ غَيْرِهِ، بَلْ رَبَّمَا ظَنَّ أَنَّهُ اسْتَعْنَى عَنِ اللَّهِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿٦٧﴾﴾ [العلق: ٦، ٧].

إِنَّ طُغْيَانَ الْإِنْسَانِ لَيْسَ بِالِاسْتِعْنَاءِ، وَلَكِنْ بِرُؤْيِيهِ اِلِاسْتِعْنَاءَ، أَنْ رَأَى نَفْسَهُ اسْتَعْنَى بِالْمَالِ عَنْ غَيْرِهِ، هَذِهِ الرُّؤْيَةُ هِيَ الْخَطْرُ.

وَلِذَلِكَ كَانَ الصَّالِحُونَ يُوصُونَ مَرِيدِيهِمْ إِذَا يَسَّرَ اللَّهُ لَهُمُ الرِّزْقَ، وَوَسَّعَ عَلَيْهِمْ فِي الْمَالِ، وَجَاءَ الْمَرِيدُ يَشْكُو لِشَيْخِهِ: الدُّنْيَا أَقْبَلَتْ عَلَيَّ. فَيَقُولُ لَهُ: اجْعَلْهَا فِي يَدِكَ، وَلَا تَجْعَلْهَا فِي قَلْبِكَ.

يَعْنِي: اْمَلِكْهَا وَلَا تَمْلِكْكَ، كُنْ أَنْتَ مَالِكًا لَهَا، وَلَا تَكُنْ هِيَ مَالِكَةً لَكَ، لَا تَتَّخِذِ الدُّنْيَا رَبًّا، فَتَتَّخِذَكَ لَهَا عَبْدًا، وَلَكِنْ إِذَا اسْتَعْدَمَتِ الدُّنْيَا كَانَتْ خَادِمَةً لَكَ، وَإِذَا اسْتَعْدَمَتْكَ أَصْبَحْتَ عَبْدًا لَهَا.

الإسلام يُحذِّرُ مِنَ الْغُرُورِ بِالْمَالِ:

الإسلام لا يضيِّقُ بِالْمَالِ، وَإِنَّمَا يَحذِّرُ مِنْ أَشْيَاءَ مَهْمَّةٍ، أَنْ يَغْتَرَّ الْإِنْسَانُ بِالْمَالِ، أَنْ يَصِيبَهُ الْغُرُورُ، كَمَا قَالَ صَاحِبُ الْجَنَّتَيْنِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٦﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٧﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأُجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٨﴾﴾ [الكهف: ٣٤ - ٣٦]، ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٧﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأُجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٨﴾﴾، هَذِهِ لَا تَفْنَى أَبَدَ الدَّهْرِ، وَلَوْ قَامَتِ السَّاعَةُ سَأَكُونُ غَنِيًّا فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، الَّذِي حَقَّقَ لِي السَّعَادَةَ فِي هَذِهِ الدَّارِ، سَيَحَقِّقُ لِي السَّعَادَةَ فِي الدَّارِ الْآخِرَى.

على أيِّ أساس؟

أنت لم تؤمن بالله، ولم تعمل صالحًا، ولم تقدّم خيرًا، فكيف تكون
آخرتك خيرًا من دنياك؟

ولذلك ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ
نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴾ [الكهف: ٣٧]، كفر بالله، الغرور بالمال هو الذي يُطغي
الإنسان، لكن الإنسان إذا ردّ الفضل إلى أهله، إذا قال: هذا المال هو مال
الله، وأنا أمين عليه، أتصرّف فيه كما يريد مالكة، فهذا هو الخير.

هناك إنسان يعرف فضل الله عليه، كما رأينا سيّدنا سليمان حينما
جاءه عرش بلقيس من اليمن إلى الشام قبل أن يرتدّ إليه طرفه، ﴿ قَالَ هَذَا
مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي
غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل: ٤٠].

ذو القرنين حينما هبّ الله له أن يقيم هذا السدّ العظيم؛ ليحجز يأجوج
ومأجوج الذين كانوا يفسدون في الأرض، ويعتدون على جيرانهم
بقوّتهم، أقام هذا السدّ بمعاونة الشعب، ﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا
﴿ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ﴾ [الكهف: ٩٥، ٩٦]، حتّى إذا أقام هذا السدّ قال: ﴿ هَذَا رَحْمَةٌ
مِّنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ [الكهف: ٩٨].

إنّما يكون المال شرًّا إذا افتتن الإنسان بالمال، إذا اغترّ بالمال، إذا قال
ما قال قارون، وقد نصحه قومه، كان قارون من قوم موسى، ولكنه
- للأسف - أصبح من زمرة فرعون، بعد أن كان من قوم موسى ومن بني
إسرائيل، أصبح من هذه الفئة الطاغية الباغية المُستكبرة في الأرض،
المُتألّهة على عباد الله، فقال الله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ
مُّبِينٍ ﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمَّانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: ٢٣، ٢٤].

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَايَنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾ [القصص: ٧٦]، مفاتيح هذه الصناديق التي تمتلئ بهذه الكنوز تنوء بالعصبة أولي القوّة، لا تقدر عليها جماعة تحمل هذه المفاتيح، وخصوصاً أنّ المفاتيح في الماضي كانت كبيرة وثقيلة. ولكن هذا يدلُّ على أنّ مال قارون كان مالاً عظيماً، كان مالاً وفيراً، حتّى إنّ ﴿مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾ [القصص: ٧٦].

نصائح لكلّ ذي ثروة:

ثمّ ذكر القرآن نصائح قوم قارون لقارون، نصحه قومه بخمس نصائح: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ * وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٦، ٧٧]، وهي نصائح يجب أن توجه لكلّ ذي ثروة، وكلّ ذي مال وفير.

النصيحة الأولى: لا تفرح فرح البطر:

أول هذه النصائح: ألا يفرح، معنى لا يفرح: لا يبطر، فرح الأشر والبطر والغرور، ليس الفرح الطبيعي، لا مانع أن يفرح الإنسان إذا آتاه الله المال، وخصوصاً إذا نوى أنه سيوظفه في طاعة الله، ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾، الذين يؤدّي فرحهم إلى البطر، والغرور، والاستكبار على عباد الله، كما قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥]، ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾، الأشرين البطرين المستكبرين.

هذا المال وديعة في يديك، إن شاء أخذه صاحبه منك، أو أخذك أنت منه، إمّا أن يذهب المال، وإمّا أن تذهب أنت، هذه هي الحياة، ﴿لَا تَفْرَحُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾.

النصيحة الثانية: ابتغ الدار الآخرة:

ثم قالوا لقارون: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾، هذه هي نصيحتهم الثانية له، ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾، اجعلها بُغيتك ونييتك وهدفك فيما آتاك الله في هذا المال، لا تنس أن الله هو الذي آتاك هذا المال، لا تحسب أنك بمهارتك وجدك وذكائك كسبت هذا المال، وليس لله فضل فيه، بل هو من إيتاء الله، ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾، اجعل نصب عينيك تلك الدار الباقية.

لا تجعل كل همك في العاجلة، ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨]، ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾، العاجلة هي: الدنيا، ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ [القيامة: ٢٠، ٢١]، مَنْ جعل كل همّه ووضع كل إرادته، ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾، العبرة بالإرادة، المدار على النية، ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨، ١٩].

الناس صنفان: أهل الدنيا، وأهل الآخرة، أهل الدنيا كل همهم في الأرض، يخلدون إلى الأرض، ينظرون إلى الأرض، لا يتطلعون إلى السماء، لا يتطلعون إلى العلا يوماً، وأهل الآخرة همهم السماء، همهم رضوان الله، ﴿لَا نُؤْتِيهِمْ تَجْرَةً وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ [النور: ٣٧]، ولذلك نصحه قومه: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾، اجعل الآخرة نصب عينيك.

مشكلة النَّاس في هذه الدُّنيا أَنَّهُمْ يظُنُّون أَنَّهُمْ مَخْلَدُونَ فِيهَا، وَالْآخِرَةَ غَائِبَةً عَنْهُمْ، وَلِذَلِكَ يَتَصَرَّفُونَ تَصَرُّفَ مَنْ لَا يَمُوتُ، وَإِذَا مَاتَ لَا يُبْعَثُ، وَإِذَا بُعِثَ لَا يَحَاسِبُ، وَإِذَا حُوسِبَ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَوْ النَّارَ.

وَلَوْ أَنَّا إِذَا مِثْنَا تَرَكْنَا لَكَانَ الْمَوْتُ رَاحَةً كُلِّ حَيٍّ^(١)
وَلَكِنَّا إِذَا مِثْنَا بُعِثْنَا وَنُسْأَلُ بَعْدَهُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ^(١)

أراد قوم قارون أن يذكروه بالآخرة، أن يخرجوه من سجن الغفلة الذي يعيش فيه، غفلته عن المصير، مصير الإنسان، القضية المصيرية الأولى والكبرى؛ أن هناك موتًا، وبعد الموت بعثًا، وبعد البعث حسابًا، ﴿وَأَبْتَعِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾، حاول أن تبني دارك في الآخرة كما بنيت قصورك في الدنيا.

لَا دَارَ لِلْمَرْءِ بَعْدَ الْمَوْتِ يَسْكُنُهَا إِلَّا الَّتِي كَانَ قَبْلَ الْمَوْتِ يَبْنِيهَا
فَإِنْ بَنَاهَا بِخَيْرٍ طَابَ مَسْكَنُهَا وَإِنْ بَنَاهَا بِشَرٍّ خَابَ بَانِيهَا^(٢)

ابن لنفسك في هذه الدار، ابن لآخرتك قبل أن تبني لدنياك، ﴿وَأَبْتَعِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾.

يجب على كلِّ غنيٍّ، على كلِّ ذي مال أن يتذكر الآخرة، التي هي دار القرار، أنت مهما عشت في الدنيا فإنك ميت، وإنك تارك لهذه الدنيا، وحينما تفارق الدنيا تتضاءل السنوات التي عشتها، مهما طال

(١) يُنسب إلى سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام. انظر: أدب الدنيا والدين، نشر دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م، وديوان الإمام علي ص ٣٥٥.

(٢) ذكره ابن أبي الدنيا من إنشاد محمد ابن أبي رجاء. انظر: الإشراف في منازل الأشراف ص ١٧١، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف، نشر مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، وهو في ديوان علي بن أبي طالب ص ٥٠.

عمرك ستجد العمر قصيراً، وستقول: ﴿رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠]، ولكن هيهات، ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١١].

النصيحة الثالثة: لا تنس نصيبك من الدنيا:

ثمّ نصح قوم قارون لقارون النصيحة الثالثة فقالوا: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾، نحن لا نقول لك: عِشْ جَائِعًا، عِشْ عَرِيانًا، عِشْ بِلا مسكن، عِشْ محرومًا من الطيبات.

لا، لا تنس نصيبك من الدنيا، الله لم يحرم على عباده الطيبات، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، كلُّ ما هو مطلوب منك ألا تتعدى الحلال إلى الحرام، ودائرة الحلال واسعة، تستطيع أن تستمتع بالطيبات دون أن تُضطر إلى الحرام، ما الذي يدفعك إلى أن تأكل الحرام وعندك من المال ما عندك، لماذا تطمع في مال الآخرين؟

مشكلة الأغنياء أنّهم لا يقنعون بقليل، ولا يشبعون من كثير، كجهنم كلما قيل لها: ﴿هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]، «لو كان لابن آدم واديان من مالٍ لا يبتغي ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب»^(١).

هم يقولون: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾، استمتع بطيبات الدنيا، ولكن في حدود الحلال، وهذا ممكن لمن أراده، فدائرة الحلال واسعة، كلُّ شيء حلال، والمحرمات أشياء محدودة، ما الذي يجعلك تذهب إلى هذه المحرمات وقد أحلّ الله لك من الحلال ما أحلّ؟!!

﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٣٦)، ومسلم في الزكاة (١٠٤٩)، عن ابن عباس.

النصيحة الرابعة: أحسن كما أحسن الله إليك:

ثم نصحه قومه بنصيحة أخرى: ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾، هذه هي النصيحة الرابعة، ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾، أَدَّ شَكَرَ النُّعْمَةَ، اللَّهُ أَنْعَمَ عَلَيْكَ بِهَذَا الْمَالِ الْوَفِيرِ، بِهَذِهِ الْكُنُوزِ الَّتِي تَنْوَأُ بِمِفَاتِحِهَا الْعُصْبَةَ أَوْلُو الْقُوَّةِ، أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكَ بِهَذَا فَأَدِّ شَكَرَهُ، وَإِنَّمَا تُوَدِّي شَكَرَهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْآخَرِينَ، كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ أَحْسِنَ إِلَى عِبَادِهِ؛ فَالْمَالُ لَيْسَ مَالِكَ، الْمَالُ مَالُ اللَّهِ، كَمَا قَالَ: ﴿فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ﴾، فَأَنْفِقْ مِنْ مَالِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ، ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾.

هذا منطوق سليم.

كيف تستمتع بنعم الله ولا ينال الناس منك شيئاً من هذه الخيرات التي أفاء الله عليك؟

مَنْ كَانَ عِنْدَهُ خَيْرٌ فَلْيُشْرِكْ فِيهِ غَيْرَهُ، وَلَكِنِ الْإِنَانِيَّةُ الْفَرْدِيَّةُ الَّتِي يَعِيشُ فِيهَا كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِ الْأَمْوَالِ تَجْعَلُ الْإِنْسَانَ يَرِيدُ أَنْ يَأْخُذَ كُلَّ شَيْءٍ لِنَفْسِهِ، وَلَا يِنَالُ أَحَدٌ مِنْهُ شَيْئاً.

هذه وسوسة الشيطان، هذه هواجس النفس الأمارة بالسوء، ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨] الفحشاء هي: الخصلة القبيحة، والمقصود بها هنا البخل.

الله يعِدُّكَ الْمَغْفِرَةَ مِنْ فَضْلِهِ فِي الْآخِرَةِ إِذَا أَنْفَقْتَ، وَالْفَضْلَ وَالسَّعَةَ فِي الدُّنْيَا، هَذَا وَعْدُ الرَّحْمَنِ، وَهَذَا وَعْدُ الشَّيْطَانِ، فَأَيُّ الْوَعْدَيْنِ تَصَدِّقُ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ؟ وَعْدُ الرَّحْمَنِ أَمْ وَعْدُ الشَّيْطَانِ؟

للأسف أكثر النَّاس يصدِّقون وعد الشيطان، وييخلون بما آتاهم الله من فضله، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، هؤلاء يصدِّقون وعد الشيطان، حتَّى الفرائض الأساسية.

نرى بعض النَّاس لا يزكُّون أموالهم، ربع العشر، اثنان ونصف في المائة، خمس وعشرون في الألف، ما أقلها! قليل من كثير، غيظ من فيض، ولكن بعض النَّاس ييخلون بهذا.

لعلَّ الفقراء والقريبين من الفقير هم الَّذِينَ يهون عليهم هذا، واحد عنده عشرة آلاف، يقول: كلُّ ألف فيها خمس وعشرون ريالاً. فيخرج مائتين وخمسين ريالاً.

واحد آخر عنده مائة ألف، يقول: المائة ألف فيها ألفان وخمسمائة. وهكذا.

أمَّا من عنده مليون فيقول: في المليون خمس وعشرون ألفاً.

ومن عنده ألف مليون يقول: كلُّ مليون فيه خمس وعشرون ألفاً.

فأصبحت الزكاة بالملايين.

فمثل هؤلاء قد لا يهون عليهم كما تهون على الفقير، مع التراكم يصبح مال الفرد أعظم عنده من رضا الله، أعظم عنده مما وعد الله به المنفقين، ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

ولله تعالى ملكان كلُّ يوم في الصباح، وفي المساء يقول أحدهما:

«اللهم أعطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، ويقول الآخر: اللهم أعطِ مُمَسِّكًا تَلْفًا»^(١).

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠)، كلاهما في الزكاة، عن أبي هريرة.

نصح قارونَ قومه فقالوا له: ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾، لا تنسَ الفقراءَ من حولك، لا تنسَ اليتامى، لا تنسَ أبناءَ السبيل، لا تنسَ الأراامل، لا تنسَ ذوي الأرحام، لا تنسَ النَّاسَ المحتاجين من حولك، بل قُل: اللهُ أعطاني ولم يعطِ هؤلاء، فلاشكرنَّ نعمة الله بإعطاء هؤلاء؛ حتى يديم اللهُ نعمته عليّ، ولا تزول عني فأصير مثلهم.

﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾، هذه هي النَّصيحة الرابعة من نصائح قوم قارون لقارون.

النَّصيحة الخامسة: لا تبغ الفساد في الأرض:

وأخيراً قالوا له: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾، كثير من أصحاب المال يتخذ المال أداة للإفساد، وخصوصاً إذا كان هذا الفساد سيجلب عليه مكاسب وأرباحاً، سيتاجر في الخمر والمسكرات، سيتاجر في المخدرات، سيتاجر في الدعارة، سيتاجر في الأغذية الفاسدة، الأغذية الملوثة بالإشعاع، الأغذية التي انتهت صلاحيتها.

هنا يُفسد في الأرض ويكسب المال، ولا يهتمُّ أن هذا المال يُضُرُّ بالألوف، وربما أضرَّ بالملايين، ولكن هو يقول: نفسي، نفسي.

لا ينبغي لذي المال أن يُفسد في الأرض، ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾، لا تكن بغيتك ولا نيتك الفساد في الأرض، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾، فالله لا يحبُّ الذين يُفسدون في الأرض، بل يحبُّ الذين يُصلحون الأرض، يحبُّ الذين يعمرُّون الأرض، يحبُّ الذين يزرعون الأرض، يحبُّ الذين يحيون موات الأرض، يحبُّ الذين يحترفون في هذه الأرض؛ ليقوموا بخير يقدمونه للناس.

جاء في الأحاديث أن النبي ﷺ قال: «ما من مسلم يغرس غرسًا، أو يزرع زرعًا، فيأكل منه طيرٌ أو إنسانٌ أو بهيمة، إلا كان له به صدقة»^(١).

هذا يُصلح في الأرض، يُطعم النَّاس، يقوم بخدمة للنَّاس.

أمَّا الَّذي يبغِي الفساد في الأرض، يحتكر الأقوات والضروريات مما يحتاج إليه النَّاس حتَّى يغلو ثمنها، فإذا غلا ثمنها أظهرها، ويُظهر منها الشيء القليل بعد القليل؛ ليظلَّ هؤلاء هم الكاسبين، وهم الرباحين وخدمهم.

في أمريكا وفي أوروبا في بعض السنوات كان عندهم فائض من القمح، ملايين الأطنان، ولكنهم ألقوها في البحار والمحيطات؛ لأنهم لو أنزلوها إلى السوق لرخص السعر، وهم يريدون أن يظلَّ السعر غاليًا، يبغون الفساد في الأرض، ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾، الله لا يحبُّ المفسدين، يحبُّ المصلحين، يحبُّ كلَّ مَنْ يقدِّم خيرًا للنَّاس ولو كان قليلًا.

أمَّا من يبتغون الفساد في الأرض فلا يحبُّهم، كما قال الله تعالى - عن اليهود: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤]، ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

هذه النَّصيحة الخامسة من قوم قارون لقارون.

موقف قارون من تلك النَّصائح:

فماذا قال قارون أمام هذه النَّصائح المخلصة، النَّصائح الغالية، النَّصائح التي أرادوا بها مصلحته والخير له في الدُّنيا وفي الآخرة، ماذا قال قارون؟ وبماذا ردَّ عليهم؟

(١) سبق تخريجه ص ١٢٦.

﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ، عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ [القصص: ٧٨]، هذا المال أنا اكتسبته بمهارتي، بعبقريتي الاقتصادية، بذكائي ومعرفتي المداخل والمخارج، ﴿ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ، عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾، أنا صاحب علم، وصاحب خبرة، واكتسبت هذا المال، لا فضل لأحدٍ عليّ - على زعمه - حتّى الله؛ فبعلمي وحده جمعتُ واكتسبتُ هذا المال.

هذه نظرة الرأسماليين الأقحاح الأشرار، الذين يظنون أنّهم وحدهم، وبجدّهم وحدهم، وعقلانيّتهم وذكائهم ومهارتهم اكتسبوا المال، ليس لأحدٍ فضل عليهم، ليس للمجتمع فضل عليهم.

المجتمع هو الذي أكسبهم المال، من الذي أنتج لك المال؟
إنّه المجتمع.

من الذي زرع لك الزرع؟
الفلاحون.

من الذي صنع لك الصناعة؟
الحرفيّون والصنّاعيّون.

من الذي نقل لك المال من مكان إلى مكان؟
العُمّال.

المجتمع هو الذي يصنع ثروة الثريّ، ولذلك القرآن قال: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا ﴾ [النساء: ٥]، قال للمجتمع: ﴿ أَمْوَالِكُمْ ﴾؛ لأنّ المجتمع هو مشارِك في صنع هذا المال، هؤلاء يقولون: نحن وحدنا الذين صنعنا المال.

والله تعالى هو الذي خلق مادة هذا المال - كما شرحنا في الخطبة الماضية - فهم يرون أن الله ليس له فضل عليهم في أموالهم، ولذلك يرون أنهم يفعلون في أموالهم ما يشاؤون.

هكذا قال قوم شعيب لسيدنا شعيب عليه السلام حينما نهاهم عن التطفيف في المكيال والميزان، وعن بخر الناس أشياءهم، ﴿ قَالُوا يَشْعِيبُ أَسْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾ [هود: ٨٧].

هذه نظرة خاطئة، وهي نظرة قارون، ونظرة كل القارونيين، وكل الرأسماليين، وكل الإقطاعيين الذين يظنون أن ليس لأحد فضل عليهم، لا من الخلق ولا من الخالق في كسب أموالهم.

﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۗ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [القصص: ٧٨]، إذا كان صاحب علم فهل كان ممّا علّمه أن كلامه ليس بصحيح، وأن الطغاة من أصحاب المال أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، ولم يُبق لهم من باقية ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ﴾ للمال ﴿ وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾، بل يؤخذون أخذًا بعد أن قامت عليهم الحجة.

موقف أهل العلم من أهل الدنيا:

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۗ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُورُنُ إِنَّهُ لَدُوْحَطٍ عَظِيمٍ ﴾ [القصص: ٧٩]، خرج في موكب ضخم فيه من الأبهة والعظمة، وفيه ما فيه، ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۗ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾، الذين تغرهم هذه المظاهر، الذين يحسبون

السراب ماء، الَّذِينَ لَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْبَابِ وَلَكِنْ يَغْتَرُّونَ بِالْقَشُورِ، هَؤُلَاءِ قَالُوا: ﴿يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾، تَمَنَّوْا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ مِثْلَ مَا لِقَارُونَ مِنَ الْكُنُوزِ.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [القصص: ٨٠]، الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ، أُوتُوا الْبَصِيرَةَ، أَدْرَكُوا الْحَقِيقَةَ، فَزَقُوا بَيْنَ الْأَصِيلِ وَالزَّائِفِ، هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ. الْعِلْمُ هُنَا لَيْسَ شَهَادَاتٍ، الْعِلْمُ نُورٌ يَقْذِفُهُ اللَّهُ فِي الْقَلْبِ، هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ، قَالُوا لَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ أَرَادُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَتَمَنَّوْا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ مِثْلَ مَا لِقَارُونَ، وَقَالُوا: ﴿إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾؛ لِأَنَّهُمْ يَقِيسُونَ النَّاسَ بِالْمَادَةِ، مَاذَا يَمْلِكُ مِنَ الْقَنَاظِيرِ الْمَقْنَطِرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ.

كَمَا قَالَ أَهْلُ مَكَّةَ حِينَمَا نُزِّلَ الْقُرْآنُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُوَ فَقِيرٌ يَتِيمٌ، قَالُوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرَبَاتِ عَظِيمٍ﴾ [الزُّحْرَفِ: ٣١]، مِّنْ أَهْلِ مَكَّةَ أَوْ مِنَ الطَّائِفِ، رَجُلٌ مِّثْلُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ فِي مَكَّةَ، أَوْ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودِ الثَّقَفِيِّ فِي الطَّائِفِ، وَكَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: أَلَمْ يَجِدْ رَبُّنَا غَيْرَ هَذَا الْيَتِيمِ الْفَقِيرِ لِيَنْزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ! وَلَا يَنْزِلُهُ عَلَى عَظِيمٍ!؟

الْعِظْمَةُ عِنْدَهُمْ تَكْمُنُ فِي الْمَالِ وَالجَاهِ، لَيْسَتْ عِظْمَةُ النَّفْسِ، وَلَيْسَتْ عِظْمَةُ الْخُلُقِ، اللَّهُ تَعَالَى مَدَحَ مُحَمَّدًا ﷺ فَقَالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا، لَمَّا رَأَوْا مَوْكِبَ قَارُونَ وَمَا فِيهِ مِنْ أُبْهَةِ وَزِينَةٍ،

فقال لهم أهل العلم: مثوبة الله خير من هذا كله؛ الدنيا هذه لا تزن عند الله جناح بعوضة.

سليمان بن داود الذي أُوتي مُلكًا لا ينبغي لأحد من بعده، كان يطير على بساط الريح، وقد حُشر له من الجنّ والإنس والطير فهم يوزعون، قالوا: إنَّ فلاحًا يبذر الحبَّ في الأرض نظر إلى موكب سليمان الطائر في السماء وقال: لقد أُوتيت يا ابن داود مُلكًا عظيمًا.

فسمعها سليمان، فقال: والله لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما أُوتي ابن داود؛ فإن ما أُوتي ابن داود يزول ويفنى، والتسبيحة في صحيفة المؤمن تبقى^(١).

تسبيحة واحدة، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، إذا غرستها هي خير لك من مُلك سليمان، وخير لك من مال قارون، وخير لك من الدنيا وما فيها، ﴿ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾، لا يُلقَى مثل هذا القول، وهذه الكلمة إلا الصابرون، أولو العزم الذين يعرفون مقامات الأشياء بتأنيهم وصبرهم، ﴿وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾.

نهاية أليمة للمتكبر على الله وخالقه:

ثمَّ ماذا كانت النتيجة؟

كانت النتيجة أن خسف الله بقارون، وبداره، وبماله الأرض، ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٨١]، ما وجد أحدًا من حرَّاسه، ولا من الذين يعملون

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣١٣/٢)، عن أبي عمران الجوني، نشر دار السعادة، مصر،

عنده، ولا من الذين يقفون على بابه، لم يجد أحداً من هؤلاء ينصره، ولم يكن قادراً على نصر نفسه، ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾.

وماذا كان موقف الذين يريدون الحياة الدنيا، الذين كانوا يقولون: ﴿يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾، ما موقفهم الآن؟

﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَابُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَّا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [القصص: ٨٢]، عجباً، ماذا جرى؟

﴿وَيَكَابُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾، عجباً، بسط الرزق هذا ليس دليلاً على رضا من الله، ولا على شيء أبداً، ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٦﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦].

قد يكون المال فتنة، قد يكون مصيبة على صاحبه وهو لا يدري، ﴿وَيَكَابُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَّا﴾، كنا ذهبنا مع هذا الرجل وفتته، ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَّا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾، عجباً، إنه لا يفلح الكافرون.

لا يفلح إلا المؤمنون، كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٤]، ولا يفلح إلا من زكى نفسه، كما قال الله ﴿وَعَلَىٰ﴾
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿٩﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥]، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠]، ﴿وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾.

ثُمَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣].

هذا هو موقف الإسلام من المال، الإسلام لا يحظر الغنى، ولا يعتبر الغنى شراً، ولا يعتبر الأغنياء أشراراً، بل يعتبرهم مبتليين، الله يبتلي بالغنى ويبتلي بالفقر، ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴾ [الفجر: ١٥، ١٦]، هذا مُبتلى وممتحن، وهذا مُبتلى وممتحن، المهم أن ينجح الإنسان في الامتحان، ولا يرسب كما رسب قارون في الامتحان.

هذا هو موقف الإسلام من المال.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *



الخطبة الثانية

أمّا بعد، أيّها الإخوة المسلمون:

لي اليوم كلمة عما يحدث على أرض لبنان الحبيبة، عمّا يحدث من خلاف سياسي في لبنان.

شوهوا وجه لبنان الجميل:

لبنان الجميل الذي شوّهوا وجهه بماء النار، لبنان الضاحك الذي حوّلوا ضحكته إلى بكاء، لبنان الآمن الذي بدّلوا أمنه خوفاً، أبدأ بالحديث عن لبنان وما يجري الآن فيه، لبنان الذي تجري فيه اشتباكات دمويّة، الناس يقتل بعضهم بعضاً، تُسفك الدماء بغير حقّ، لبنان الذي أصبح يُنذر بحرب خطيرة بين أبنائه، كأنّه لم يكف ما قدّم لبنان في الحرب الأهليّة السابقة، التي دامت بضع عشرة سنة، يقاتل بعضهم بعضاً حتّى ملّوا ويئسوا، وذهب عقلاؤهم إلى الطائف، أجمع أهل الحلّ والعقد منهم أن يذهبوا إلى الطائف، ويجتمعوا ويحلّوا مشاكلهم، وفعلاً كان اتفاق الطائف هو المرجع للجميع، ويجب أن يظلّ مرجعاً للجميع.

لبنان اليوم نراه في شبه حرب، أو هي حرب فعلاً، والعرب يتفرّجون، ولا يقدّمون شيئاً، ولا يحركون ساكناً - كالعهد بهم - والرحى تطحن، والرحى تدور، لا تطحن الحبّ وإنّما تطحن البشر.

إنّنا - أيّها الإخوة - باسم الأمّة، باسم جماهير الأمّة، باسم علماء الأمّة، باسم حكماء الأمّة، باسم دين الأمّة، باسم موثيق الأمّة: نطالب المعتركين في لبنان من الفريقين، نطالب السيد حسن نصر الله،

ونطالب سعد الحريري، نطالب حزب الله، ونطالب جماعة المستقبل، نطالب الجميع بأمور لا ينبغي أن يختلف فيها اثنان، ولا ينتطح فيها عنزان كما يقولون.

١ - أوقفوا الاقتتال:

نطالب أولاً: بوقف هذه الاشتباكات القتالية الدموية، التي تُراق فيها الدماء بغير حق، يجب أن تقف هذه الحرب في الحال، بلا قيد ولا شرط ولا تأخير، قد علمنا القرآن: ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، وعلمنا نبي الإسلام أن سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر^(١)، «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مَوْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ»^(٢).

فالواجب الأول إيقاف هذه الاشتباكات.

٢ - إخلاء الشوارع من المسلّحين:

الأمر الآخر: إخلاء الشوارع من المسلّحين.

إنّ الأمم الراقية إذا اختلف بعضها مع بعض تطلّ خلافاتها في المؤسّسات بين أهل الرأي، بين أهل القيادة، أمّا أن ينزل الخلاف إلى الشارع، وينزل معه السلاح، ويتقاتل الناس، فهذا لا يقرّه عاقل، لا يقرّه عاقل أن تُستعرض الأسلحة في الشوارع، لم تُخلق الأسلحة لتشهر في

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤)، كلاهما في الإيمان، عن ابن مسعود.
(٢) رواه ابن ماجه في الديات (٢٦١٩)، وصحح إسناده ابن الملقن في البدر المنير (٣٤٧/٨)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١٢٢، ١٢١/٣): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. وصحّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢١٢١)، عن البراء.

الشوارع، إنّما خُلقت لتردع الأعداء إذا اعتدوا على الحرمات، على المقدّسات، على الدين، على الوطن.

٣ - ادّخروا قوتكم لعدوّكم المشترك:

ونطالب - أيضًا - الإخوة في لبنان، بأن يدّخروا قوى المقاومة للعدوّ المتربّص، الذي لم يزل يسنُّ أسنانه ويحدُّ أنيابه، إسرائيل لا تزال قائمة، ينبغي أن نُجند مقاومتنا ونُدّخرها لحرب إسرائيل، لا لحرب بعضنا بعضًا. إنّ أيّ حرب أهليّة، أو أيّ حرب طائفيّة ليس فيها منتصر ومنهزم، المنتصر هو الصهاينة، إسرائيل، وكلُّنا منهزم، وكلُّ قطرة دم تُسفك من أيّ فريق من الفريقين هي خسارة على الجميع.

٤ - العودة إلى مائدة الحوار:

نطالب كذلك أن يعود الجميع إلى مائدة الحوار، أن يجلس بعضهم إلى بعض، يحاور بعضهم بعضًا، دون إملاء، ودون استعلاء من طرف على طرف، الجميع إخوة، أبناء الأسرة الواحدة لا يجوز أن يستعلي بعضهم على بعض، كلُّنا أبناء أب واحد، كلُّنا أبناء وطن واحد، فيجب على الجميع أن يصغوا لصوت الحكمة، ولصوت الحقّ، وأن يعود الجميع للحوار.

٥ - انتخاب رئيس جمهوريّة:

ينبغي كذلك أن يسارع الجميع بانتخاب الرجل المتّفق عليه، أنا أعجب أن يكون لبنان كلّهُ بكلّ طوائفه، وبكلّ فئاته وتياراته قد أجمع على اختيار رجل واحد (ميشيل سليمان)، وأظهرت الأيام حكمة هذا

الرجل وحنكته، فهو لم يتورّط في شيء، الجميع متّفق عليه، لماذا لا يبادرون باختيار رئيس بدل هذا الفراغ الرئاسي؟

٦ - على العرب أن يقوموا بدورهم:

أطالب كذلك الجامعة العربيّة، والأمين العام للجامعة العربيّة، وهو رجل واع ومدرك لحقائق الأمور، ونشيط، وأعتقد أنّه غيور ومخلص، أطلبه بأنّ يقوم بدوره، وأن يعود من جديد ليقوم بدوره في لبنان؛ ليطفئ هذه الفتنة، ليطفئ هذه النّار التي يمكن أن تأكل الأخضر واليابس.

وأطالب العرب، وزعماء العرب، وحكّام العرب، أطلبهم في المشرق والمغرب بأنّ يقوموا بدورهم الذي يجب عليهم نحو لبنان، أطلبهم جميعاً ألاّ يسكتوا على هذا الأمر.

إنّ العبث بأمن لبنان، العبث باستقرار لبنان، العبث بوحدة لبنان، العبث باقتصاد لبنان، العبث بمستقبل لبنان جريمة كبرى وخيانة عظيمة، ولا يجوز للعرب أن يسكتوا عليها، يجب أن يقولوا كلمتهم، وأن يتحرّكوا قبل أن يفوت الأوان.

وللأسف كثيراً ما يتحرّك العرب ولكن بعد فوات الأوان.

أنادي الجميع أن يقفوا موقفاً رجوليّاً، وموقفاً إيمانيّاً إزاء هذه المشكلة، لا يجوز لنا أن ندع الدماء تُسفك، لا يجوز لنا أن ندع الحُرّمات تُهتك، لا يجوز لنا أن نقف أمام هذه المصائب خرساً صامتين كصمت القبور.

إنّ البطولة حقّاً ليست في أن تستعرض عضلاتك على أخيك، البطولة أن تستعرض عضلاتك على عدوك، أمّا أخوك فمن واجبك أن

تسامح معه، من واجبك أن تتنازل له، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَصَفَ الْمُجَاهِدِينَ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ: ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكُفْرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

هذا هو الجيل المنشود، الجيل المرتقب لنصرة هذه الأمة، ﴿يَأْتِيهَا
الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
أَعِزَّةٌ عَلَى الْكُفْرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ﴾ [المائدة: ٥٤].

هذه كلمتي للفريقين في لبنان، أن يتقوا الله في وطنهم، وفي أمّتهم،
ولا يظهروا بهذا المظهر، وكلُّ مَنْ يَعتقدُ أَنَّهُ مُنتَصِرٌ فِي هَذِهِ المَعْرَكَةِ
فليس بمنتصر، ليس بنصر أن تنتصر على أخيك، النصر أن تنتصر على
عدوك، النصر الحقيقي أن تنتصر على نفسك، على شهواتك.

هذا ما يريده منا الإسلام إن كنا مسلمين ومنتسب إلى الإسلام حقًا.
اللهم اجمع كلمة هذه الأمة على الهدى، وقلوبها على التقى،
ونفوسها على المحبة، ونياتها على الجهاد في سبيل الله، وعزائمها على
عمل الخير وخير العمل.

اللهم أكرمنا ولا تُهِنَّا، وأعظنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا
ولا تُؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا.

اللهم لا تُهلكنا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من
لا يخافك ولا يرحمنا.

اللهم انصر إخواننا المجاهدين حيثما كانوا من أرض الإسلام،
اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسلام حيثما كانوا، اللهم خذهم ومن
ناصرهم أخذ عزيز مقتدر، اللهم أنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن
القوم المجرمين.

اللهم اجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين.
 ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
 الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا
 لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله
 وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ
 اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



الكسب الحلال (١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

في الجمعة السابقة تحدثنا عن قيمة المال، ومنزلة المال في الإسلام، وأن الإسلام لا يعتبر المال في ذاته شراً، بل يعتبره خيراً، ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ٢١٥]، ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨]، أي لحب المال، فالمال في ذاته خير، وقد قال النبي ﷺ: «نعم المال الصالح للرجل الصالح»^(١).

نظرة الإسلام إلى المال:

لا ينظر الإسلام إلى المال نظرة المسيحية إلى المال، فالمسيح قال لمن أراد أن يتبعه: اذهب فتخلص من مالك ثم اتبعني^(٢). ولكن

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٣٠ مايو ٢٠٠٨م.

(٢) سبق تخريجه ص ١١٨.

(٣) إنجيل مرقس (٢١/١٠).

محمَّدًا ﷺ لم يأمر أحدًا من أتباعه أن يتخلَّى عن ماله، بل قال: «ما نفعتني مالٌ كمالِ أبي بكر»^(١). وقد أغناه الله بمال خديجة وتاجر فيه، ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٨].

ودعا لخدمه أنس بن مالك أن يبارك الله له في ماله^(٢)، وهكذا كان ﷺ يسأل ربه ويقول: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»^(٣).

وكان ممَّا ناجى به ربّه: «اللهم أنت الأول؛ فليس قبلك شيء، وأنت الآخر؛ فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر؛ فليس فوقك شيء، وأنت الباطن؛ فليس دونك شيء، اللهم أغننا من الفقر، واقض عنا الدين»^(٤). هذه المناجاة البليغة الرقيقة كانت مقدمة لهذا الدعاء، أن يغنيه الله من الفقر، وأن يقضي عنه الدين.

وحينما مرض سعد بن أبي وقاص، وعاده رسول الله ﷺ قال له سعد: يا رسول الله، إنَّ لي مالًا كثيرًا وليس يرثني إلا ابنتي؛ أفأتصدَّق بثلثي مالي؟ قال: «لا». قال: النصف؟ قال: «لا». قال: فثلثه؟ قال: «بالثلث، والثلث كثير، إنَّك أن تذر ورثتك أغنياء: خير من أن تذرهم عالة يتكفّفون الناس»^(٥).

(١) سبق تخريجه ص ١١٦.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٣٤)، ومسلم في الفضائل (٢٤٨٠)، عن أنس.

(٣) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢١)، وأحمد (٣٩٠٤)، عن ابن مسعود.

(٤) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧١٣)، وأحمد (٥٩٦٠)، عن أبي هريرة.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٢٧٤٢)، ومسلم (١٦٢٨)، كلاهما في الوصايا.

المال وسيلة لقضاء حاجات الفرد، والأسرة، والمجتمع:

وهذا لأنّ المال وسيلة لقضاء حاجات الفرد، وحاجات الأسرة، وحاجات المجتمع، الفرد لا يستطيع أن يقوم بمعيشته، وأن يقوم بواجبات؛ ه إلا إذا كان قوياً من الناحية الماليّة.

وكذلك الأسرة لا تستطيع أن تقوم بأعبائها إذا كانت فقيرة، إن بعض الأسر في الجاهليّة قامت بقتل أولادها من إملاق أو خشية إملاق، من فقر واقع أو من فقر متوقع، وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ تَحْنُ نَزُوقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ تَحْنُ نَزُوقُهُمْ وَإِيَّائِكُمْ إِنَّا قَتَلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١]. الفقر أحياناً قد يؤدي إلى مثل هذه الجرائم الكبيرة.

والفقر أيضاً خطر على المجتمع، لا يستطيع المجتمع أن ينهض بأعبائه، وأن يقوم بدوره في بناء الحضارة، وفي تقوية الأمة، وفي إعلاء رسالتها التي هي رسالة الإسلام إلاّ بالمال، ولذلك اعتبر القرآن المال قواماً للحياة، قياماً للمعيشة، ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ [النساء: ٥]، أي قواماً، أو كما نقول بلغة عصرنا: المال عصب الحياة.

ومن هنا كان لا بدّ لنا أن نكسب المال، وأن ننتج المال، لا بدّ لنا أن نزرع، ولا بدّ لنا أن نصنع، ولا بدّ أن نحترف الحرف المختلفة، ولا بدّ أن نتاجر، وهذه كلها أعمال باركها الإسلام.

الكسب عن طريق الزراعة:

الإسلام يبارك الزراعة، «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة؛ إلاّ كان له به صدقة»^(١)، الإسلام

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المزارعة (٢٣٢٠)، ومسلم في المساقاة (١٥٥٣)، عن أنس.

يقول: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة - نخلة صغيرة، أو شتلة - فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها؛ فليغرسها»^(١). لماذا يغرسها والساعة تقوم، فلن يأكل منها، ولن يأكل منها أحد؟ هذا إشارة إلى تمجيد العمل وتكريمه، العمل في ذاته عبادة، وإن لم يأكل منها أحد، ليظل المؤمن منتجًا معطيًا للحياة، إلى أن تلفظ الحياة آخر أنفاسها.

الكسب عن طريق الصناعة:

الإسلام يحثُ على الزراعة، ويحثُ على الصناعة، وذكر القرآن لنا عدة صناعات اشتغل بها الأنبياء، كان نوح عليه السلام يتقن النجارة، ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: ٣٨].

وكان إبراهيم خليل الرحمن وابنه إسماعيل عليهما السلام يتقنان صناعة البناء، وهما اللذان بنايا الكعبة، ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وكان داود عليه السلام يتقن صناعة الدروع الحربية، التي تقي المقاتلين من سهام العدو، ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ أَنْ أَعْمَلَ سَبِيغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾ [سبأ: ١٠ - ١١]، ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠]، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ما أكل أحد طعامًا قط أفضل من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده»^(٢). آتاه الله الملك والحكمة، وعلمه ممّا يشاء، ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ، وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾ [ص: ٢٠]، ولكن لم يكن يأكل من ملكه، وإنما يأكل من صنع يده.

(١) سبق تخريجه ص ٩٨.

(٢) رواه البخاري في البيوع (٢٠٧٢)، عن المقدم بن معديكرب.

وهكذا نرى كثيراً من الأنبياء يتقنون بعض الصناعات، ويذكر القرآن لنا صناعات أتقنها الإنس وأتقنها الجن لسليمان، لأنَّ المجتمع لا بدَّ له من الصناعة.

وعلماءنا يقولون: إنَّ كل علم يحتاج إليه المسلمون من علوم الدين أو الدنيا، وكل صناعة يحتاج إليها المسلمون في دنياهم حتَّى ينشؤوا أمةً قويّة، أمةً عزيزة الجانب، أمة لا يطمع فيها أعداؤها: يُعتبر تعلُّمها وإتقانها فرض كفاية على الأمة. أي واجب على الأمة بالتضامن أن تهَيئ هذه الصناعات: النجارة، والحدادة، والتكنولوجيا وغيرها من الصناعات في عصرنا.

إتقان العمل:

على المسلمين أن يتقنوا هذه الصناعات وهذه العلوم، وعلى المسلمين ألا يتخلفوا عن الثورات العلميّة المختلفة التي وصل إليها العالم بجهوده خلال القرون؛ بل عليهم أن يكونوا في مأخذ الزمام من القافلة، لا في ذيلها، وهكذا كُنَّا في الزمن الماضي، كُنَّا سادة الحضارة، وكُنَّا رادة العالم، واقتبس منا الغربيون ما اقتبسوا، اقتبسوا المنهج التجريبي الاستقرائي، اقتبسوا منا علومًا جمّة، وتخلفنا نحن.. نمنا واستيقظوا، وتخلفنا وتقدّموا، وأبطأنا وأسرعوا، وتوقفنا وساروا، لا بدَّ أن نعود إلى سيرتنا.

لا بدَّ أن نتقن الزراعة والصناعة، وكل الحرف المختلفة، وكل ما يحتاج إليه العالم ليتقدّم، عندنا قاعدة تقول: ما لا يتم الواجب إلَّا به فهو واجب. فكل ما لا تتم به النهضة، ولا تتم به القوة العسكريّة، والقوة الصناعيّة، والقوة العلميّة، والقوة التكنولوجية فهو واجب على

الأمة متضامنة: حكامها ومحكوموها، أغنياؤها وفقراؤها، رجالها ونساؤها، كل الفئات، وكل القوى يجب أن تعمل على نهضة الأمة، وهذا لا يكون إلا بالمال.

اكتساب المال من الحلال وإنفاقه في الحلال:

لا بد أن نُحصّل المال، كل شيء لا يأتي إلا بالمال، ولذلك كان اكتساب المال أمرًا مطلوبًا في الإسلام، ولكن الإسلام يشدّد غاية التشديد في أن يكون اكتساب المال من حلّه.

هناك أربعة أسئلة رئيسة يُسألها كل مُكلّف يوم القيامة؛ حينما يقف بين يدي الله، كما قال النبي ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه»^(١). هذا أمر مهم، يُسأل عن ماله: من حلال أم من حرام؟ المهم أن يكتسب المال من حلال، وينفقه في حلال أيضًا، سيُسأل عن هذا يوم القيامة.

لا يجوز للمسلم أن يقتحم المكاسب ويبحث عن الأرباح، عن العمل الذي يأتي بنقود أكثر، ويدر ربحًا أكبر؛ كما تفعل الرأسمالية الغربية، فهي مذهب لا يبالي بالأخلاق، ولا يبالي بالدين، ولا يفكر في حلال ولا حرام، المهم عنده هذا العمل كم يدرّ من الدخل؟ كم يأتي بالأرباح من النقود؟ كم مليونًا وكم مليارًا؟ أمّا أن يكون ذلك مضرًا بالبشر، هادمًا للقيم، مُدمرًا للأخلاق، مُدمرًا لصحة البشر؛ فلا يهمهم

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤١٧)، وقال: حسن صحيح. وأبو يعلى (٧٤٣٤)، وصحّحه الألباني في صحيح التّرجيب والتّزهيب (١٢٦)، عن أبي برزة الأسلمي.

هذا، المهم عندهم كم يجلب هذا العمل من العُملة؟! العُملة عندهم هي مقياس النَّاس ومقياس قيم الأفراد، كما قال الشاعر:

فقيمةُ ربِّ الألف ألفٌ وزدْ تزدُ وقيمةُ ربِّ الدرهم الفردِ درهمٌ!

كل واحد يُقيّم أو يُقوّم حسب ما يملك من النقود، فهم عبّاد هذه النقود، والنبي ﷺ يقول: «تَعَس عبد الدينار، تَعَس عبد الدرهم». أصيب بالتعاسة والشقاء، قد يملك القناطير المُقنطرة، قد يكون عنده من الشركات ما عنده، قد يكون له من الرصيد في البنوك ما له، قد يملك من الأموال والممتلكات ما لا يملكه غيره، ولكنه في ذات نفسه تعيس، تعس بالعبودية للمال، عبوديته نفسها هي مصدر التعاسة، إنّه لا يشعر بالسعادة التي يشعر بها المؤمنون الفقراء، الذين يقولون: إننا نعيش في سعادة لو علم بها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف^(١). ولكن الملوك لا يعلمون قدرها، والرأسماليون لا يعرفون قدرها، والإقطاعيون لا يعرفون قدرها؛ فتركوها لهم يستمتعون بها في سعادة روحية هم محرومون منها، إنهم يعيشون في التعاسة، «تَعَس عبد الدينار، تَعَس عبد الدرهم، تَعَس عبد القطيفة وعبد الخميصة»، عبد الترف، الذي يعيش في الحياة المترفة، «تَعَس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش»^(٢).

تحرّي الكسب من الحلال:

الإسلام يربّي المسلم ويحرضه على أن يتحرّى الحلال في كسبه، النبي ﷺ يقول: «الحلال بيّن، والحرام بيّن، وبينهما مُشْتَبَهَات لا يعلمهنّ

(١) من قول إبراهيم بن أدهم، ذكره أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٧٠/٧)، نشر مكتبة السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

(٢) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٨٦، ٢٨٨٧)، عن أبي هريرة.

كثيرٌ من الناس، فمن اتقى الشُّبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشُّبهات وقع في الحرام»، الألف تجرُّ إلى الباء، والصغيرة تجرُّ إلى الكبيرة، والشبهة تجرُّ إلى المُحرَّم، «كالراعي يرعى حول الحمى، يوشك أن يرتع فيه»^(١).

كلنا نعرف الحلال من الحرام، ولكن هناك مشتبهات، الإنسان الذي يحرص على دينه ويخاف ربّه، ويخاف النار يبعد عن الحرام، يتورّع عن المحرّمات، نحن نعيش في زمنِ المحرّمات فيه متأجّجة، هناك مَنْ لا يبالي أن يدخل في بطنه النار، النَّاس لم يعودوا يقنعون بالقليل، ولا يشبعون من الكثير، كل واحد يطمع في الزيادة.

فصاحبُ العشرِ يبغى عشرة مائةً وصاحبُ الألفِ يبغى الألفَ مليوناً وصاحب المليون يريدُها عشرة ملايين، وصاحب العشر ملايين يريدُها ملياراً، وصاحب المليار يريدُها أن تزيد، وهم كجهنّم كلما قيل لها: هل امتلأتِ؟ تقول: هل من مزيد؟

أصبح النَّاس لا يباليون بالحلال والحرام، ويستعملون الغش فيما بينهم. حدثني بعضهم أنه يتفق مع بعض الناس: إذا سألك فلان فقل له: إنك ساومتني هذه السلعة بكذا. ولم يسئمه ولا شيء، ولكن يريد أن يخدع المشتري، ويوهمه أنها تساوي كذا، وهذا نوع من الخداع والمكر والغش، أصبح من الأمور السائدة في هذا العصر: استعمال الغش بطرق مختلفة، وهذه الأمور التي أصبح يتفق عليها الكثيرون ويستحلونها: هي حرام صريح، برئ مُحَمَّد ﷺ ممّن فعلها، «مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا»^(٢)، ليس

(١) سبق تخريجه ص ١٣١.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (١٠١)، وأحمد (٧٢٩٢)، عن أبي هريرة.

من هذه الأمة، ليس من أتباع محمد، ليس بمؤمن حقيقة، ولكن الكثيرين يستعملون الغش!

وهناك الكثيرون يستعملون الطمع في الحرام، الذين يزيدون أسعار السلع، يشترونها بثمن رخيص، ثم تأتي زيادات في الرواتب فيغنون السلعة، يا أخي أنت اشتريتها رخيصة؛ فبعها بزيادة معقولة، وبارك الله لك في القليل، والله إنَّ القليل الحلال الصَّرف لبارك الله فيه أكثر ممَّا يبارك في الملايين والملايير.

احرص على أن تكون لقمته من حلال، ألاَّ ينبت جسدك من حرام، «كلُّ جسد نبت من سحت؛ فالنار أولى به»^(١)، احرص على ألاَّ يأكل أولادك إلاَّ حلالاً، أن ألاَّ يتربَّى أولادك إلاَّ من الحلال، احرص على أن تترك لهم ثروة من حلال، وإلاَّ تمتعوا هم بها، وذهبت أنت إلى جهنم وبئس المصير. مهما جمعت من الملايين فإمَّا أن ترحل هي عنك؛ فتخسرهما في البورصة أو في غيرها، كثير من النَّاس بعد أن وصلوا إلى القمة نزلوا إلى الحضيض، وإمَّا أن ترحل أنت عنها، وأنت راحل عنها لا محالة لأننا كلنا راحلون عن هذه الدنيا وتاركون ما نملكه.

النبى ﷺ يقول: «أَيْكُمْ مَالٌ وَارثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟». قالوا: يا رسولَ الله، كلنا مالنا أحبُّ إلينا من مال وارثنا. قال: «فإنَّ ماله ما قدَّم، ومال وارثه ما أخَّر»^(٢). الَّذي قدَّمه في حياته في عمل الخير هو ماله الحقيقي، أمَّا ما تركه بعده فليس ماله، هو مال وارثه!

(١) رواه أحمد (١٤٤٤١)، وقال مخرَّجوه: إسنادُه قوي على شرط مسلم. والترمذي في السفر (٦١٤)، وقال: حسن غريب. وابن حبان في الصلاة (١٧٢٣)، عن جابر بن عبد الله.

(٢) رواه البخاري في الرقاق (٦٤٤٢)، عن ابن مسعود.

كثير من الناس يشترى نار جهنم بمال وارثه، وربما استمتع وارثه بهذا المال وهو يذمه ويلعنه؛ كما رأينا كثيرًا من الأبناء والأحفاد يتمتعون بمال آبائهم وأجدادهم، وهم يسبونهم ويلعنونهم والعياذ بالله.

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا:

أحرص أيها المسلم ألا يدخل خزانتك أو حسابك في البنك إلا المال الحلال، وثق أن الحلال مبارك فيه، وإيّاك أن تقول: أنا آخذ هذا المال ثم أتصدق منه، أو أبني منه مسجدًا، أو أطبع منه مصحفًا، أو أبني دارًا لتحفيظ القرآن، أو مدرسة للأيتام؛ فإن هذا كله لا يُغني عنك شيئًا، لا يغني عنك أن تتصدق بالمال الحرام، أو تنشئ منه مشروعًا خيريًا.

يقول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ قَالَ: ﴿يَتَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]. وَقَالَ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ، أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَقُولُ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ. وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ؛ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟»^(١). الرجل يطيل السفر، شعث رأسه، واغبرت قدماه، ولعله في سفر حج أو عمرة، سفر طاعة، وكل هذا من أسباب استجابة الدعاء: طول السفر والشعثة والغبرة ورفع اليدين، ويقول: يا رب، يا رب. ولكن أنى يُستجاب لذلك؛ وهو لم يتطهر من حرام، «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا».

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠١٥)، وأحمد (٨٣٤٨)، عن أبي هريرة.

بعض النَّاس يجمع الملايين، وربما البلايين، ويظن أنه ببعض عمل الخير يغنيه هذا عند الله ويُطَهِّر ماله، المال الحرام لا يُطَهِّره أن تُخرج بعضه، إنما يُطَهِّره أن تُخرجه كله، حتَّى قال العلماء: إنَّ المال الحرام لا تجب فيه الزكاة؛ لأنَّ المال الحرام لا يُملك، والزكاة فرع عن الملك، ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، وهذا المال الحرام ليس ماله، هو مال صاحبه.

الإسلام لا يسلب المال ملكيته الأصلية، يظل على ملك صاحبه، وإن طال الزمان، ومضت السنون، مُضِيَّ الزمن لا يُحلُّ الحرام، ولذلك زكاة المال الحرام أن تخرجه كله: أن تعيده إلى أصحابه أو لورثتهم، أو تتنازل عنه لجهة من جهات الخير؛ إذا كنت لا تعرف أعدادهم ولا أشخاصهم.

هذا هو الواجب: اكتساب المال من حلال، النَّاس في عصرنا يكتسبون المال من طرق شتَّى، وبأسماء شتَّى، يأخذ أحدهم ما لا يحل له، يأخذ الملايين باسم العمولات، وهي ليست عمولات، إنما هي رشوة تحت مسمَّى (عمولة)، وهذه تُدفع بالملايين، وربما بالبلايين، كل هذا لا يغني صاحبه شيئاً عند الله.

لا يغني عنك عند الله تعالى إلا أن تلقاه بالعمل الصالح والأكل الطيب، ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾، أمَّا أن تلقى الله بهذا العمل السيِّئ، وبهذا المال الخبيث؛ فلن يغني عنك من الله شيئاً.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: والذي نفسي بيده لا يتصدَّق عبدٌ من مالٍ حرام فيقبل منه، ولا ينفقه فيبارك له فيه، ولا يتركه خلف ظهره؛ إلا كان زاده إلى النار، إنَّ الله لا يمحو السيِّئ بالسيِّئ، ولكن يمحو السيِّئ بالحسن، إنَّ الخبيث لا يمحو الخبيث^(١).

(١) رواه أحمد (٣٦٧٢)، وقال مخرَّجوه: إسناده ضعيف. والبخاري (٢٠٢٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٤): رواه أحمد ورجال إسناده بعضهم مستور، وأكثرهم ثقات.

فليتق الله أولئك الذين يجترؤون على المال الحرام؛ فإن المال الحرام لا ينفعهم، لا في الدنيا ولا في الآخرة، حتى في الدنيا لو أصابه المرض ماذا يفعل بهذا المال؟ كثير من أصحاب المليارات لا يستمتعون بأموالهم؛ لأنه محظور عليه من الأطعمة كذا وكذا، ممّا يستمتع به الفقير الذي لا يجد شيئاً.

وجوب الحذر من الحرام:

احذر من الحرام، الحرام الحرام، الحرام أيها الناس، اجتنبوا الحرام، واكتفوا بالحلال، جاء عن بعض السلف: إذا غضب الله على قوم رزقهم من حرام، وإذا اشتد غضبه عليهم بارك لهم فيه، أي البركة الحسيّة: الزيادة.

وكما جاء في قوله تعالى: ﴿سَنَسُدَّ رِجْلَهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٤ - ٤٥]. واستدراج الله يعني أنهم كلما أحدثوا معصية أحدث الله لهم نعمة فيزدادون - والعياذ بالله - إقبالاً على المعاصي، وإعراضاً عن الطاعات، كلما وجدوا هذه البركة المزعومة، وهي ليست بركة حقيقية، وإنما استدراج من الله، وإملاء من الله لهم، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنعام: ٤٤ - ٤٥]. فرحوا بما أُوتوا: ظنوا أنه رضا من الله عليهم، وهو ليس إلا استدراجاً لهم.

يا أيها الأغنياء، يا أيها التجار، يا أصحاب الثروة، يا أصحاب الملايين، اتقوا الله في الناس، يا أصحاب البيوت، لا تغلوا الإيجارات على المساكين، على العمال الفقراء، الذين لا يكادون يجدون القوت،

يكفيكم بعض المكاسب، لا تكسبوا كل شيء، أمامكم الفرص طويلة، ارحموا الساكنين الذين يكاد راتبهم يكفيهم؛ فكيف يُطلب كل ما لديهم في إيجار البيوت؟ ارحموا عباد الله، «ارحموا مَنْ في الأرض يرحمكم مَنْ في السماء»^(١).

أسأل الله تبارك وتعالى أن يهدينا للتي هي أقوم، وأن يرزقنا الرحمة بعباده، وأن يرزقنا العدل في المعاملات، وأن يهدينا إلى ما يحب ويرضى، اللهم آمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) رواه أحمد (٦٤٩٤)، وقال مخرَّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الأدب (٤٩٤١)، والترمذي في البرِّ والصَّلة (١٩٢٤)، وقال: حسن صحيح. والحاكم في البرِّ والصَّلة (١٥٩/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩٢٥)، عن عبد الله بن عمرو.

الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

اتفاق الدوحة للمصالحة اللبنانية:

لقد انشرحت صدورنا، واطمأنت قلوبنا بما انتهى إليه اتفاق الدوحة مع الإخوة اللبنانيين؛ فطالما شكونا من التفرق والتشردم، والاختلاف والتشاحن بين أبناء هذه الأمة، حتّى بين أبناء البلد الواحد، ينزغ الشيطان بينهم حتّى يكيد بعضهم لبعض، وحتى يعادي بعضهم بعضاً، وحتى يقاتل بعضهم بعضاً، ولا يجوز للأمة أن تستسلم لهذه النزغات والشّهوات، نزغات الشياطين، وشهوات السلاطين، ينبغي ألا تستجيب الأمة لهذا، وأن يكون عندها عقل أكبر من الهوى، وحكمة أكبر من الشهوة.

وشكر الله لدولة قطر، ولأمير دولة قطر: ما قامت به من الصلح المطلوب في هذا الجانب، وينبغي أن يكون في الأمة أناس عقلاء حكماء، يتدخلون عند اللزوم لإطفاء النار، وإخماد الفتنة قبل ألاّ تبقي ولا تذر.

شكر الله لدولة قطر ما قامت به، وهذا يدل على أنّ الأمة إذا أرادت تستطيع أن تصل بالتصميم، بالنيّة الصادقة، بالإرادة المصمّمة، وقد بعث سيدنا عمر رضي الله عنه حكّمين من الصحابة ليصلحا بين زوجين مختصمين، فذهبا الحكّمان ومكثا أياماً ثمّ عادا إلى عمر، وقالوا: يا أمير المؤمنين، الأمر غير قابل للصلح بينهما، لم نستطع أن نوفّق بينهما، وأن نصلح بينهما. فقال لهما سيدنا عمر: أصلحا نياتكما وعودا. حاولا مرة أخرى، ولكن عودا بنية جديدة، بنية صالحة، بنية صادقة.

رجع الحكمان بهذه النيّة الجديدة، وحاولا ثمّ حاولا؛ فاستطاعا أن يوفقا بين الزوجين المختصمين، وعادا إلى عمر وقالاه: يا أمير المؤمنين، وفقّ الله واستطعنا أن نصلح ذات البين، وأن نجمع بين الزوجين. فقال عمر: صدق الله تعالى إذا يقول: ﴿إِنْ يُرِيدَ إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: ٣٥]^(١). إذا أراد الحكمان إصلاحًا إرادة مصمّمة: يوفق الله بينهما، فالنيّة والإرادة لها أهمية، ولذلك نوت قطر وأرادت، وصممت ألا يعود اللبنايون إلاّ باتّفاق؛ فوصلت إلى هذا الاتفاق.

الصلح المنشود بين الفلسطينيين:

وبقي أمر آخر نطالب قطر به، وهو الصلح بين إخواننا الفلسطينيين، بين فتح، وحماس، والفصائل المختلفة في فلسطين، فهم أولى من غيرهم أن يتفقوا، قد يختلف الناس في ساعة اليسر، في ساعة النصر، في ساعة العافية، في ساعة المنحة، أمّا في ساعات الشدّة، في ساعات الكارثة، في ساعات المصائب تُصَبُّ عليهم: من يمين وشمال، ومن فوق ومن تحت؛ فلا يجوز أبدًا.

في ساعات العسر والشدّة يجب أن يجتمع المختلفون كما قال شوقي رَحِمَهُ اللهُ:

إِنَّ الْمَصَائِبَ يَجْمَعُنَا الْمَصَابِينَا^(٢)

وكما قال الشاعر العربي قديمًا:

عند الشدائد تذهب الأحقاد^(٣)

(١) إحياء علوم الدين (٤٩/٢).

(٢) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٠٤/٢).

(٣) الشعر لعويّف القوافي. انظر: الأغاني (١٣٨/١٩)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.



لا مكان لحقد ولا عداوة عند الشدائد.

وأى شدة أكبر ممّا فيه إخواننا الفلسطينيون، من هذا الحصار الظالم، الذي أذل الرقاب، وجوّع البطون، وفعل ما فعل، صحيح أنّ الإخوة صامدون صابرون على ما ينزل بهم، ولكن الجوع كافر، والمعدة لا ترحم، والحياة تفرض نفسها على الإنسان بضروراتها وحاجاتها.

لا بدّ للإخوة أن يتفقوا، ليس هناك بديل إلاّ الاتفاق، لا نريد أن نقول: هذا مظلوم، وهذا ظالم، وهذا صالح وهذا فاسد. ليس من شأننا هذا، من شأننا أن ندعو الجميع إلى الاتفاق.

وأنا أدعو الجميع إلى الحوار، أن يجلسوا على مائدة واحدة، وأن يستمع بعضهم إلى بعض، وأن يقترب بعضهم من بعض، وأن يتفاهم بعضهم من بعض، إذا كانوا يلتقون بأولمرت وبالإسرائيليين وبالأمريكان؛ أفلا يلتقي الأخ بأخيه؟ لماذا لا يلتقي الأخ بأخيه ويضع يده في يده؟ إنهم إذا أرادوا ذلك سيصلون.

ولعل قطر - وهي قريبة من الفريقين، ومقبولة عند الطرفين - بواقعها، وبماضيها، وبما قدّمت للجميع طوال الفترة الماضية والأزمة الماضية، من قديم وقطر مع قضية فلسطين، لعل قطر تستطيع أن تُقدّم شيئاً إلى الإخوة الفلسطينيين كما قدّمت للإخوة اللبنانيين.

نسأل الله ﷻ أن يجمع القلوب على الهدى، وأن يجمع الكلمة على التّقى، وأن يجمع النفوس على المحبّة، وأن يجمع العزائم على عمل الخير وخير العمل، اللهم أصلح ذات بيننا، وألّف بين قلوبنا، وأبعد عنا الشيطان ونزغاته يا رب العالمين، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا

بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا؛ ربنا إنك رؤوف رحيم،
 اللهم أيد إخواننا المجاهدين في سبيلك، اللهم شد أزهرهم، واحم
 ظهرهم، وافتح لهم فتحاً مبيئاً، واهدهم صراطاً مستقيماً، وانصرهم نصرًا
 عزيزاً، وأتم عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم
 فضلك ورحمتك، اللهم لا تهلكننا بما فعل السفهاء منا، وارفع مقتك
 وغضبك عنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، واجعل
 هذا البلد آمناً مطمئناً سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين، ربنا اغفر لنا
 ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين.

فقه السفر والسياحة^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

أنواع السفر:

إِنَّ الْإِسْلَامَ لَمْ يَحْرِّمْ السَّفَرَ، لَقَدْ شَرَعَ السَّفَرَ لِأَسْبَابٍ كَثِيرَةٍ، لِأَدَاءِ بَعْضِ الْوَاجِبَاتِ ك: الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، وَالْجِهَادِ الْوَاجِبِ، وَطَلْبِ الرِّزْقِ لِمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فِي بَلَدِهِ، وَالهِجْرَةَ مِنَ الظُّلْمِ وَالْإِضْطِهَادِ بَحْثًا عَنِ الْحَرِيَّةِ وَالْأَمْنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧].

قَدْ تَكُونُ الْهِجْرَةُ وَاجِبَةً مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي تُضْطَهَدُ فِيهِ، فَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُقِيمَ دِينَكَ، وَلَا أَنْ تُظْهَرَ شَعَائِرَكَ، وَلَا أَنْ تُوَدِّيَ فَرَائِضَ رَبِّكَ، فَهَاجِرِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَا هَاجَرَ الرَّسُولُ ﷺ، وَأَصْحَابُهُ مِنْ أَحَبِّ بِلَادِ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، مِنْ مَكَّةِ الْمَكْرَمَةِ، ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠].

(١) أَلْقَيْتُ بِتَارِيخِ ١٠ يُونِيُو ٢٠٠٥ م.

هناك سفر الطاعة، وهناك السفر المباح، وهناك سفر المعصية، وكل له حكمه؛ فسفر الطاعة سواء كانت الطاعة مستحبة من المستحبات، كالسفر لطلب العلم، أو التوسعة في الرزق، ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء: ١٠٠]، يوسع الله عليه بالهجرة من بلده.

وهناك السفر لطلب العلم، والنبي ﷺ يقول: «مَنْ خَرَجَ فِي طَلْبِ الْعِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ»^(١)، في جهاد حتى يرجع، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَأَفْئَةٍ فَلَوْلَا نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَنْفِقَهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]، استعمل كلمة «النفير» التي هي للجهاد، وكأن الإنسان حين يذهب إلى طلب العلم نفر إلى الجهاد في سبيل الله؛ ليحصل العلم، ويعود إلى قومه معلماً مبشراً منذراً، ولذلك أثر عن المسلمين قولهم: «اطلبوا العلم ولو في الصين» في أقصى الأرض.

ولا توجد أمة ضربت الرقم القياسي في السياحة والسفر من أجل طلب العلم كأمة المسلمين، خصوصاً علماء الحديث، الذين كانوا يسيرون الليالي والأيام لطلب الحديث الواحد، فيسير أحدهم من قطر إلى قطر، من أجل حديث واحد.

وقد بدأ ذلك الصحابة؛ فجاء أحدهم من المدينة إلى الفسطاط (مصر القديمة)؛ ليأخذ حديثاً من صحابي سمعه بأذنه من رسول الله ﷺ، فسمعه منه ثم عاد، وما حلّ رحله؛ لتكون رحلته وسفره في طلب العلم^(٢).

(١) رواه الترمذي في العلم (٢٦٤٧)، وقال: حسن غريب، ورواه بعضهم فلم يرفعه. وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٨٨): حسن لغيره. عن أنس.

(٢) انظر: كتابنا: العقل والعلم في القرآن الكريم ص ٢١٨ - ٢٢٤، الرحلة في طلب العلم، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

ومن الأسفار المباحة: السفر للتوسُّع في طلب الرزق، ومنها: السفر للتوسُّع في طلب العلم، يستطيع الإنسان أن يطلب العلم في بلده، لكنّه ذهب لطلبه في بلد آخر، خصوصًا علم الدُّنيا، هذا مباح لا بأس به.

وهناك سفر المعصية، مثل الذي يسافر عازمًا على المعصية، مصمّمًا على المعصية، ذهب أناس في إحدى الطائرات إلى «بانكوك»، وكانوا قد أخبروا أهلهم أنّهم ذاهبون للعمرة، ووقعت الطائرة وانكشف المستور، ما كانوا في حجٍّ ولا عمرة، بل أرادوا «بانكوك»؛ لارتكاب الموبقات، والعياذ بالله.

تحويل سفر العادة إلى عبادة:

على المسلم أن يحرص على سفر الطاعة، أو السفر المباح، وتستطيع أن تجعل السفر المباح طاعة.

من روائع الإسلام أنّه مكنّ كلّ مسلم أن يجعل المباحات عبادات وطاعات، إذا اقترنت بالنية الصالحة، تستطيع أن تجعل الوجبة التي تأكلها طاعة وقُربى لله؛ إذا قصدت بها الاستعانة على طاعة الله، إذا أردت أن تُقوّي بها جسمك لتجاهد في سبيل الله؛ لتعين المسلمين بقوّتك، فلا تكون مُتَعَطِّلًا ولا مُتَبَطِّلًا، بالنية تصبح العادات عبادات، تصبح المباحات قُربات، تستطيع أن تجعل سفر الترويح في الصيف عبادة إذا نويت نية صالحة، أن تأخذ فترة استجمام؛ لتعود إلى عملك أقوى نشاطًا، وأشرح صدرًا، وأكثر استعدادًا للعمل، واحة للاستراحة، وتعود بعدها أقوى عزيمة من ذي قبل.

اصطحاب النية الصالحة:

أول ما يُطلب منك إذا أردت السفر: هو أن تصطحب النية الصالحة، والمؤمنون عادة لا يعملون عملاً دينياً أو دنيوياً إلا إذا كان لهم فيه نية، «إنما الأعمال بالنيّات، وإنما لكلّ امرئ ما نوى»^(١).

المؤمن لا يعمل عملاً عبثاً ولا اعتباطاً، حتّى أكله إذا أكل، وشربه إذا شرب، حتّى أدائه للشهوة مع امرأته يمكن أن يكون له فيها أجر، كما علّمنا النبي ﷺ^(٢).

انو - بسفرك هذا - أن تتقوى على عملك، وأن تقوي جسمك؛ ليؤدّي مهمّته ورسالته في الحياة كما يحبّ الله ويرضى، وأن تكتسب معلومات ومعارف جديدة، قال علماؤنا من قديم: السفر نصف العلم. وفي الأمثال العامية: «من يعيش يرى كثيراً. فقال حكيم: بل من يسافر يرى أكثر».

شاهد الناس والبلدان وتعلّم، لذلك أمرنا الله ﷻ بالسفر والسير في الأرض، قال الله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [الأنعام: ١١]، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

(١) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (١)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٧)، عن عمر بن الخطّاب.

(٢) إشارة إلى الحديث: «وفي بضع أحدكم صدقة». قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر». رواه مسلم في الزكاة (١٠٠٦)، عن أبي ذر الغفاري.

فَمَنْ يَسِيرُ فِي الْأَرْضِ وَيَرَى آثَارَ الْأُمَّمِ وَآثَارَ الظَّالِمِينَ وَالْجَبَابِرَةِ
كَيْفَ ذَهَبَ هَؤُلَاءِ وَبَقِيَتْ آثَارُهُمْ، ﴿أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ
عَقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ
مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظِلِّمَهُمُ اللَّهُ لِيُظِلِّمَهُمْ
وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ
يُظِلِّمُونَ﴾ [الرُّوم: ٩].

على المسافر أن ينوي اكتساب المعارف الجديدة، واكتساب
صداقات وعلاقات جديدة، كما يُروى عن الإمام الشافعي أنه قال:
تَغَرَّبَ عَنِ الْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَسَافَرَ فِي الْأَسْفَارِ خَمْسَ فَوَائِدٍ
تَفْرِيجُ هَمَّهُ وَكَتْسَابُ مَعِيشَةٍ وَعِلْمٌ وَآدَابٌ وَصُحْبَةٌ مَاجِدٌ^(١)

ويروى عن الإمام عليٍّ رضي الله عنه أنه قال:

ما في المَقَامِ لذي عقلٍ وذي أدبٍ من راحةٍ فدع الأوطانَ واغترِبِ
سافرْ تجد عوضاً عمّن تفارقه وانصَبْ فإنَّ لذيذَ العيشِ في النَّصَبِ
إنِّي رأيتُ وقوفَ الماءِ يُفسِدُهُ وإنَّ سالِ طابَ، وإن لم يَجْرِ لم يَطْبِ
والشمسُ لو وَقَفَتْ في الفُلْكِ دَائِمَةً لملها النَّاسُ من عُجْمٍ ومن عَرَبٍ^(٢)

اختر المكان المناسب:

على المسافر كذلك أن يختار المكان المناسب، الذي يستطيع أن
يؤدِّي فيه فرائض دينه، وأن يظلَّ محتفظًا بأخلاقه وقيمه.

(١) الدر الفريد وبيت القصيد لابن أيدمر المستعصمي (٣٩٠/٥)، تحقيق د. كامل سلمان

الجبوري، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

(٢) ديوان الإمام علي بن أبي طالب ص ٦٠، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، نشر مكتبة

الكلية الأزهرية.

ما زلتُ أذكر كلمة قالها أحد شيوخ قطر أول ما قدمتُ هنا منذ أربعة وأربعين عامًا، وقد قدم من مدينة أوروبية كبرى، تهوي إليها أفئدة الخليجيين، فقلتُ له: ماذا فعلتَ؟

قال: أعاذك الله؛ هذه مدينة لا ترى فيها مسجدًا، ولا تسمع أذانًا يُرفع، ولا صلاة تُقام، ولا قرآنًا يُتلى، الحمد لله الذي ردّنا إلى بلدنا. هكذا كان النَّاس على فطرتهم، البلد الذي لا يجد فيه مسجدًا، ولا يسمع فيه أذانًا يستعيد بالله من شرّه.

ونرى الخليجيين يسارعون زرافات ووحدانًا إلى البلاد التي لا مساجد فيها، ولا بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه.

قالوا: إنه في سنة ٢٠٠٣م أنفق الخليجيون على السياحة ثلاثين مليار دولار، كما نشرت جريدة «الخليج» بالشارقة، معظمها خارج بلاد العرب والمسلمين. إذا كان لا بدّ من السياحة اذهب إلى البلاد العربيّة والإسلاميّة، تستطيع أن تجد مسجدًا تصليّ فيه، أن تسمع الأذان، أن تسمع القرآن، أن ترى المحتشمات والمحجّبات في كلِّ مكان، أمّا تلك البلاد فهي تُجرى على المعصية.

اختر المكان المناسب، احذر من البلاد الشريرة التي تروّج الشرور، والتي يذهب النَّاس إليها لاقتراف الآثام، نُعيدك بالله أن تكون من هؤلاء. اختر السياحة في بلادك العربيّة والإسلاميّة.

اختر الزمان المناسب:

اختر المكان المناسب، واختر الزمان المناسب، حينما لا يكون وراءك أمر مهمّ، لا تعطلّ أمرًا مهمًّا من أجل السياحة، هناك فقه

الموازانات، لا تعطلّ أمرًا ضروريًا من أجل أمر تحسّيني أو كمالي، كم تبقى؟ ثلاثة أشهر؟ وكم تُنفق؟

وربّما كان أولادك أحوج إلى هذه الدولارات واليوروبات.

اختر الرفيق المناسب:

اختر الرفيق المناسب، كان سلفنا الصالح يقولون: الجار قبل الدار، والرفيق قبل الطريق. لا تسافر وحدك؛ فالنبي ﷺ نهى أن يسافر المرء وحده^(١)؛ لا بدّ أن يكون معك من يعينك عند الشدّة، من يمرّضك إذا سقمت، من يبلغ عنك إذا أصابك مكروه.

يقول النبي ﷺ: «الراكبُ شيطانٌ، والراكبان شيطانان، والثلاثة ركبٌ»^(٢).

ويقول: «إذا كان ثلاثة في سفرٍ فليؤمّروا أحدهم»^(٣).

هكذا كان الصّحابة يفعلون.

تعلم آداب السفر وأحكامه ورخصه:

ودّع إخوانك إذا سافرت، بلّغهم بأنك مسافر؛ لأنّ أحدًا لا يدري هل تعود أو لا تعود، وقّل لهم: «أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه»^(٤)،

(١) إشارة إلى الحديث: «لو يعلم النّاس ما في الوحدة ما أعلم، ما سار راكب بليل وحده». رواه البخاري في الجهاد والسّير (٢٩٩٨)، عن ابن عمر.

(٢) رواه أحمد (٦٧٤٨)، وقال مخرّجوه: حديث حسن. وأبو داود (٢٦٠٧)، والترمذي (١٦٧٤)، وقال: حسن صحيح. والحاكم (١٠٢/٢)، وصحّحه، ووافقه الذهبي، ثلاثتهم في الجهاد، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) رواه أبو داود في الجهاد (٢٦٠٩)، وقال الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٤٨): حسن صحيح. عن أبي هريرة.

(٤) رواه أحمد (٩٢٣٠)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره. وابن ماجه في الجهاد (٢٨٢٥)، عن أبي هريرة.

وهم يقولون لك: «أستودعُ الله دينك وأمانتك وخواتيم عمَلِك»^(١)، «زودكُ الله التقوى، وغفر ذنبك، ويسر لك الخير حيثما كنت»^(٢).

للسفر أحكام ورخص، تعلّم لتستفيد من هذه الرخص، قصر الصلاة، وجمع الصلوات الرباعية، الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، جمع تقديم أو جمع تأخير، حسبما يسهّل الله لك.

هذه رخص، والله يحبُّ أن تؤتى رخصه^(٣).

والمسح على الخفين، ومثله المسح على الجوربين، خصوصًا إذا سافرت في الشتاء، تكون أحوج إلى هذه الرخصة، وإذا كنت بعيدًا عن بيتك، لا تستطيع أن تخلع جواربك، وتكمل وضوءك، فهذا يريحك من ثلاثة أرباع الوضوء، إذا لم تخلعه.

المسافر يمسح على الخفين أو الجوربين ثلاثة أيام بلياليها، والمقيم يمسح يومًا وليلة فقط، أربعة وعشرين ساعة فقط.

تعلّم أحكام السفر، وتعلّم آداب السفر، واحفظ ما استطعت من أدعية السفر لتدعو بها، دعاء الركوب إذا ركبت دابّتك أو سيارتك، أو الباخرة أو الطائرة.

أول ما تركب الطائرة أو السيّارة ادع بدعاء الركوب، الذي ذكره الله

(١) رواه أحمد (٤٥٢٤)، وقال مخرّجوه: صحيح. وأبو داود في الجهاد (٢٦٠٠)، والترمذي في

الدعوات (٣٤٤٣)، وقال: حسن صحيح غريب. وابن ماجه في الجهاد (٢٨٢٦)، عن ابن عمر.

(٢) رواه الترمذي في الدعوات (٣٤٤٤)، وقال: حسن غريب. وابن خزيمة (٢٥٣٢). وصحّحه

الألباني في صحيح الترمذي (٢٧٣٩)، عن أنس.

(٣) رواه أحمد (٥٨٦٦)، وقال مخرّجوه: صحيح. وابن خزيمة في الصيام (٢٠٢٧)، وابن حبان في

الصلاة (٢٧٤٢)، عن ابن عمر.

تعالى في سورة الزخرف، ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ * وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَائِكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ * لَتَسْتَوْأُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُونَ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿ [الزخرف: ١٢ - ١٤].

هكذا كان يفعل النبي ﷺ حينما كان يركب دابته، يقول: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، باسم الله، الحمد لله، سبحان الذي سخر لنا هذا، وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البرر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا، واطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل»^(١).

لا تظن أن هذه أدعية طويلة، إنها تحتاج منك دقائق لتحفظها، وإذا حفظتها تستطيع أن تستخدمها في كل أسفارك، احفظها وحفظها لأولادك، وعندما تعود اقرأ هذه الأدعية وزد عليها: «أيون تائبون عابدون لربنا حامدون»^(٢).

ما أحوج الإنسان إلى أن يناجي ربه بهذه الدعوات وهو معلق بين السماء والأرض! وبعض الناس وهم معلقون بين السماء والأرض يشربون الخمر، وهو لا يدري لعل الطائفة تسقط به، وفي بطنه هذا الحرام، وفي فمه، وفي يده، بدل أن ترتكب الحرام اطلب، اسأل الله، ادع الله.

المطلوب من الإنسان المسلم حينما يتوجه إلى هذه البلدان التي

(١) رواه مسلم في الحج (١٣٤٢)، وأحمد (٦٣١١)، عن ابن عمر.

(٢) جزء من الحديث السابق.

يخرج إليها من بلده ليسيح في الأرض ويرفّه عن نفسه، لا مانع أن يرفّه الإنسان عن نفسه؛ فسيدنا علي يقول: رَوّحوا القلوب ساعة بعد ساعة؛ فإنّ القلوب إذا أكرهت عميت^(١)، والنَّبِيُّ ﷺ يقول لحنظلة: «يا حنظلة، ساعة وساعة»^(٢).

لا يمكن أن تظّلوا على هذا السموّ الروحيّ أبد الدهر، كما يقولون في الأمثال: «ساعة لربّك وساعة لقلبك».

المشكلة حينما تجعل كلّ الساعات لقلبك، ولا شيء لربّك، وحتى الدقائق التي تجعلها لربّك لا تجعلها خالصة له.

تقوى الله في الحلّ والترحال:

احذر من مقارفة المعاصي، فبعض الناس يظنّ كأن الإسلام في بلده فقط، وكأنّما هو مُطالب بامثال الأوامر واجتناب النواهي إذا ظلّ مقيماً على أرضه، فإذا خرج من أرضه كأنّما أسقطت عنه التكليف.

هذه مصيبة، كم أرى من النّساء المتحمّجة والمنتقبة إذا خرجت من بلدها خلعت الحجاب وخلعت النقاب، كأن لم يكن الحجاب عبادة، ولا النقاب طاعة، كأنّها عادة، فسرعان ما تخلّصت منها.

رأيتُ بعينيّ في مدينة كبرى من مدن الخليج - لا أذكر اسمها دفعاً للحساسيات - كنتُ ذاهباً إلى باريس، ودخل علينا قبل أن تقوم الطائرة بضع نسوان، خمس لم نرّ منهنّ شيئاً، دخلن خياماً سوداء، وأنا راكب في الدرجة الأولى، وأكلنا بعض الطعام ونمنا، وبعد منتصف الليل

(١) ذكره الغزالي في الإحياء (٣٠/٢)، نشر دار المعرفة، بيروت.

(٢) سبق تخريجه ص ٢٢.

حينما اقتربنا من باريس، أيقظونا نوشك أن نهبط، وتطلعت عن يميني وعن شمالي أبحث عن الخيام السوداء فلا أجد لها أثرًا، آخر (المودات)، شيء لا أستطيع أن أصفه، نساء أخريات، ما هذا؟ أهذا ما شرعه الله؟

المرأة تكون محتشمة ومحجبة ومنقبة أمام أهلها، ثم تترك كل شيء! على الإنسان أن يتقي الله حيثما كان، ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، وجه الله في الدوحة، وفي جدة، وفي الكويت، والنبي ﷺ يوصي أبا ذر فيقول: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثَمَا كُنْتَ»^(١).

ثم لنحذر الذهاب إلى الحفلات الماجنة الراقصة التي لا يُعرف فيها حلال من حرام، ما دمنا خارج بلادنا لا يرانا أحد فلنفعل ما نشاء؟! أين الحياء من الله، والحياء من أهل الإيمان؟ والحياء لا يأتي إلا بالخير.

نحذر من ارتكاب الأشياء الشائنة، مثل اللائي يدخنن، انتشر - للأسف - في بلاد الخليج (التشييش)، اعتدنا أن يرتكب الرجل هذا، أمّا أن ترتكب المرأة معصية تعاطي الشيثة فهذه أشياء غريبة دخيلة على مجتمعاتنا، يجب أن نقاومها.

لقد أعلنت مرارًا وتكرارًا أنّ التدخين حرام، حرام لا أشك فيه؛ لأنّه إضرار بالجسد، وتضييع للمال فيما لا ينفع في الدنيا والآخرة، واستعباد للإرادة، وإضرار بالآخرين، تُلزمهم أن يُدخّنوا معك قسرًا، ونفع للشركات الاستعماريّة؛ شركات السجائر.

(١) رواه أحمد (٢١٣٥٤)، وقال مخرّجوه: حسن لغيره. والترمذي في البر والصلة (١٩٨٧)، وقال: حديث حسن صحيح. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٩٧)، عن أبي ذر.

أنا أحرم هذا على الجميع وعلى المرأة أكثر، ما أقبح المرأة التي تسود أسنانها من شرب السجائر، ولا تطاق رائحتها من هذه الرائحة الكريهة، النبي ﷺ حرم على المسلم إذا أكل بصلاً أو ثوماً أو كراثاً أن يذهب إلى المسجد^(١)؛ حتى لا يتأذى منه الآخرون، فكيف تؤذي هذه المرأة رفيقها وزوجها والصاحب بالجنب؟ هذا كله لا يجوز.

لا يجوز أن تذهب المرأة إلى المسابح والشواطئ المشتركة بالملابس المعروفة، المايوه والبكيني، يزعمون: أن المرأة أصبحت حرّة، فلماذا تظّل في هذا الكبت في بلدها وخارجه؟! والله ليس هذا كبتاً، إنه الاحترام، إنه الوقار، إنها الحشمة، إنه الإحسان، إنه الحياء الذي هو من الإيمان، ولا يأتي الحياء إلا بخير، لا ينبغي للمرأة المسلمة أن تضيّع دينها إذا ذهبت في سياحة، ولا الرجل - أيضاً.

لا تفرط في الفرائض:

لا تفرط أثناء السفر في الصلوات التي فرضها الله على عباده، يتشاغلون وينسون أنفسهم، فإذا هم قد أضاعوا الصلاة، رغم رخصة الجمع؛ لأنهم مشغولون بهذا اللهو، وبهذه الشهوات، ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ [مريم: ٥٩]، لا عذر أبداً لترك الصلاة، لم يعذر الله مريضاً، ولا مسافراً أن يترك الصلاة، المريض يقول له: «صَلِّ قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب»^(٢) بركوع أو

(١) إشارة إلى الحديث المتفق عليه: «من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا» أو «ليعتزل مسجدنا». رواه البخاري في الأطعمة (٥٤٥٢)، ومسلم في المساجد (٥٦٤)، عن جابر بن عبد الله.

(٢) رواه البخاري في تفسير الصلاة (١١١٧)، عن عمران بن حصين.

بسجود، أو بالإيماء برأسك، أو مشيراً بحاجبيك، ولا تترك الصلاة حتّى وأنت على سرير العمليات، حتّى المحارب يصلي وهو يحارب، ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ * فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴿ [البقرة: ٢٣٨، ٢٣٩].

ما دمت تفهم الخطاب فأنت مطالب بالصلاة، فكيف تُسقط الصلاة وأنت مشغول في مسرحية أو فيلم سينمائي؟!!

المسلم هو المسلم مسافراً أو مقيماً، في بلده أو خارجها، حيثما كان فهو يراقب الله وعبده، يعلم أنّ الله مطلع عليه، يراه بعينه التي لا تنام، ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نَعْلَمُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٨].

شغل نفوس الشباب بالحق:

نحن ننصح البلاد الخليجية بصفة عامّة: أن تُنشئ لأهلها في الصيف ما يشغلهم، وقد بدأت قطر وغيرها بإقامة أنشطة لشغل الشباب في الصيف، يمكن أن يستفيد من الإجازة فيتعلّم شيئاً، بعض الحرف، يُتقن الطباعة، الكمبيوتر، ولا نشغله بالتوافه وحدها، لا مانع من أن تأتي ببعض الترفيه، ولكن ليس معنى الترفيه أن نستحلّ المحرّمات، ونستهين بالمقدّسات.

بعض النَّاس يظنُّ أن فصل الصيف هو فصل الإباحة والتحرُّر من كلّ شيء.

لا يا قوم، نحن قوم يحكمنا شيء اسمه الحلال والحرام، يحكمنا الشرع الشريف والدين الحنيف، لا نستطيع أن نبيع ديننا بملك المشرق والمغرب، ديننا أعزُّ علينا من أنفسنا، لا يمكن أن نفرط في هذا الدين.

أمّا أن نعمل أشياء يستدعى فيها الرقصات الكاسيات العاريات، أو العاريات غير الكاسيات، أو المطربات اللاتي يتمايلن يمينًا وشمالًا، يرقصن قائمات وقاعدات وراقدات، هؤلاء اللائي عرفهن الناس في هذه قنوات اللهو والطرب، وأصبحن من أدوات الإفساد والتدمير في هذه الأمة، لا ينبغي أن تُدعى هؤلاء إلى مهرجانات، كلُّ شيء يجب أن يُحكم بأداب الإسلام.

أنا لستُ من المتشدّدين كما يعلم الناس، الناس يتّهمونني بالتسهيل، وأنا مسهّل وميسّر؛ لأنّ الرسول ﷺ هو الذي أمرنا بذلك؛ قال ﷺ: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا، وَلَا تُنْفِرُوا»^(١)، ولكن التسهيل والتيسير لا يعني أن نحلّل الحرام، لا يعني أن نُسقط الواجبات، لا يعني أن نستهيّن بالمقدّسات، هذه خطوط حمراء لا بدّ أن يحترمها الناس، ويقفوا عند حدودها.

وهذه نصيحتي لكم، أيّها الإخوة والأخوات.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٩)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٣٤)، عن أنس.

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

لعلّ خطبتي هذه تكون الأخيرة في هذا الموسم، فأسأل الله تعالى أن يردّنا إليكم مرّة أخرى.

اللهمّ إنّنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا.

اللهمّ هيّئ لنا من أمرنا رشداً، واسترّ عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيمننا وعن شمائلنا، ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغتال من تحتنا.

اللهمّ أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كلّ خير، واجعل الموت راحة لنا من كلّ شر.

اللهمّ لا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا.

اللهمّ اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين. عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهمّ صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمّد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



حلُّ مشكلاتنا في العودة إلى الإسلام

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

على المسلمين أن يتولَّوا أمرهم بأنفسهم:

انتهى أمس مؤتمر القمّة الإسلامي الخامس، وأصدر بيانه الختامي، وقال رئيس المؤتمر؛ أمير دولة الكويت الشقيقة: إنّ القرارات كائن حيّ، يولد وينمو، وميلادها في إصدارها، ونموّها في تنفيذها.

وقد اجتمع في هذا المؤتمر ممثلون لستّ وأربعين دولة، يمثلون أكثر من مليار من البشر من المسلمين.

اجتمع هذا المؤتمر وأمامه هموم ومشكلات شتّى، هموم المسلمين ومشكلاتهم في شرق الأرض وغربها، وشمالها وجنوبها.

ما أكثرها من مأسٍ! وما أعظمها من مشكلات! تتلّفت يمينًا وشمالًا، فتجد للمسلمين مشكلات هنا ومشكلات هناك.

طالما لجأ المسلمون إلى الهيئات الدولية، إلى الأمم المتّحدة، إلى مجلس الأمن الدولي، إلى محكمة العدل الدولية، ليجدوا حلًّا



لمشكلاتهم، ولكن ماذا فعلت هذه المؤسسات؟ هل استطاعت أن تحلّ مشكلة من المشاكل؟ هل استطاعت أن تعيد إلى عرب فلسطين حقوقهم، هل استطاعت أن توقف سيل الدماء، ونزيف الدماء في بلد ما؟ لا!

إنّه لا يمكن أن يحلّ مشكلات المسلمين غير المسلمين، فطمعنا في حلّ مشكلاتنا من غيرنا طمع فارغ، لا معنى له، ولا فائدة منه، ولكن مع هذا نُعلّق الآمال والأمانيّ والأحلام، نظير بغير جناح، ونسبح في غير ماء. في كُلِّ مَحْكَمَةٍ قَضِيَّةٌ مُسْلِمٍ يَشْكُو بِلَيْتِهِ لِغَيْرِ الْمُسْلِمِ وَمِنَ الْبَلِيَّةِ أَنْ حِزْبٌ مُحَمَّدٍ قَدْ أَصْبَحُوا نَهْبًا لِحِزْبِ جَهَنَّمَ^(١)

عداء موروث يحكم الغرّيبين في علاقتهم بالمسلمين:

هيهات أن ننتظر حلّ مشكلاتنا على أيدي غير المسلمين، وهم - للأسف - ينظرون إلينا نظرة عداء كامل، حقد موروث، لم تغسله الأيام والليالي، لم يمحه مرّ الدهور وكُرّ العُصور، فما زالت الحروب الصليبيّة وما تركت من مرارة تعمل عملها في أنفس القوم، ولا ذنب لنا في ذلك، فلم نُنشئ نحن الحروب الصليبيّة، لم نبدأها، لم نشنّها، لم نوقد نارها، إنّما هم الذين أوقدوا نارها، وأرادوا أن يحرقونا بها، فأحرقهم الله بها، وردّ كيدهم في نحورهم، وأعاد سهامهم المسمومة إلى صدورهم، بعد حملات صليبيّة متتابعة، استطاعوا في وقت من الأوقات أن يدخلوا بيت المقدس، وأن يحتلّوا المسجد الأقصى، وأن يقيموا ممالك وإمارات في قلب فلسطين وبلاد الشام، بل طمعوا أن يذهبوا إلى مصر، وبالفعل ذهبوا إلى دمياط وإلى المنصورة، وهكذا أرادوا.

(١) البيتان للشاعر خالد الجرنوسي، في قصيدة ألقاها بدار الشبان المسلمين، في يوم كشمير.

ولكنَّ الله هَيَّأَ رجالاً، هَيَّأَ من نفخ في الرُّوح، وأحيا الموات، وجمع الشتات، واستدعى النَّاسَ باسم الإسلام، فهبَّ النَّاسُ تحت راية القرآن، تحت راية المؤمنين الصادقين.

ناداهم عماد الدين زنكي، ونور الدين محمود الشهيد، وصلاح الدين الأيوبي، وكان ما كان من معركة حطّين وفتح بيت المقدس، واستعاد المسلمون ديارهم، وعاد القوم إلى ديارهم.

ولكنَّهم عادوا وفي نفوسهم حسرة، وفي قلوبهم مرارة، لم ينسوا تلك الحرب، حتّى عادوا مرّة أخرى بعد أن نام المسلمون وتخلّفوا، بعد أن تفرّقوا وتمزّقوا، فعاد الاستعمار الغربي مرّة أخرى، بزُوح صليبيّة جديدة، لم يطفئها، فدخل القدس القائد الإنجليزي (النبّي) ١٩١٧م، وقال كلمته المشهورة: الآن انتهت الحروب الصليبيّة^(١).

وذهب القائد الفرنسي إلى قبر صلاح الدين الأيوبي في دمشق، وقال قولته الشهيرة - أيضاً، بعد أن ركل القبر بقدمه الدنسة: ها قد عُذنا يا صلاح الدين^(٢).

إنَّ القوم ينظرون إلينا هذه النظرة.

إذا استطاع السياسيون أن يُخفوا ما بأنفسهم، فإنَّ القادة العسكريين لم يُخفوها، ولهذا لا ننتظر أن تُحلَّ مشكلاتنا على أيدي هؤلاء، لا ننتظر حلَّ عُقدنا على أيديهم.

(١) دروس وتأمّلات في الحروب الصليبية ص ٣٥، لأبي فارس، نشر دار جهينة، عمان، ط ١، ٢٠٠٢م.

(٢) دور نور الدين محمود في نهضة الأُمَّة لعبد القادر أحمد أبو صيني ص ٢٢٢، رسالة دكتوراه، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا.

إنهم هم الذين غرسوا إسرائيل شوكة دامية في جنوبنا، هم الذين صنعوا إسرائيل، وهم الذين قالوا: إنها خلقت لتبقى. هم الذين نجدهم وراء كل مشكلة من المشكلات، وكل مأساة من مآسي المسلمين.

علاجنا بأيدينا ودوائنا من صيدلية الإسلام:

لا نطمح ولا نطمع أن يحلّ القوم مشكلاتنا، إنّما يجب أن نحلّ مشكلاتنا نحن المسلمين، يجب أن تُحلّ مشكلاتنا على أيدينا لا على أيدي غيرنا، فهل نحن أهلٌ لذلك؟! هل نحن أهلٌ لأن نداوي جراحنا، ونعالج أدواءنا من صيدلية الإسلام؟!

للأسف! كثير من الشواهد تقول: إنّنا لا زلنا بعيدين عن معالجة أدوائنا من صيدلية الإسلام، وعسى أن يكون مثل مؤتمر القمة هذا خطوة على الطريق، عسى أن نتذكّر أنّ الإسلام وَحده هو القادر على إنقاذنا مما نحن فيه.

إنّ مشكلاتنا كثيرة - أيها الإخوة - ولا حلّ لها إلا في الإسلام، هناك مشكلات التّخلف، مشكلات التمزّق، مشكلات المجاعة، مشكلات الصراع بين المسلمين بعضهم وبعض.

هناك مشكلة الصراع بين العراق وإيران، والصراع في فلسطين ولبنان، الصراع بين العرب بعضهم وبعض إلى حدّ الاقتتال الدامي.

مشكلاتنا المعلقة: مشكلة فلسطين، مشكلة المسجد الأقصى، مشكلة بيت المقدس، التي انعقد من أجلها أول مؤتمر قمة إسلامي سنة ١٩٦٩م في المغرب، بعد حريق المسجد الأقصى، وما زالت المشكلة كما هي؛ مشكلة فلسطين، أرض النبوات وأرض المقدّسات.

مشكلة حرب الخليج: حرب العراق وإيران، هذا النزيف الدموي المستمر، آلاف، بل عشرات الآلاف من البشر يُذَبَّحون، والأمر كما هو، اقتصاد يُدمَّر، وبلاد تُخرَّب، لحساب من هذا؟

وفي لبنان دماء تُسْفك، وحرَمات تُهتك، مخيمات تُدمَّر على أهلها، ويُذَبَّح مَنْ فيها على مرأى ومسمع من العرب، ومن المسلمين، ومن العالم.

مشكلاتنا ما زالت معلقة: هناك مشكلة المسلمين في أريتريا، ومشكلة المسلمين في الفلبين، مشكلة اللاجئين المسلمين في كلِّ مكان، ومعظم اللاجئين في العالم هم مسلمون.

القتال في أفغانستان، الجهاد الإسلامي الذي يحارب أعتى دولة في العالم، الدولة الثانية في العالم من حيث القوَّة العسكريَّة، والقوَّة التكنولوجيَّة.

ما زالت هذه المشكلات، مشكلات المجاعة في إفريقيا وغيرها.

مشكلاتنا تحلُّ يوم نعود للإسلام حقًّا:

مشكلاتنا لا يستطيع أن يحلَّها غيرنا، وإنَّما نحلُّها إذا عدنا إلى الإسلام، إذا عدنا إلى الإسلام عقيدة وشريعة، وأخلاقًا وحضارة، نستمدُّ منه النور والهدى، نُحكِّم ما أنزل الله، ونُتَّبِع ما شرع الله، نُحلُّ ما أحلَّ الله، ونُحرِّم ما حرَّم الله، ونُوجِب ما أوجب الله، ونُقرِّب ما قرَّب الله، ونُبعِّد ما بعَّد الله، نوالي في الله، ونُعادي في الله.

يوم نعود إلى الإسلام ستحلُّ مشكلاتنا، وبدون هذا لا يمكن أن يوجد حلٌّ؛ فيوم كُنَّا مسلمين حقًّا دانت لنا الدُّنيا، انتشر شعاع الإسلام

في كلِّ مكان، دخلت الأمم في دين الله أفواجًا، في أقلِّ من قرن امتدَّ الإسلام شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا، فذهب مسلمة بن عبد الملك إلى الصين، وذهب موسى بن نصير وطارق بن زياد إلى الأندلس، إلى إسبانيا والبرتغال.

يوم كنَّا مسلمين حقًّا انتشر الإسلام في أقلِّ من قرن في العالم كلِّه، وانتصر على أعظم الإمبراطوريَّات العريقة، الإمبراطوريَّة الفارسيَّة المجوسيَّة، والإمبراطوريَّة البيزنطيَّة النصرانيَّة.

انتصر عرب الجزيرة على الفرس والروم، عرب الجزيرة الذين لم يكن لهم حكمة الهند، ولا صنعة الصين، ولا فلسفة اليونان، ولا قانون الرومان، ولا مدينة فارس، ولا حضارة مصر. استطاعوا بإيمانهم الجديد، بما صُب في عروقهم من يقين، بما تفتَّحت عليه عقولهم من هدى ونور، استطاعوا أن ينشروا نور الله في الآفاق، أن يكونوا سادة العالم.

لمحات عابرة من تاريخ المسلمين:

بعث عمر بن عبد العزيز إلى ملك الروم حينما بلغه أن أسيرًا مسلمًا أُهين برسالة يقول فيها: بلغني أنك أهنت مسلمًا كتب الله له العزة والكرامة، فإذا بلغك كتابي هذا فخلِّ سبيله، وإلا غزوتك بجنودٍ أولها عندك وآخرها عندي^(١).

حينما أهان أحد الروم امرأة من المسلمين، فصرخت: «وا معتصماه»، وبينها وبين الخليفة آلاف الأميال، ولكن ما إن سمع الخليفة العباسي

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لأبي محمد بن عبد الحكم ص ١٤٨، تحقيق أحمد عبيد، نشر عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

«المعتصم» بخبر هذه الصيحة، ما كان منه إلا أن جهّز الجيوش؛ ليغزو أولئك القوم، وكانت معركة عمورية الشهيرة، التي قال فيها أبو تمام قصيدته البائية، وفيها:

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ
بِيضُ الصَّفَائِحِ لَا سُودُ الصَّحَائِفِ فِي مَتُونِهِنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ^(١)

وجلس هارون الرشيد يوماً، فنظر إلى سحابة في السماء، فقال لها: أيتها السحابة، شرّقي أو غربي، وأمطري حيث شئت، فسيأتيني خراجك^(٢). أي: سيأتي خراجك إلى بيت مال المسلمين.

هكذا بلغنا من المجد السياسي، ومن القوّة العسكرية، ومن الرخاء الاقتصادي، مبلغاً هائلاً.

بعث والي عمر بن العزيز على إفريقية (تونس) يحيى بن سعيد، يقول له: يا أمير المؤمنين، لقد اجتمعت عندي صدقات كثيرة، ولم أجد فقراء أوزعها عليهم، فماذا أصنع بها؟

فبعث إليه عمر بن عبد العزيز يقول له: اشتر بها رقاباً فأعتقها^(٣).

لقد تحرّر الناس بهذا الإسلام من نير الفقر، فأصبح الآن يُحرّره من نير الرق، ففي الزكاة مصرف اسمه «في الرقاب»، لتحرير الأرقاء.

ومن ينظر في تاريخ المسلمين بين المدّ والجزر، بين النصر والهزيمة، بين القوّة والضعف، بين الامتداد والانكماش، بين الرخاء

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي (٣٢/١)، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه راجي الأسمر، نشر دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٩٩٤م.

(٢) انظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي (٢٨٥/٣)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز لأبي محمد بن عبد الحكم ص ٦٥.

والازدهار من ناحية وبين الأفول والجوع من ناحية أخرى؛ يجد أنه حيث يكون الاقتراب من الإسلام والرجوع إليه، يكون النصر، وتكون الوحدة، ويكون الازدهار، ويكون الأمن، ويكون الرخاء، وحيث نبتعد عن الإسلام، يكون الضعف، ويكون التمزق، ويكون كلُّ شرٍّ والعياذ بالله؛ يُسلِّط أعداؤنا علينا، بعد أن كنّا نحن المُسلِّطين عليهم.

واقراً التاريخ منذ عهد الراشدين، وعهد عمر بن عبد العزيز، وعهد المجاهدين، من أمثال نور الدين، وصلاح الدين وغيرهم. بالنظر في تاريخ هؤلاء تجد أننا كلما عُدنا إلى الإسلام انتصرنا وقوينا، وأصبحنا أمة لها مكانتها تحت الشمس.

مقومات السيادة والريادة عند أمة الإسلام:

إذا أردنا أن تعود سيرتنا الأولى، أن يعود إلينا مجدنا السليب، إذا أردنا أن نكون خير أمة أخرجت للناس، وأن نكون شهداء على الناس - كما أراد لنا القرآن، فعلينا أن نعود للإسلام، وإن عندنا من مقومات السيادة والريادة والقيادة ما يُيوِّتنا مكانتنا بين الأمم، ولكننا - للأسف - لم ننتفع بهذه المقومات.

١ - المقومات الماديّة:

عندنا المقومات الماديّة؛ فنحن لسنا أمة فقيرة، بل إنَّ الله بوّأنا أطيب البلاد بُقعة، وأخصبها رقعة، مكاننا في سرّة العالم، في وسط القارات، عندنا الأراضي الزراعية، عندنا الثروات المعدنية، النفط وغيره من المعادن، عندنا ثروات في باطن الأرض مذخورة، وثروات على ظهرها منشورة، عندنا من فضل الله الكثير، ولكننا لم نستفد بذلك، لم نتكامل

فيما بيننا؛ لِيُكْمَل بعضنا بعضًا؛ فبعض البلاد تملك الثروة وليس عندها أيادٍ عاملة، وبعض البلاد عندها الخبرة الفنية وليست عندها سوق لتوزيع منتجاتها، بعض البلاد عندها أرض زراعية ولكنها تحتاج إلى رأس مال ضخم، لماذا لا يتكامل المسلمون بعضهم مع بعض؟!

لا نستطيع أن ندخل عصر التكنولوجيا المتطورة، عصر غزو الفضاء، عصر الكمبيوتر، عصر الثروة البيولوجية، إذا دخلناها متفرقين فرادى متناثرين، إنَّما نستطيع أن نفعل شيئًا إذا دخلناها متعاونين متَّحدين متكاملين.

وحين ننظر إلى العالم نجده يتكلم بلغة التكتل، الكتل الكبرى في العالم، فكم عدد الصين؟! وكم عدد الهند؟! وكم عدد الاتحاد السوفيتي؟! وكم عدد الولايات المتحدة؟!

ومع هذا نجد الولايات المتَّحدة لا تعمل وحدها، تعمل في حلف (حلف الأطلسي)، وكذلك روسيا والاتحاد السوفيتي تعمل في حلف (حلف وارسو).

هناك أحلاف عسكريَّة، واتِّفاقات سياسيَّة، وأسواق اقتصاديَّة مشتركة. نحن وحدنا نريد كلُّ مجموعة منَّا، كلُّ دويلة لا تكاد تُرى على الخريطة إلا بالمجهر، نريد أن تفعل شيئًا في عصر الذرَّة.

هيئات هيئات؛ لا بدَّ أن نتوَّحد، أن ننسى أمنيَّاتنا، وأن نعمل متَّحدين، فعندنا القوَّة الماديَّة لو استفدنا منها، ولكن الطاقات الماديَّة، كالنفط وغيره من المعادن، تخرج من بلادنا مادة خامًا بأرخص الأسعار، وتعود لنا مُصنَّعة بأعلى الأسعار.



إننا نشكو من هجرة العقول، (العقول الذكيّة)، تذهب وتعمل في البلاد الأخرى؛ لأنّها - للأسف - لا تجد مكانها في بلادنا، وهناك هجرة الطاقة - أيضًا؛ فالطاقة تهاجر من بلادنا؛ لأننا لم نحسن صناعتها إلى اليوم. فإلى متى هذا الحال؟!

٢ - القوّة البشريّة:

تملك أمّتنا القوّة البشريّة، حوالي ربع سكان العالم هم من المسلمين، والقوّة العددية لها قيمتها، وقد ذكر القرآن الكريم الكثرة في موضع الامتنان، فقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦]، جعلكم كثيرًا، كما أنّ العرب كانت تقول في أشعارها:

ولست بالأكثر منهم حصّي وإنما العزّة للكائر^(١)

ولكننا - للأسف - لم نستفد من هذه الكثرة.

في حين أنّنا وجدنا بلدًا مثل الصين، استطاعوا أن يستفيدوا من كثرتهم العددية، وأن يغزوا سوق العالم بصناعات، ونحن نشكو من الكثرة، ونريد أن نحدّد النّسل، وكلّ ما عندنا من إعلانات: حدّدوا النسل... اقتلوا أولادكم من إملاق أو خشية إملاق.

وهذا هو العجز والكسل، وقد علّمنا رسول الله ﷺ أن نستعيد بالله من العجز والكسل^(٢).

(١) من شعر الأعشى، انظر: صبح الأعشى (١/٤٤٤)، وديوان الأعشى الكبير ص ١٤٣، شرح د. محمد محمد حسين، نشر مكتبة الآداب، القاهرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد (٢٨٢٣)، ومسلم في الذكر (٢٧٠٦)، عن أنس.

إنَّ هناك آلفًا من الأدمغة، من العقول المتعلّمة أعلى أنواع التعلّم، يستفيد منها الأمريكان والأوروبيون، وضعوهم في موضعهم، مهندسون، وعلماء، وكيميائيون، وجيولوجيون، على أعلى المستويات، من جميع البلاد الإسلاميّة، من عرب ومن عجم، يعملون في تلك البلاد في أماكن حسّاسة، ولكننا لم نستفد منهم، ولعلّهم لو رجعوا إلى بلادنا لشغلناهم في أعمال إدارية، وأخرناهم وقدّمنا «المحاسب» عليهم، قدّمنا أقارب الوزراء، وأقارب المسؤولين عليهم.

٣ - الطاقة الرُّوحية:

إنَّ أمّتنا تملك - أيضًا - الطاقة الرُّوحية؛ فنحن وحدنا نملك الرسالة العظيمة، التي ختم الله بها الرسالات، رسالة محمّد ﷺ، وهي رسالة الشمول والتوازن، التي جعلنا الله بها أمة وسطًا.

نحن وحدنا الذين نملك كلمات الله الهادية الباقية الخالدة، التي لم يعترها تحريف ولا تبديل، نحن وحدنا نملك الوثيقة الإلهية، التي حملت إلينا هداية الله، لم يتغيّر منها سطر، ولا كلمة، ولا حرف، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۚ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصّل: ٤١، ٤٢].

كما أنّ عندنا ما يبيّن هذا القرآن الكريم من سنة رسول الله ﷺ .
وعندنا النموذج الإنساني الكامل للاقتداء والائتساء، وهو سيرة محمّد ﷺ .

وعندنا ثروة فقهية غنيّة.

وعندنا تاريخ زاهر بالبطولات والروائع.



وعندنا حضارات عريقة تضرب في أعماق التاريخ.
نحن نملك كلَّ هذا، ولكننا لا نستفيد من هذا كلِّه.

أصبحنا نحن والإسلام العظيم كأننا في خصام، أو إعراض، اتُّخذنا القرآن مهجورًا، جعلناه (بركةً) يُتلى على الأموات، ولا يحكم الأحياء، حِرزًا للخبالي والأطفال، وهو حِرز للإنسانية كلِّها من الضلال.

وقفه حساب مع أنفسنا:

ما أحوجنا - أيُّها الإخوة المسلمون - أن نراجع أنفسنا، ونراجع حساباتنا؛ لنعلم أن عندنا كلَّ المقوِّمات التي تجعلنا في الطليعة، عندنا كلَّ المقوِّمات التي تجعلنا في مأخذ الزمام من القافلة، ولا يجوز لنا أبدًا أن نظلَّ في المؤخِّرة، أن نظلَّ في الخلف، أن نظلَّ نمُدُّ يدنا إلى غيرنا، نسأله العلم، ونسأله التكنولوجيا، ونسأله السِّلاح، ونسأله الغذاء.

فحتى الغذاء نستورد نصف غذائنا، نصف أقوات عيالنا، أو أكثر من النصف من غيرنا.

والسِّلاح الذي ندافع به عن أنفسنا، لا نستطيع أن نصنعه، لم نصنعه إلى اليوم.

إنَّ أماننا عملاً كبيرًا، ولا تستطيع المؤتمرات وحدها أن تحقِّقه، إنَّما تحقِّقه الشعوب التي تستطيع أن تفعل الكثير، وتستطيع أن تجعل الحكَّام ينزلون على إرادتها، فالحكَّام هم إفراز الشعوب، وكما تكونون يوَلِّي عليكم.

إننا بحاجة إلى وعي إسلامي، وإلى إرادة إسلامية، في حاجة إلى أن نعي الإسلام، ونعي قوانين الله في دينه، وأن نعي قوانين الله في خلقه، نعي السنن التي نستطيع بها أن نتصر، وأن تُردَّ إلينا سيادتنا، وأن يُردَّ إلينا حقنا.

لا حياة لنا إلا بالإسلام:

لا حياة لنا - نحن المسلمين - إلا بالإسلام، ولا عزّة لنا إلا بالإسلام، ولا وحدة لنا إلا بالإسلام؛ فبالإسلام تجتمع كلمتنا، ويتّحد صفنا، وبغير الإسلام سنفترق أحزابًا وجماعات، كلُّ جماعة تجد لها قِبلة تولّي شطرها، سينقسم المسلمون بغير الإسلام، إلى يمين ويسار، وإلى شرق وغرب، ولكن الإسلام هو الذي يجمعنا.

إنَّ الله جمعنا على وحدة العقيدة، فنحن جميعًا نؤمن بربِّ واحد، ونؤمن برسول واحد، ونؤمن بكتاب واحد، ونؤمن بدين واحد، ونحن نتّجه إلى قِبلة واحدة، فلا يبقى إلا أن تكون شريعتنا واحدة، يجب أن توجد وحدة المنهج (وحدة الشريعة) بعد وحدة العقيدة، فإذا اتّحدنا على شريعة الله، وعلى تحكيمها وكنا مسلمين حقًا، اتّحدت الكلمة، واتّحد الصّف، وعُدنا كما أراد الله لنا أمة واحدة، لا أممًا متفرّقة يُعادي بعضها بعضًا، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فهو صراط واحد؛ صراط الله؛ صراط الإسلام؛ صراط محمّد؛ صراط القرآن والسنة، وهناك سُبُل على رأس كلِّ منها شيطان يدعو إليه.

فإذا اتّبعنا الصراط المستقيم اتّحدت كلمتنا، وإذا اتّبعنا السُّبُل تفرّقنا، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].



أسأل الله تعالى أن يجمع كلمتنا على الهدى، وقلوبنا على التقى،
ونفوسنا على الخير، وعزائمنا على الجهاد في سبيله.
أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور
الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *





في طريق التقدّم العلمي^(١)

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

مؤتمر العلماء العرب المغتربين:

عُقدت في الدوحة في هذه الأسابيع مؤتمرات عدّة، أحسب أن من أهمّها وأخطرها: «مؤتمر العلماء العرب المغتربين»، الذين نادتهم قطر، وفتحت لهم صدرها ودارها؛ ليلتقوا في مكان واحد، ليعملوا على الانتقال بهذه الأمة من مرحلة التخلف إلى مرحلة التقدّم.

وممّا نأسف له أشدّ الأسف، أنّ أمّتنا - هذه الأمة العظيمة - التي ورثت النبوات جميعاً، وورثت الحضارات التي قامت في أرضها، الحضارة الفينيقيّة، والحضارة الفرعونيّة، والحضارة الآشوريّة والبابليّة، والحضارة الفارسيّة، الحضارات المختلفة، ورثتها هذه الأمة، ومع هذا لا تزال هذه الأمة في سجن التخلف، فيما يُسمّى: البلاد النامية، أو في بلاد العالم الثالث، هكذا قُدّر لأمّتنا.

(١) ألقيت بمسجد عمر بن الخطاب بالدوحة في ٣٠ من ربيع الأول ١٤٢٧هـ الموافق ٢٨ إبريل



بعض النَّاس يظنُّ أنَّ هذا من طبيعة الأُمَّة، الأُمَّة لا تنجب نوابغ ولا عباقرة ولا أفذاذًا، إنّما الَّذي ينجب هؤلاء هم الغرب، هم اليابانيُّون، أمَّا العرب والمسلمون فهم أبعد النَّاس عن إنجاب النوابغ والأفذاذ. هكذا يظنُّ بعض النَّاس.

وبعض النَّاس يقول: إنّ هذا التخلُّف سببه الدين الَّذي يدين به المسلمون؛ فهو لا يسمح بأن تقوم أُمَّة متقدِّمة تشقُّ أجواء الفضاء، وتبلغ عَنان السماء، وتطير كالطير في الهواء، وتسبح كالحوت في الماء، كما فعل غيرها من الأمم.

وكلُّ هذه أوهام ما أنزل الله بها من سلطان.

هذه الأُمَّة هي التي سادت العالم نحو ثمانية قرون.

هذه الأُمَّة هي التي أنشأت حضارة عالميَّة إنسانيَّة ربّانية أخلاقيَّة، جمعت بين العلم والإيمان، جمعت بين الإبداع المادي والسمو الروحي والأخلاقي معًا.

هذه الحضارة الشامخة الذُّرى، التي عرّفها العالم معلِّمة له عصورًا طويلة، لا ينكر دارس للتاريخ، ودارس للحضارات: أنّ حضارتنا العربيَّة الإسلاميَّة عربيَّة؛ لأنّها كُتبت باللغة العربيَّة، التي نعجز الآن في جامعاتنا أن نعلِّم بها العلوم، من الطبِّ والهندسة وغيرها من العلوم، هي حضارة عربيَّة؛ لأنَّ العنصر العربي كان هو العنصر القائد في هذه الحضارة، حتّى إنّ بعض المؤرخين الغربيين مثل: «جوستاف لوبون» المؤرخ والفيلسوف الاجتماعي الفرنسي، كتب كتابًا سمّاه: «حضارة العرب»، ويقصد حضارة المسلمين، لكن لأنَّ العنصر العربي كان هو القائد، اعتبر الحضارة حضارة العرب.

الحضارة العربية حضارة إسلامية:

أقام المسلمون هذه الحضارة العربية الإسلامية، هي إسلامية بحكم الفلسفة التي قامت عليها، قامت على فلسفة الإسلام، وتعاليم الإسلام، الإسلام هو الذي أعطى هذه الحضارة الدوافع التي دفعتها إلى أن تتعلم، إلى أن تترجم علوم الأمم الأخرى، وتنتفع بها، إلى أن تتعبد لله بتعلم الطب وتعلم الهندسة وتعلم الكيمياء وتعلم الفيزياء وتعلم الفلك، الإسلام هو الذي أعطاها هذه الفلسفة، وهو الذي أعطاها هذه الدوافع، وهو الذي وضع لها مناهج العلم لترتقي به في سماء المعرفة، فهي إسلامية الهدف، وإسلامية الدوافع، وإسلامية العناصر.

العرب كانوا هم العنصر القائد، ولكن شاركهم عناصر أخرى، شارك في بناء الحضارة فرس، وشارك فيها هنود، وشارك فيها ترك، وشارك فيها أفغان، وشاركت فيها الأمم والعناصر الأخرى، بل شاركت فيها بعض أهل الأديان، ك: اليهود والنصارى؛ لأنها كانت حضارة مفتوحة، ليست حضارة منغلقة، ترحب بكل من يشارك فيها، وكل من يساهم فيها بنصيب.

كانت حضارة تؤمن بالتنوع، لم تكن حضارة منغلقة، فتحت الأبواب أمام الأجناس والأديان الأخرى؛ ليدعوا وليسهموا، وليتقنوا ويعملوا مع العاملين.

فهي حضارة بحكم الأهداف، بحكم الدوافع، بحكم العناصر التي شاركت فيها، بحكم الرقعة التي انتشرت فيها، انتشرت في بلاد العرب، انتشرت في بلاد العجم، انتشرت في بلاد الفرس، انتشرت في بلاد الهند، انتشرت في بلاد الترك، انتشرت في كل البلاد الإسلامية، ولهذا كانت حضارة عربية إسلامية.



العالم تعلّم من المسلمين:

هذه الحضارة كانت هي الحضارة الرائدة والقائدة والمعلّمة للعالم، كان الغرب الذي نتلمذ عليه الآن، ونرسل إليه أبناءنا وبناتنا ليتعلّموا هناك، كان يأتي إلينا ليتعلّم، تعلّم منّا الغرب في الأندلس، وفي صقلية، وفي أيام الحروب الصليبية وغيرها.

كان الغرب يتخبّط في الظلام، ولا يرى الضوء إلا من سمّ الخياط، وكنا نحن نعلّم العالم.

كان النَّاس في الغرب خصوصًا الرهبان ورجال الدين يعتبرون القذارة مقرّبة إلى الله، والنظافة من عمل الشيطان، على حين كان في قرطبة ستمائة حمام عمومي، يستحمُّ النَّاس ويغتسلون فيه^(١).

وقد قال أحد الرهبان: وا أسفاه إنَّ مَنْ كان قبلنا كان يعيش أحدهم لا يبيلُ أطرافه بالماء - وهذا يعتبره منزلة عظيمة - ولكنّا - وا أسفاه - أصبحنا في زمن يدخل النَّاس فيه الحمامات^(٢).

عدوى دخول الحمامات جاءتهم من المسلمين.

كنا نحن نعلّم العالم، العالم يتعلّم منّا، من مدرسة ابن رشد وغيره، تعلّم الأوروبيون في ديارنا، وكان أحدهم إذا أراد أن يظهر تقدّميته يتكلّم ببعض الكلمات العربيّة، يُدخل في كلامه بعض الألفاظ العربيّة، كما نرى الكثيرين اليوم، حينما يريدون أن يتفلسفوا ويظهروا تقدّميتهم يُدخلون في كلامهم العربي بعض الكلمات الأجنبية، ك: الإنجليزية أو الفرنسية؛ حتّى يظهر أنّه شخص تقدّمى لا يعيش في عالم العرب وحده.

(١) نفع الطيب للتلمساني (٥٤٠/١)، تحقيق د. إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ.

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٨٧، نشر إدارة إحياء التراث، قطر، ط ٢، ١٩٨٦م.

هكذا كنّا، كنّا نحن نعلّم العالم.

كانت أسماء علمائنا أشهر الأسماء في الدُّنيا، وكانت كُتِبَ علمائنا هي المراجع العالميّة، لو نظرنا إلى علم كعلم الطبّ نجد أسماء: «ابن سينا» صاحب كتاب «القانون»، و«أبي بكر الرازي» صاحب كتاب «الحاوي»، و«أبي القاسم الزهراوي» صاحب كتاب «التصريف لمن عجز عن التأليف»، و«ابن رشد» صاحب كتاب «الكليات»، وغير هؤلاء، كانوا مشهورين عند الغربيين، وكتبهم تُرجمت إلى اللاتينية وإلى غيرها، وتعلّم هؤلاء منها، كانت أسماء علمائنا أشهر الأسماء، كانت كتب علمائنا أشهر المراجع.

نحن الذين اكتشفنا المنهج التجريبي الاستقرائي، كانت أوروبا تعيش على المنهج القياسي الصوري، منهج منطق «أرسطو»، الذي يُسمّى: المنطق الصوري، أو المنطق القياسي، لم يعرفوا المنطق التجريبي الاستقرائي، الذين عرفوا المنهج التجريبي والاستقرائي ونُسب إليهم مثل: «روجر بيكون» و«فرنسيس بيكون» هؤلاء تعلّموا من الحضارة العربيّة الإسلاميّة، شهد بذلك مؤرّخو العلم، شهد بذلك «جوستاف لوبون»، شهد بذلك «جورج سارتون»، شهد بذلك «دريبر» في كتابه «النزاع بين العلم والدين»، شهد بذلك «بريفولت» في كتابه «بناة الإنسان»، شهد هؤلاء بأنّ «بيكون» أخذ المنهج التجريبي الذي كان أساس نهضة أوروبا أخذه من حضارتنا.

تحرُّك الغرب ورقود المسلمين:

نحن الذين علّمنا هؤلاء، اقتبسوا من نورنا، وأخذوا هذه الشعلة من عندنا واستفادوا منها، بدؤوا يستيقظون وبدأنا ننام، بدؤوا يتحرّكون

وبدأنا في الرقود، بدؤوا يتقدّمون وبدأنا في التخلف، حتّى أصبحوا الآن إلى ما نرى، وأصبحنا على ما ترون، أصبحنا في ذيل القافلة وكنا في رأسها، كنا في مأخذ الزمام، كنا قادة القافلة البشريّة، أصبحنا وراء وراء، نحن بلاد «نايمة»، كما قال أحد الأدباء: نحن لسنا بلادًا نامية، بل نحن بلاد «نايمة».

هم يُسمّوننا بلادًا نامية؛ ليشعروننا أنّا ننمو حقيقة، ونحن لا نكاد ننمو، نحن نعيش في حلقة مُفرّغة.

الفرق بيننا وبين القوم كثير، المسافة شاسعة، لا بدّ أن نبذل جهدًا مضاعفًا؛ حتّى نعوّض ما فات ونلحق بهم، ولكن القوم يعملون دائمًا في دأب، نحن نسير بسرعة السلحفاة، وهم يسيرون في سرعة الغزال، نحن كلما كسبنا شوطًا كسبوا هم أشواطًا، كنا نركب الدواب، فصنعوا السيارات، والقطارات، ولما ركبنا السيارات والقطارات معهم أو منهم صنعوا هم الطائرات، ولما ركبنا الطائرات صنعوا الصواريخ، والحقيقة أنّ الطائرات والقطارات والسيّارات التي نركبها ليست من صنعنا، نحن في عالمنا العربي لم نضع سيارة حقيقية إلى الآن، نحن نُجمّع بعض الأشياء، إنّما «الموتور» من الذي يصنعه؟ هم الذين يصنعونه.

نحن نستطيع في ديارنا أن نطلب من مصنع كمصنع «المرسيدس» مثلاً أرقى الموديلات، فيها كلُّ الكماليات؛ لأن عندنا فلوسًا نستطيع أن نشترى بفلوسنا، ولكن هل نستطيع أن نصنع هذه السيّارة أو نصنع فيها شيئًا يُذكر؟

ما زالت الأمة متخلفة، وكما قلت دائماً: أمة سورة الحديد لم تتعلم صناعة الحديد، لا تعلمنا صناعة الحديد الحربيّة، ولا تعلمنا صناعة الحديد المدنية، الحديد الذي يقول الله فيه: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥]، ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾: إشارة إلى الصناعات الحربيّة، ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾: إشارة إلى الصناعات المدنية.

نحن لم نحسن الصناعات الحربيّة، ولا الصناعات المدنيّة، كما قال بعضهم: نستورد من الإبرة إلى الصاروخ.

عقبات في طريق التقدم العلمي:

هذا هو شأننا، بيننا وبين القوم مسافات، كيف نقطع هذه المسافات؟ نحن في حاجة إلى أن نتخطى العقبات في طريقنا.

عقبة الاستبداد:

من هذه العقبات أننا لم نصنع المناخ الملائم لتقوم فيه صناعات حقيقية، ويوجد تقدّم حقيقي، وهذا المناخ هو مناخ الحرّيّة، من غير الحرّيّة لا يمكن أن يصنع العبيد شيئاً، ما دامت أمّتنا تُساق بالسيّاط، ما دامت أمّتنا يُقاد الأحرار فيها إلى السجون والمعتقلات، ما دام هناك الحاكم الذي يحكم النّاس بالعصا الغليظة، ما دام القضاة يُعتقلون ويُسجنون ويُضربون، ما لم تكن هناك حرية صحافة، ولا حرية تكوين أحزاب، ستظلُّ أمّتنا في دائرة التخلف.

الأمة يصنعها الأحرار، التقدّم يصنعه الأحرار، أمّا إذا ظللنا في دائرة العبوديّة لن تصنع الأمة شيئاً يُذكر، ستظلُّ على الهامش دائماً.

منذ عدّة عقود من السنين أراد أحد حكام العرب - وكان متحمّسا دائماً - أراد أن يصنع مدينة علميّة يجمع فيها هذه الطيور البشريّة المهاجرة، هذه العقول النابغة التي تعيش في أوروبا وأمريكا وكندا وغيرها من تلك البلاد.

وبعث مندوبيه يقنعون هؤلاء النّاس أن يعودوا إلى بلد عربي إسلامي؛ ليصنعوا مدينة علميّة؛ ليكون علمهم لأمتهم؛ ليكون خيرهم لبلادهم، لشعوبهم، وأقنعوا عدداً لا بأس به من هؤلاء العلماء، وجاؤوا بهم إلى عاصمة تلك البلد، ماذا فعلوا؟

أول ما دخلوا البلد أخذوا منهم جوازاتهم، وأصبح النّاس لا يستطيعون أن يتحرّكوا إلا بإذنهم، وشعر هؤلاء العلماء أنّهم جنود في معسكر يحكمهم الضباط، الضباط هم الذين سيّرونهم.

شعر هؤلاء النّاس أنّهم ليسوا في مدينة علميّة، هم في سجن كبير، فحينما لاحت لهم أول فرصة ذهبوا غير راجعين، ركبوا الطائرة ولسان حال أحدهم يقول ما قال الشاعر قديماً:

عَدَسٌ مَا لِعَبَادٍ عَلَيْكَ إِمَارَةٌ أَمْنَتِ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقٌ^(١)
 وذهبوا إلى غير رجعة، وفر للنّاس الحرّيّة؛ فالحرّيّة هي التي تصنع الرجال.

(١) من شعر يزيد بن مُفَرِّغِ الجَمِيرِي، قاله بعدما أطلقه معاوية بن أبي سفيان، من سجن واليه على سجستان عبّاد بن زياد بن أبي سفيان. وعَدَسٌ: اسم صوت لجزر البغل. انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة (٣٥٢/١)، نشر دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

عقبة التفرُّق:

ثمَّ إنَّنا - أيُّها الإخوة - نريد أن نصنع حضارة، وأن نصنع تقدُّمًا، وأن نواكب العصر، وأن نسير مع المتقدِّمين، نريد أن نفعل ذلك فرادى متناثرين، كلُّ بلد تريد أن تصنع تقدُّمًا وحدها.

وهيئات هيئات؛ نحن في عصر الإنتاج الكبير، الإنتاج الصغير لا يستطيع أن ينافس غيره، لا يمكن أن يملك من المقوِّمات ما يجعله يقف في سوق ضخمة.

لهذا رأينا أوروبا تتضامُّ وتتلاحم فيما بينها، على الرغم من القرون الطويلة التي ظلَّ يحارب فيها بعضها بعضًا؛ لأسباب دينية، ولأسباب قومية، ولأسباب مصلحة وسياسية، آخرها الحربان العالميتان الأخيرتان، وخصوصا الحرب العالمية الثانية التي قُتل فيها عشرات الملايين.

الأوروبيون قتل بعضهم بعضًا، بالنازية، والفاشية، وغير هؤلاء، ثمَّ رأت أوروبا أنَّه لا خير في الاختلاف، أنَّ الخير كلَّ الخير في الاتحاد والائتلاف، في أن ينسوا هذا الماضي بما فيه من مأس ودماء، وأن يفتحوا صفحة جديدة، وأن ينضمَّ بعضهم إلى بعض؛ ليشكِّلوا كتلًا قويًا يقف أمام التنافس الأمريكي، وفعلوا ذلك.

هل نحن استطعنا أن نفعل ذلك؟

لم نفعل ذلك، لا نزال مختلفين، لا نزال متفرِّقين، لا نزال متمرِّقين، مقولة: «فرِّق تسُد» التي روَّجها الاستعمار ما زالت تعمل فينا، الجامعة العربيَّة أصبحت غير قادرة على أن تجمع العرب، وإذا جمعهم لم يتَّفقوا، وإذا اتَّفقوا لم يصنعوا شيئًا.

حتى إنه أقيمت مناظرة في مؤسسة قطر هل تُحلُّ الجامعة العربيَّة أو لا تُحلُّ؟

فمن المؤسف أن نجد من ينادي بحلِّ الجامعة العربيَّة، ووجد أن ستين في المائة من الحاضرين يقولون بحلِّ الجامعة العربيَّة، والجامعة العربيَّة مهما كانت يجب أن تبقى وأن تُصلح، أمَّا أن تُلغى الجامعة العربيَّة فهذه جريمة.

الأمَّة غير قادرة على أن تتجمَّع، كيف نستطيع أن نصنع تقدُّمًا ونحن متفرِّقون؟!

لكن البلاد الغربيَّة، البلاد الصناعية الكبرى في أوروبا، تتجمَّع الدولتان أو الثلاث الدول لتصنع طائرة متطورة متقدِّمة، لا يكفي دولة واحدة، ثلاث دول تتجمَّع لتصنع طائرة، ونحن الدول الصغيرة تريد أن تعمل صناعة وحدها.

هيئات هيئات!

نحن نريد الأمَّة العربيَّة، بل نريد الأمَّة الإسلاميَّة، نريد تكتُّلًا إسلاميًّا يستطيع أن يقف في وجوه التكتلات الكبرى في العالم، الصين وحدها مليار ومائتا مليون، تكتُّل ضخمة، استطاعت أن تفعل الكثير.

نحن عندنا مقوِّمات القوَّة، عندنا الكثرة العددية، عندنا الطاقة، القوَّة الاقتصادية والماديَّة الزراعية والمعدنية، وعندنا السهول والبحار، وعندنا الطاقة الروحيَّة، وعندنا العمق الحضاري، عندنا كلُّ هذا، عندنا ما يجعل منَّا أمَّة قادرة على صنع التقدُّم، لكن لا يمكن أن نفعل ذلك مبعثرين متناثرين.

عقبة غياب الرسالة:

ثمَّ هناك أمر آخر - أيُّها الإخوة، لا تستطيع هذه الأمة أن تدخل عالم التقدُّم، عالم الثورات العلميَّة الهائلة التي عرفها النَّاس في عصرنا هذا: الثورة الفضائيَّة، الثورة الإلكترونيَّة، ثورة الاتصالات، ثورة المعلومات، ثورة البيولوجيا الجينات والهندسة الوراثية، ثورة التكنولوجيا، الثورات هذه التي صنعها العالم أين نحن منها؟

لا نستطيع أن نفعل هذا إلاَّ أن يكون لنا مشروع، أن تكون لنا رسالة تحرك الأمة من ركودها، تُوقظها من سباتها، تُحييها من مواتها، تجمعها من شتاتها، لا بدَّ من رسالة، من مشروع كبير يكون هو هدف الأمة الذي نُجمِّعها عليه.

ما مشروع أممتنا؟ ما المشروع القومي الكبير الذي تجتمع عليه الأمة؟ بعض الأحزاب العربيَّة اتخذت شعارًا لها: «أمة واحدة ذات رسالة خالدة» ما الذي يوحد هذه الأمة؟
والله لا يوحدنا غير الإيمان.

ما الرسالة الخالدة لهذه الأمة؟

والله لا رسالة لها غير الإسلام، إذا ربطنا هذه الأمة بالإسلام، بالإيمان، بالإحسان، بـ«لا إله إلاَّ الله والله أكبر»، إذا قدنا هذه الأمة بهذه المحرِّكات، إذا قلنا في المعارك العسكريَّة: «يا خيل الله اركبي، ويا كتائب الله سيري، ويا ريح الجنَّة هبي» سارت الأمة وراءنا ألوفاً ألوفاً، وصفوفاً صفوفاً، تبذل أرواحها ودماءها في سبيل الله.

كذلك إذا أردت أن تجنِّد الأمة لعمل علمي، لعمل تقدُّمي، لعمل

حضاري، لا بدّ أن تُشعرها برسالة، لا بدّ أن تُشعرها بأنّ لها هدفاً كبيراً تتميز به، وإلا فإذا بقيت الأمة ذنباً لغيرها من الأمم، ذيلاً للأمم الحضارات، فماذا تشعر؟

إنّها لن تشعر بأنها حققت شيئاً، إذا انتصرت فيها الاشتراكية فهذا ليس نصراً لها، إنّما هو نصر لبلاد الاشتراكية الأم.

إذا انتصرت فيها الرأسمالية فإنّما انتصرت البلاد الرأسمالية الكبرى.

إنّما تنتصر الأمة حينما ينتصر الإيمان، حينما ينتصر الإسلام، حينما تنتصر الأخلاق، حينما تنتصر رسالة هذه الأمة.

لا يمكن أن تنجح الأمة في بناء حضارة علمية تقدّمية إلا إذا كان لها رسالة، هذه الرسالة هي التي تعطي الأمة البواعث، هي التي تجعل الإنسان يتعبّد بالعلم، يتعبّد بالتفكير.

عقبة أنظمة التعليم الفقيرة:

مشكلتنا أنّنا نريد أن نغيّر نظام التعليم كلّهُ، وفلسفة التعليم، إنّ تعلمينا في بلادنا العربيّة والإسلاميّة ما زال يقوم على الحفظ والصمّ، لا على الفهم والهضم، انظر إلى المعركة في بعض البلاد في قضيّة الثانوية، وماذا يفعل التلاميذ وأولياؤهم، والأسر والدروس الخصوصيّة.

الدروس الخصوصيّة يعني: ناس يريدون أن يعلّموا التلاميذ ويحفظّوهم معلومات للامتحان، إذا جاء في الامتحان كذا، تفعل كذا.. وكذا.. وكذا، وبعد الامتحان، بعد أن يتقيّاً التلميذ ما يتقيّوه على الورق ينسى كلّ شيء.

لا بدّ أن نغيّر فلسفة التعليم ونظام التعليم، لا بدّ أن نتخيّر الطالب الذي يدخل الجامعة، ونتخيّر الأستاذ الذي يعلم، ونتخيّر المنهج الصحيح، ونتخيّر الكتاب الصحيح، والإدارة التي تُشرف على هذا، والجو العام.

لا بدّ أن يسود في الأمة رُوح عام: أنها تريد أن تتعلّم تعلّمًا حقيقيًا، لا بدّ أن ننشئ هذا المناخ.

تهيئة الفرص للعلماء والباحثين:

أحد الأساتذة الكبار الذين شاركوا في مؤتمر العلماء المغتربين، ومن المرشّحين لجائزة «نوبل» وهو مصري، قال: أنا - والله - لست أفضل من غيري من زملائي، أنا - والله - لم أكن أفضل زملائي، كان معي من كان الأوّل عليّ، وما كنت الأوّل في وقت من الأوقات، كان هناك طلاب أنبه منّي، وأذكى منّي، ولكنّي أُتيح لي ما لم يُتَح لهم.

ذهب هذا الأستاذ إلى أمريكا وإلى هذه البلاد، فهَيَّؤوا له هذه الفرص.

الذين حصلوا على جائزة نوبل من العرب مثل: «أحمد زويل» وغيره ليسوا من العباقرة بحيث يفوقون أمثالهم، بل أُتحت لهم ظروف لم تُتَح لغيرهم، فاستثمروها أحسن استثمار، هذه الظروف جدير أن نصنعها في بلادنا، هؤلاء الذين هاجروا، لماذا هاجروا ولم يبقوا في ديارهم؟

بعضهم أخبرني بأنّه جاء إلى بلده بعد أن حصل على الدكتوراه، وأراد أن يُفيد بلده مما تعلّم، فماذا جرى له؟

قُدّم عليه (المحاسب)، أقارب الرئيس، أو أقارب الوزير، أو أقارب فلان وعلان، أو المنافقون الذين يستطيعون أن يقدموا الخدمات، أو

الثرثارون الفارغون، وبقي الشخص على مكتبه، لا يستفيد هو من علمه، ولا يستفيد الناس منه، فقرّر أن يعود إلى البلاد التي أخذ الدكتوراه منها، نحن الذين ننفر هؤلاء، نطرد هؤلاء من ديارنا، بالأ نهى لهم الفرص لينفعوا بلادهم.

الإسلام ينشئ العقلية العلميّة:

نحن في حاجة إلى أن نتعلّم أن العلم عبادة، وأن التفكير فريضة، الكاتب الكبير الأستاذ عبّاس العقاد له كتاب سمّاه: «التفكير فريضة إسلاميّة»، وهذا عنوان صادق فعلاً؛ التفكير فريضة لأنّ الله أمر به، كما أمر بالتعبّد أمر بالتفكّر في آيات كثيرة، ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ وَفَرْدَى ثُمَّ تَنْفَكُّوْا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جَنَّةٍ﴾ [سبأ: ٤٦]، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٣]، إلى آخر هذه الآيات.

القرآن مليء بهذه المفردات: النظر، التفكّر، العقل، البرهان، الحجّة. إذا نظرت في الكتاب المقدس - وقد نظرت فيه وفي فهارسه - لا أجد لهذه الألفاظ وجوداً.

والقرآن مليء بها، عشرات المرّات ومئات المرّات تكرّرت فيه، القرآن يريد أن يصنع العقلية العلميّة للمسلم، العقلية التي ترفض الظنون، إذا أرادت أن تؤسس عقيدة أو نظريّة تعتمد على اليقينيّات، يقول القرآن: ﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [يونس: ٣٦].

الإسلام يرفض الانصياع للعواطف والأهواء في مقام العلم، لذا ذمّ

المشركين الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْعَوَاطِفَ وَالْأَهْوَاءَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ [النجم: ٢٣]، إِنَّمَا تَقَامُ الْحَقَائِقُ عَلَى الْبِرْهَانِ، ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ، أَقِيمُوا الدَّلِيلَ، هَلْ هُوَ دَلِيلٌ عَقْلِيٌّ؟ هَلْ هُوَ دَلِيلٌ نَقْلِيٌّ؟

﴿هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، ﴿أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤]، أَوْ دَلِيلٌ حَسْبِي: ﴿أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ﴾ [الزخرف: ١٩]، ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الكهف: ٥١]، لَا بَدَّ مِنَ الْبِرْهَانِ، يَرْفُضُ التَّقْلِيدَ الْأَعْمَى، الْجَمُودَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ الْآبَاءُ وَالْأَجْدَادُ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

يرفض التقليد للسادة والكبراء والرؤساء، ﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٧]، يرفض التقليد لعوام الناس: «لا تكونوا إمعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن أسوأوا أسأنا، ولكن واطنوا أنفسكم إن أحسنوا أن توحسنوا، وإن أسأوا ألا تظلموا»^(١).

يربِّي الشخصية المستقلة، هذا هو الإسلام، يريد أمة تعمل عقولها في كل شيء، في فهم الدين، وفي فهم الدنيا، لا تغيب العقول.

أمة الإسلام أمة العقل والعلم:

أمة العقل، وأمة العلم، والعلم ليس علم الدين فقط كما زعم بعض المشايخ أن العلم الذي جاء مدحه في الآيات والأحاديث إنما يُراد به علم

(١) رواه الترمذي في البر والصلة (٢٠٠٧)، وقال: حسن غريب. والبخاري (٢٨٠٢)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٦٢٧١)، عن حذيفة بن اليمان. ولكنه يتمشى مع القواعد العامة والمبادئ الكلية في الإسلام.

الدين فقط، هذا ليس صحيحًا، العلم في القرآن والسنة يشمل كل علم ينتفع به الناس، كل علم تنكشف به الحقيقة، سواء أكانت حقيقة دينية أم حقيقة كونية، الله تعالى حينما يقول: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِنَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٧]، يعلمون هنا علم الدين؟!!

النجوم وهذه الأفلاك، علم الكون، علم الطبيعة، حينما يقول الله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس: ٥]، ليس المراد هنا علم الشرع، حينما يقول الله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ السِّنِينَ وَالْوَنُكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الرؤم: ٢٢]، العالمين باختلاف الألسنة والألوان، لا العالمين بحكم الشريعة.

ليس كل علم هو العلم الشرعي، العلم الشرعي طبعًا مطلوب، فهو الذي يهدي الناس إلى الله، ويعرفهم طريق الله المستقيم، ويعرفهم الحلال من الحرام، والصحيح من الفاسد، ولكن هناك علومًا للدنيا، مطلوبة للمسلمين، وهي مطلوبة لكي يكون المسلمون سادة العالم، ومن هنا قال فقهاؤنا: إن كل علم يكون قوامًا للحياة تعلمه فرض كفاية، سواء أكان من علوم الدين أم من علوم الدنيا^(١).

يجب أن يكون في المسلمين مجتهدون يبلغون درجة الاجتهاد، وهذا فرض كفاية على الأمة في مجموعها، ويجب أن يكون فيها أطباء ومهندسون وزراعيون وكيميائيون وفلكيون إلى غير ذلك، بحيث يلبثون

(١) قرّر ذلك الغزالي في إحياء علوم الدين (١٦/١)، والشاطبي في الموافقات (٥١/١)، تحقيق عبد الله دراز، نشر دار المعرفة، بيروت. وغيرهما من العلماء.

حاجات المجتمع، ويغطون مطالب الأمة، بحيث تكتفي الأمة اكتفاء ذاتيًا، ولا تظل في حاجة إلى غيرها، لا تظل عبئًا على غيرها. هذا هو المطلوب من أمة الإسلام.

ترحيب وعتب واعتزاز بالعلماء المغتربين:

لهذا - أيها الإخوة - نرحب بإخواننا من العلماء المغتربين العرب الذين جاؤوا إلى الدوحة في هذا الأسبوع، وإن كنت قد أخذت عليهم - وقد حضرت جلسة الافتتاح - أنهم وهم علماء عرب تكلموا بغير العربية في بلد عربي، كنا نود أن يعتزوا بالعربية، وأن يتكلموا بالعربية، العربية ليست عارًا ولا شئنا حتى يتبرؤوا منها وهم مدعوون من بلد عربي، والحضور أكثر من تسعين في المائة منهم أو خمسة وتسعين في المائة منهم عرب، وقليل منهم من لا يتكلم العربية، ولهم مترجمون يترجمون لهم. ما كنا نحب للعلماء العرب المغتربين أن يفرضوا علينا أن يتكلموا بالإنجليزية.

نحن نعزُّ بهذه العقول المهاجرة، نريد أن تنتفع بهم أممتهم.

قطر أرادت أن تنتفع بهم عن طريق المشاركة، لم تفعل ما فعله الزعيم الذي جاء بهم من بلادهم، قالت: نتفح بهم وهم في بلادهم التي يقيمون فيها، عن طريق الشراكة أو المشاركة، تقوم برامج مشتركة بيننا وبينهم.

وهذا شيء لا بأس به، حبذا أن نصل إلى هذا، نريد أن نتصل بهؤلاء وهم آلاف مؤلفة، عشرات الآلاف في أوروبا وأمريكا وكندا واليابان، وفي بلاد شتى في الشرق والغرب، نريد أن نتفح بهؤلاء.



وأعتقد أنّ الأكثرية الكاثرة والأغلبية الساحقة من هؤلاء تريد أن تفيد بلادها، وتريد أن تنفع أمّتها.

جزى الله خيرًا كلّ من يسعى في إخراج أمّتنا من سجن التخلف الذي أصبح وصمة عار في جبينها، لتخرج إلى باحة التقدّم لتلحق بالركب العالمي، لتحاول، ومن جدّ وجد، ومن زرع حصد، ومن سار على الدرب وصل، ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

أسأل الله تبارك وتعالى أن يفقه هذه الأمة في دينها، وأن ينير بصائرهم، وأن ينفعها بخيرة أبنائها، وقلذات أكبادها، وأن يهيئ لها من أمرها رشدًا.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنّهُ هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *





أحوال المسلمين في العالم

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

اليأس ليس من شأن المؤمنين:

أحوالنا - نحن المسلمين - اليوم لا تُسرّ حبيبا، بل تسوء كلّ صديق وتسرّ كلّ عدوّ وشامت، ما حضرنا مجلسا ولا حضرنا ندوة، ولا شهدنا محاضرة، إلّا سمعنا فيها ما يفتت الأكباد، سمعنا فيها ما يُنبئ عن سوء أحوالنا، التي لا تتحسن، ولكنها - للأسف - كثيرا ما تسوء، يوما بعد يوم.

إنّ المريض الذي ينتقل من شدّة المرض إلى خفته تُرجى له العافية، ولكن المشكلة إذا ظلّ المريض كما هو، يتحسن يوما وينتكس يوما آخر، ما الحيلة في هذه الحال؟

هذه أحوالنا، أحوالنا كما نراها ونشاهدها ونعيشها، هذه أحوالنا - نحن العرب، نحن المسلمين - في كلّ مكان.

بعض الناس يقولون: هل معنى هذا أن نياس لأنّه لا حيلة، لا وسيلة، لا حلّ، لا علاج؟

لا؛ ليس من شأن المؤمن أن ييأس ولا أن يقنط؛ الإيمان بطبيعته لا يقبل اليأس، ولا يرضى القنوط، الله تعالى يقول: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

ما من شيء في الوجود إلا وله مخرج، ما من عسر إلا وبعده يسر، ما من داء إلا وله دواء، ما من عقدة إلا ولها حلال - كما يقول الناس - وكما علمنا نبينا ﷺ: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا قَدْ أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، عِلْمُهُ مَنْ عِلْمُهُ، وَجَهْلُهُ مَنْ جَهْلُهُ»^(١).

وهذا كما يكون في الأهواء المادّية والأدواء الجسميّة كذلك يكون في الأمراض الاجتماعيّة، في الأمراض العامّة والأمراض المعنويّة، كلُّ مرض له دواء، كلُّ داء له دواء، المهم أن نبحث عن الدواء، أن نصدق في البحث عن الدواء، أن يشعر المريض أنه في حاجة إلى العلاج، وأن يبحث عن الطبيب الخبير، الذي يُحسن تشخيص مرضه، ويُحسن وصف الدواء له، وأن يكون هو مريدًا للشفاء، مُصمّمًا على أن يتداوى ويتعاطى الدواء مهما تكن مرارته.

لا بدّ من هذا كُله.

ما يُصِيبُ النَّاسَ فَبِغَسْبِ أَيْدِيهِمْ:

كلُّ أدوائنا لها دواؤها، وكلُّ عقدنا لها حلُّها، والحلُّ يبدأ بنا، ويبدأ منّا، وينتهي إلينا، الداء فينا والدواء فينا، كلُّ شيء يرجع إلى أنفسنا

(١) رواه أحمد (٣٥٧٨)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره. والحاكم في الطب (٣٩٩/٤)، وصحّحه، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الضحايا (٣٤٣/٩)، عن ابن مسعود.

نحن، تعلّم المسلمون من قديم أن يقولوا كلّما رأوا نازلة تنزل بهم: من أعمالنا سُلِّط علينا، وهذا صحيح، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤]، وصدق الله العظيم: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧]، لا يمكن أن يظلمهم ويهلكهم وهم مصلحون.

كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية: إنّ الله يبقي الدولة العادلة ولو كانت كافرة، ويخذل الدولة الظالمة، ولو كانت مسلمة^(١).

فالدولة الكافرة إذا قامت على العدل بقيت، والدولة المسلمة إذا قامت على الظلم زالت، إنّ الله لا يبقي الظلم في الأرض، ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل: ٥٢].

هذه أمور نعرفها.

إِنَّ مَا أَصَابَنَا مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِينَا، ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، وإنه لا يمكن أن يتغير ما بنا حتى نغيّر ما بأنفسنا، قضية مسلمة، قاعدة صلبة قرّرها القرآن الكريم، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣].

إذا تغيّر النَّاسُ غيّر الله ما بهم:

لا يتغير النَّاسُ من شرٍّ إلى خير، ومن سعة إلى ضيق، ومن رخاء إلى شدة، ومن نعماء إلى بأساء، ومن سراء إلى ضراء، ومن ازدهار إلى

(١) مجموع الفتاوى (٦٣/٢٨)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد،

المدينة النبوية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

ذبول، ومن قوّة إلى ضعف، لا يأتي هذا اعتباطاً، ولا يأتي هذا ظلماً، إنّما يتغيّر النَّاس فيغيّر الله ما بهم.

انظروا إلى التاريخ الإسلامي كلّه، وإلى التاريخ الإنساني، حسبنا أن ننظر إلى تاريخنا الإسلامي، انظر إلى المدّ والجزر في تاريخ الإسلام، انظر إلى الامتداد والانكماش، انظر إلى النصر والهزيمة، انظر إلى القوّة والضعف، تجد أنّه حينما يُحسن المسلمون فهم الإسلام ويحسنون العمل به، حينما يُوفّق لهم مجدّد يجدّد الدين، أو قائد يقودهم بالحقّ والعدل، ويقتربون من الإسلام الصحيح فهماً وعملاً، فإن الله تبارك وتعالى يجمع شملهم بعد تفرّق، وينصرهم بعد هزيمة، ويعزّهم بعد ذلّ، ويؤمّنهم بعد خوف.

وهذا ما حدث.

انظروا في عهد الراشدين، في عهد عمر بن عبد العزيز، في عهد نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي، في عهود مختلفة، على قدر صلة المسلمين بالإسلام الصحيح يكون نصر الله تعالى لهم، ومعونته إيّاهم، فإذا تغيّر النَّاس غيّر الله ما بهم، وبالعكس التغيّر من الخير إلى الشرّ كذلك، إذا غيّر النَّاس ما بأنفسهم، حينما يكونون في ضيق يريدون بعده السّعة، أو شدّة يريدون بعدها الرخاء، أو ضعف يريدون بعده القوّة، أو هزيمة يريدون بعدها النّصر، أو شتات يريدون بعده الوحدّة، لا بدّ أن يرجعوا إلى أنفسهم ليغيّروا ما بها، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

هذه هي القضية الأساسيّة.

العمل على بناء الإنسان من جديد:

ولهذا نؤكد ونكرّر ما قلناه من قبل: إنّ قضيتنا الأولى في وطننا العربي والإسلامي هي قضية بناء الإنسان، أن نعيد بناء إنساننا من جديد، بعد أن خرب هذا الإنسان من داخله، خرب عقائدياً وفكرياً وأخلاقياً، أفسد من الداخل، حطمت معنوياته، غيرت مفاهيمه، بدلت قيمه، تحوّلت أهدافه.

نحن نريد إنساناً كإنسان الإسلام الأوّل، الذي ربّاه رسول الله ﷺ.

كيف حوّل رسول الله ﷺ إنسان الجاهليّة إلى إنسان الإسلام، إنسان الجاهليّة الذي كان يعيش لنفسه أو لقبيلته فقط، ولا يفكر إلا في أمور محدودة، كالذي قال بعض الشعراء:

إِنَّمَا الدُّنْيَا طَعَامٌ وَغَلَامٌ وَمُـــدَامٌ
فَإِذَا فَاتَكَ هَذَا فَعَلَى الدُّنْيَا السَّلَامُ^(١)

هذا هو ما يعيش له الإنسان الذي لا يؤمن بآخرة، ولا يعيش لهدف ولا يتعلّق برسالة، يعيش وراء الملذات، أو المنافع الشخصية المادّيّة الآنية، النبي ﷺ غير هذا الإنسان إلى إنسان آخر، إنسان جديد، إنسان يحيا لهدف، يحيا لرسالة كبيرة، عبّر عنها ذلك الصحابي الذي قال لرستم قائد الفرس: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام^(٢).

(١) ذكره من غير نسبة الراغب الأصبهاني في محاضرات الأدباء (٧٨٤/١، ٧٨٥)، نشر دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ.

(٢) رواه الطبري في تاريخه (٥٢٠/٣)، نشر دار التراث، بيروت، ط ٢، ١٣٨٧هـ.

أصبح هناك رسالة يعيش لها الناس، يحيون لها، ويموتون عليها، ويجاهدون في سبيلها، ويبدلون النفس والنفيس، ويضحون بالغالي والرخيص من أجلها، إذا ناموا يحلمون بها، وإذا استيقظوا يعملون لها.

لا بد أن يعيش الإنسان لرسالة، مصيبتنا في أوطاننا أن إنساننا لم يعيش لرسالة، الناس يجرون وراء اللقمة، أو اللذة، وآخرون يريدون الملايين يكسبونها بلا كد يمين ولا عرق جبين، قد ينون أنفسهم بهدم الناس، قد يزخرفون قصورهم بدماء البشر، هناك من لا يبالي أن يجمع ما يجمع من تجارة السموم البيضاء، من تجارة المخدرات، تجارة المحرّمات، يريد أن يملك ما يملك ولو هدم الناس جميعاً.

هدفنا أننا نحتاج إلى إيقاظ إنساننا من جديد، أن تكون لنا هوية واضحة، من نحن؟ ما الإنسان الذي نريده، أنريد إنساناً اشتراكياً أم رأسمالياً أم كذا أم كذا؟ أم نريد إنساناً هو الإنسان الناجي في سورة العصر، الناجي من خسران الدنيا والآخرة؟

﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر].

هذا هو الإنسان الناجي من الخسر، من البوار، من الهلاك، هلاك الدنيا وهلاك الآخرة، الخسر المادي، والخسر الروحي، إنما ينجو الإنسان بهذه الأمور الأربعة، الإيمان وعمل الصالحات، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر.

بناء الإنسان المنشود بالإيمان:

فأول شيء ينبغي أن يتربى عليه الإنسان المنشود هو الإيمان، إذا أردنا أن نعيد بناء الإنسان الذي خرب مرة في عصور الانحطاط، ومرة



في عصور الاستعمار، ومرّة في عصور الاستبداد والطغيان، هذا الإنسان في حاجة إلى أن يُبنى، وكيف يُبنى؟

أول ما ينبغي أن يؤسّس عليه هذا الإنسان الإيمان؛ الإيمان بالله تعالى وبالدار الآخرة، أن يعرف أنّه لم يُخلق عبثًا ولم يُترك سدى، وأنّه (إنسان عين الوجود)، وأنّه خليفة الله في أرضه، وأنّ الحياة ليست مجرد أرحام تدفع وأرض تبلع، نموت ونحيا ولا يهلكنا إلا الدهر، وأن هذه الحياة بوتقة يُصهر فيها الإنسان ويُعدّ لحياة أخرى، هي حياة الخلود والبقاء، إنّه يُعدّ هنا ليخلد هناك، إنّه هنا في دار ممر، وليست دار مقر، إن هذه الحياة قنطرة إلى قنطرة أخرى هي الحياة الحقيقية، ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

ينبغي أن يربّي الإنسان أنّه ليس نباتًا شيطانيًا، ولا زرعًا بريًا خرج وحده، وإنّما خلقه خالق، وأنبتة مُنبت، وزرعه زارع، هو الله تبارك وتعالى، زرعه ليؤدّي ثمرة، وليحقّق غاية، وليعيش في هذا الوجود عابدًا لله تعالى لا عابدًا لأحد سواه، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

نحن في حاجة إلى أن يُبنى الإنسان بناءً على الإيمان، إيمان التوحيد الذي يحرّر الإنسان من كلّ عبوديّة إلاّ العبوديّة لله وحده، الإنسان الذي يشعر بقيمته، فلا يحني ظهره إلاّ لله، ولا يطأطئ الرأس ساجدًا إلاّ لله، الإنسان الذي يشعر أنّ الرزق بيد الله، وأنّ الأجل بيد الله، وأن أحدًا لا يستطيع أن ينقص له رزقًا أو يقدم له أجلًا، نحن في حاجة إلى أن نبني الإنسان بالإيمان.

الإيمان له ثمرات عاجلة:

النَّاسَ يَظُنُّونَ أَنَّ الْإِيمَانَ قِيَمَةٌ رُوحِيَّةٌ فَقَطْ، وَثَمَرَتُهُ فِي الْآخِرَةِ فَقَطْ.

لا؛ الإيمان قيمة روحية ولا شك، وهو أعلى القيم الروحية، ومنبع القيم الروحية كلها، وثمرته في الآخرة النجاة من النار والفوز بالجنة، ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ الْتَّكْرِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

هذا صحيح، ولكن الإيمان مع ذلك له ثمرات في هذه الحياة، هي عاجل بشرى المؤمن.

الإيمان له ثمراته العاجلة، الإيمان فضلاً عن أنه قيمة روحية هو قيمة نفسية، يكسب صاحبه ما يسئونه: الصحة النفسية.

الغرب الذي غزا الفضاء، وصنع الكمبيوتر، الغرب الذي وصل إلى القمر، يعاني الآن من الأمراض النفسية، من القلق المرضي، من الضياع، من الشعور بتفاهة الحياة، هذا الذي نراه في هذا الشباب الذي يسمّى: الخنافس أو غير ذلك، هؤلاء ثاروا على حضارة الأزرار الأوتوماتيكية، إنَّها لم تملأ فراغهم العقائدي، لم تشبع النهم الروحي، لم تسكن تلك الجوع التي يشعرون بها، لم ترو ذلك الظماً الذي يحسون به في داخلهم، يريدون شيئاً أكبر من المتعة، يريدون شيئاً أكبر من اللذة، فلم يجدوه في الحضارة فخرجوا عليها، ثاروا عليها، ولكنهم لم يستطيعوا أن يجدوا الطريق الصحيح، لم يجدوا من يهديهم.

لو كنَّا - نحن المسلمين - على المستوى اللائق بإسلامنا وعصرنا لاستطعنا أن نهديهم الطريق، ولكن كيف ونحن لم نهد أنفسنا؟

لم نهد شبابنا!

أكثر شبابنا ضائع، هناك من عصمهم الله وهداهم من شباب الصّحوة الإسلاميّة، ولكن الكثيرين ضائعون مغيّبون، لم نستطع أن نهديهم من حيرتهم، فكيف نقدّم الهدى إلى غيرنا وفاقداً الشيء لا يعطيه؟!!

الحضارة تشعر بهذا المرض، بهذا القلق، بهذا الخوف في حياتها، بهذا اليأس الذي يؤدّي بكثير منهم إلى الانتحار، تخلصاً من حياة لا معنى لها، الإيمان الذي نريده هو الذي يهب الإنسان الصّحة النفسية؛ لأنّه قد اتضحت غايته، واتضحت طريقه، وعرف ماذا يريد وماذا يراد منه، وعرف لماذا يعيش، وكيف يعيش.

هذا هو شأن الإنسان المؤمن، ﴿وَمَنْ يَعْنِمْ بِاللَّهِ فَقَدِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]، ﴿وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]، ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]، هذا النور هو الذي يضيء له جوانب الطريق، ويعرف إلى أين يسير.

الإيمان يهبنا الصّحة النفسية، كثير من النّاس يعيش وقد تنازعت الغايات المختلفة، والمناهج المتعدّدة؛ فهو لا يدري أيشرق أم يغرب، أيتجه إلى اليمين أم يتّجه إلى اليسار، أيعمل ما يوافق شهوته أم ما يوافق عقله، أيطع زيّداً أم عمراً، اختلفت عليه المسالك، بل اختلفت عليه الأهداف والغايات، ضرب الله مثلاً لهذا الإنسان بالعبد الذي له عدّة أسياد، كلّ واحد يأمره بخلاف ما يأمره به الآخر، هذا يقول له: اذهب إلى الشرق، والثاني يقول له: اذهب إلى الغرب، فأيتهم يطيع؟ ومع من يكون؟

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ﴾، كلُّ واحد يريد منه خلاف ما يريد الآخر، عبد له عدّة أسياد غير متفقين على شيء ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾ عبد لسيد واحد، عرف ما يرضي سيده وما يسخطه، فالأول همه شعاع^(١)، وقلبه أوزاع، وهذا قلبه ساكن؛ لأنّه عرف كيف يرضي سيده، ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [الزمر: ٢٩].

هذا مثل المؤمن والمشرك، المؤمن له سيد واحد هو الله تعالى، عرف ماذا يرضي الله فصمّم على أن يسير فيه، لم يعد هناك شيء يمزّقه من الداخل.

لا، الأمر واضح عنده تمامًا، إذا طلب منه المال بذله، إذا طلب منه الروح قدّمها رخيصة في سبيل الله، وقال ما قال ذلك المؤمن خبيب الأنصاري رضي الله عنه :

ولستُ أبالي حين أُقتلُ مُسْلِمًا على أيّ شقٍّ كان لله مَصْرَعِي
وذلك في ذاتِ الإلهِ وإن يشأ يباركُ على أوصالِ شِلْوٍ ممزّعِ (٢)

المؤمن عرف غايته:

هذا هو الإنسان المؤمن، عرف غايته وعرف طريقه، ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا شريك له، ﴿[الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، حينما قال إبراهيم الخليل لابنه إسماعيل وقد بلغ معه السعي، وأصبح يرتجى منه النفع: ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ [الصفّات: ١٠٢]، ورؤيا الأنبياء وحي وحقّ، ماذا قال هذا الغلام اليافع؟

(١) أي: متفرّق.

(٢) رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٤٥)، عن أبي هريرة.

لم يتلکأ ولم يتردد، كان الأمر عنده في غاية الوضوح، لا يحتمل جدلاً ولا يحتمل تباطؤاً، ﴿قَالَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي ارْتَبْتُكُمْ أَن تَقُولُوا مَا نُمَرُّ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

المؤمن وضحت عنده الحقيقة، تبينت له الرؤية فهو يسير في خطٍّ مستقيم إلى غاية معروفة.

سحرة فرعون حينما آمنوا وخالطت قلوبهم بشاشة الإيمان، بعد حياة قضاها في الدجل والتضليل سحرة في ظل فرعون، حينما سطعت عليهم أنوار الحقيقة خرُّوا سُجَّدًا، ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ قال آمَنَّا له، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ لَكُمْ مِنْهُ لِكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا قَطْعَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا ضَلْبَتِكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧٠، ٧١]، ﴿أَيُّنَا﴾ أنا أم موسى وإله موسى الذي يدعوكم موسى إليه، هذا الذي آمَنتم به وسجدتم له، ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾.

ماذا قال هؤلاء النَّاسُ؟

هؤلاء الحوالة السحرة الضعفاء من البشر، الذين ليس لهم قبائل تسندهم، ولا ظهر يركنون إليه، قالوا بقوة المؤمن وإيمان القوي متحدِّين ذلك المتكبر الجبار، الذي قال للنَّاس: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، وقال في تحدٍّ: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النَّازعات: ٢٤]، هؤلاء السحرة الذين حلفوا بعزته منذ لحظات: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ [الشعراء: ٤٤]، قالوا له باستعلاء وشموخ: ﴿لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه: ٧٢]، ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾، (أعلى ما في خيلك اركبه)، ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَاتِنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧٢، ٧٣].

أي قوّة أودعها الإيمان في قلوب هؤلاء المؤمنين الجدد، إنّها قوّة لا تعدلها قوّة؛ فالإيمان يهب الإنسان الصّحة النّفسيّة، ويهبه - أيضًا - القوّة النّفسيّة والقوّة الخُلقيّة، إنّهُ يجعل من الضعف قوّة، ويجعل من القزم عملاقًا، ينشئ الإنسان خلقًا جديدًا، بما يمنحه من أهداف جديدة، من حوافز جديدة تحرّكه وتقوده.

هذا هو الإيمان.

الإيمان ليس قيمة روحية فقط، هو قيمة نفسية، قيمة نفسية يهب الإنسان الصّحة النّفسيّة، والقوّة النّفسيّة، يجعل منه المؤمن القوي الذي لا يخاف ولا يوجل ولا ييأس ولا يقنط ولا يتردّد.

المؤمن القوي هو الذي صنعه النبي ﷺ، أول ما فعله أنّه ظلّ ثلاثة عشر عامًا في مكّة يبني هذا الإنسان، يبني النواة، يبني الجماعة المؤمنة الأولى التي عليها يتوقّف قيادة المسيرة فيما بعد، المؤمنون الصادقون.

نحن بحاجة أن يكون أول شيء ندعو إليه أمّتنا إعادة بناء الإنسان على الإيمان، إنسان سورة العصر: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]، الإيمان ليس قيمة روحية فقط، هو قيمة روحية وقيمة اقتصاديّة، وقيمة اجتماعيّة، وقيمة سياسيّة - ولعلنا نعود للحديث عن معنى هذه القيم التي تأتي من وراء الإيمان - إذا صدقنا الإيمان حقًا، وكنا مؤمنين بالإيمان الذي جاء به القرآن، والذي جاءت به السّنة، والذي كتب الله لأهله الفلاح: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١].

أقول قولي هذا - أيّها الإخوة - وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنّهُ هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

ظاهرة اعتادها المسلمون:

أحبُّ أن أنبّه على ظاهرة اعتادها المسلمون في كثير من المساجد، ظاهرة سيئة، هي: تأخر النَّاس عن الحضور إلى المسجد يوم الجمعة، وبعض النَّاس لا يحضر إلّا بعد أن يصعد الخطيب المنبر، وبعض النَّاس لا يحضر إلّا في منتصف الخطبة، وبعض النَّاس يحضر في الخطبة الثانية، مع أنّ النبي ﷺ رَغِب في الحضور إلى الجمعة خاصّة، ورَغِب في الحضور إلى المساجد عامّة، قال: «من تطهّر في بيته، ثمّ مشى إلى بيتٍ من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله، كانت خطواته إحداهما تحطُّ خطيئة، والأخرى ترفع درجة»^(١).

وفي يوم الجمعة قال النبي ﷺ: «من اغتسل يوم الجمعة غُسل الجنابة ثمّ راح، فكأنّما قرّب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية، فكأنّما قرّب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة، فكأنّما قرّب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة، فكأنّما قرّب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة، فكأنّما قرّب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذّكر»^(٢).

النبي ﷺ يبين أنّ الذي يبكر إلى صلاة الجمعة في الساعة الأولى كان كمن قدّم لله بدنة، ناقة سمينة كبيرة جدّاً، قرّبها إلى الله ﷻ، ومن

(١) رواه مسلم في المساجد (٦٦٦)، وأحمد (٧٤٣٠)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٨٨١)، ومسلم (٨٥٠)، كلاهما في الجمعة، عن أبي هريرة.

ذهب في الساعة الثانية كان كمن قَدَّم بقرة، ثمَّ كمن قَدَّم شاة، ثمَّ كمن قَدَّم دجاجة، ثمَّ كمن قَدَّم بيضة، فإذا صعد الخطيب إلى المنبر طويت الصحف، فلم ينل من أجر التبكير إلى المسجد أي شيء.

وليس المقصود بالساعة في الحديث الساعة الفلكية ستين دقيقة.

لا، الساعة الأولى أي: في الفوج الأول، في الدفعة الأولى، فأول فوج أو دفعة تدخل المسجد فلها أجر من قَرَّب لله بدنة، إلى البقرة إلى البيضة، هناك أناس لا يحصلون على دجاجة ولا على بيضة من الأجر، لم هذا؟ ما الذي يجعل المسلم يتغافل ويتباطأ ولا يحضر إلى المسجد إلا متأخراً؟ هل هناك عمل يشغله؟

المسلمون يعملون حتى في يوم الجمعة:

الله تعالى يقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩]، من رحمة الله بنا - نحن المسلمين - أنه لم يحرم علينا العمل في يوم الجمعة كما حرم العمل على اليهود في يوم السبت؛ فاليهود في يوم السبت لا يعملون إطلاقاً أي عمل من أعمال الدنيا، ولكن الله لم يمنعنا من عمل الدنيا، يمكن أن تعمل، ولكن إذا نادى المنادي تكون في المسجد.

ومن فضل الله أن المؤسسات الرسمية والشركات وهذه الأشياء كلها تعطي إجازة يوم الجمعة، فماذا وراء الناس إلا الكسل عن الخيرات، الله تعالى يقول: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]،

﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿ [الحديد: ٢١].

نحن لا نسابق ولا نسارع ونتكاسل حتّى يفوتنا الأجر، ولا نحظى بدجاجة ولا بيضة، ويمكن أن نحظى ببدنة أو بقرة، أليس هذا من قلّة الوعي؟!

الإنسان لو وجد سلعة فيها تنزيلات يسارع النَّاس في شرائها، وهناك سلعة الله، «ألا إِنَّ سَلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سَلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ»^(١)، كما قال رسول الله ﷺ، فلماذا لا نسارع لناخذ حَظَّنَا من هذه السلعة؟

يا أيُّها الإخوة، هذه عادة سيّئة، ينبغي للمسلم أن يحرص على التبكير، التبكير في كلِّ شيء حسن، وإلى المسجد أحسن، وفي يوم الجمعة أحسن وأحسن، وأنت في صلاةٍ ما دمت تنتظر الصلاة، من حين تدخل إلى المسجد حتّى ولو جلست صامتًا فأنت في عبادة، فلماذا تحرم نفسك من هذا؟

ساعة في الأسبوع تأتيها تخلو إلى ربك وإلى نفسك، وتتقرّب فيها وبها إلى الله تبارك وتعالى.

نسأل الله تعالى أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا.

اللهمّ ألهمنا رشدنا، وآت نفوسنا تقواها، وزكّها أنت خير من زكّاها، أنت وليها ومولاها.

اللهمّ إنّنا نسألك العافية في الدُّنيا والآخرة، اللهمّ إنّنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا وأهلينا وأموالنا.

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤٥٠)، وقال: حسن غريب. والحاكم في الرقائق (٣٠٧/٤)، وصحّحه، ووافقه الذهبي، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٢٣٣٥)، عن أبي هريرة.

اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا، اللهم احفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



التخلف الذي يعاني منه المسلمون

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

الإسلام هو المحرِّك الأوَّل لهذه الأمة:

في الجمعة الماضية تحدّثنا عن التخلف الذي نعانيه - نحن العرب والمسلمين، وما زلنا في دائرة هذا التخلف نحاول أن نخرج منه، وأن نمو وأن نرقى، وأن نلحق بغيرنا، فما زلنا نعثر وننهض، ونعثر أكثر مما ننهض، سبقنا الآخرون سبقًا بعيدًا، أصبح بيننا وبينهم مسافات ومسافات، وما زلنا نحاول أن نعوض ما فاتنا، كيف نعوض ما فاتنا؟

لا بدّ من محرّكات، لا بدّ من حوافز، لا بدّ من بواعث، في مقدّماتها الإيمان، وفي طليعتها الدين، فنحن أمة لا يحركها شيء كما يحركها الدين.

ولكن - للأسف - وجدنا من الناس من يقول عكس ذلك، حينما كنتُ في إندونيسيا منذ أسابيع قدّم إلينا بعض الإخوة بعد محاضرة من المحاضرات سوءًا يقول: العلمانيون في ديارنا يقولون: لا يمكن أن ننهض إلا أن نصنع كما صنعت أوروبا، وأوربا لم تنهض إلا بعد أن

طرحت الدين جانبًا، بعد أن تحرّرت من سلطة الدين، فلا بدّ أن نترك الدين كما تركوه، ونعرض عنه كما فعلوا، لذلك ننهض كما نهضوا، ونتقدّم كما تقدّموا.

وهذا الذي سمعته في إندونيسيا، أسمعُه - أيضًا - في بعض بلادنا العربيّة والإسلاميّة، يريدون أن يُجروا علينا ما جرى على القوم في الغرب، ونحن لسنا كالعربيين والأوروبيين، تاريخنا غير تاريخهم، وعقيدتنا غير عقيدتهم، وقيمتنا غير قيمهم، الإسلام ليس كالمسيحيّة، والمسجد ليس كالكنيسة، وعلماء الدين عندنا ليسوا كرجال الكهنوت هناك، الموقف مختلف.

ليس الإسلام كالمسيحيّة:

إنّ المسيحيّة وخاصّة مسيحيّة الغرب، مسيحيّة الكنيسة الكاثوليكية الغربيّة، وقفت مع الجهل ضدّ العلم، ووقفت مع الاستبداد ضدّ الحرّيّة، ووقفت مع الحكّام الطغاة ضدّ الشعوب، ووقفت مع الجمود ضدّ التحرُّر، فلهذا ثار النَّاس عليها، وقفت الكنيسة في طريق العلم والفكر، فكان لا بدّ للعلم والفكر أن يواجهها.

أمّا نحن فالأمر مختلف عندنا تمام الاختلاف، في الوقت الذي أنكرت فيه أوروبا نظريّة أنّ الأرض كروية، كان هذا يُدرس في كتبنا الدّينيّة ويسجّل فيها، نقرؤه في التفسير، مثل «تفسير الإمام فخر الدين الرازي»، وفي كتب التوحيد وعلم الكلام، ككتاب «المواقف» للإيجي، وشرحه للجرجاني، وكتب الفرق والملل والنحل، كما رأينا ذلك في كتاب ابن حزم «الفصل في الملل والنحل»، الذي أقام الأدلّة على كروية الأرض دليلاً بعد دليل.

كنا نحن هكذا، وكان القوم في جهالة، لا يكادون يرون ضوء العلم إلا من سَمَّ الخياط، كانوا يعتبرون النظريات القديمة التي توارثوها عن اليونان نظريات مقدّسة، تبنتها الكنيسة، وأضفت عليها صورة من العصمة، وجعلت كلَّ من يخالفها زنديقًا أو ملحدًا يجب أن يحاكم ويُحكم عليه بالموت، وقامت محاكم التفتيش التي عُرفت في التاريخ، والتي فعلت الأفاعيل بالعلماء والمفكرين والمخترعين، حتى حاكمت جثثهم بعد موتهم، وحكمت عليها بالإحراق.

هكذا كان ما عند القوم، فهل كان عندنا شيء من هذا؟

الإسلام دين العلم:

نحن عندنا الدين علم والعلم دين، الدين علم، ديننا علم؛ لأن ديننا يقوم على البرهان، ويقوم على النّظر، ويقوم على التفكير، لا يوجد كتاب مثل القرآن يقول: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا﴾ [يونس: ١٠١]، ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا﴾ [ق: ٦]، ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ﴾ [الغاشية: ١٧]، ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]، ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨]، ﴿لِقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ﴾ [يونس: ٢٤] والقرآن كثيرًا ما يتحدث عن الفكر والنّظر والتدبّر والعلم والبرهان والحجّة والنّهي والألباب.

الدين عندنا علم، والمحققون من علمائنا يقولون: إيمان المقلد لا يُقبل. قال الإمام ابن الجوزي: «إنَّ المقلد على غير ثقة فيما قلّد فيه، وفي التقليد إبطال منفعة العقل، وقبيح بمن أُعطي شمعة أن يطفئها ويمشي في الظلمة»^(١)! لا بدّ أن يكون إيمانه قائمًا على شيء من الدليل والبرهان، ولو كان دليلًا مجملًا، بحيث إذا سألته: لماذا آمنت بالله؟

(١) انظر: تلبيس إبليس ص ٧٤، نشر دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

يقول: ومن الذي خلق هذا الكون إذن؟

إذا سألته: لماذا آمنت بمحمّد؟

يقول: فمن الذي جاء بالقرآن إذن.

لا بدّ من دليل، هذا في الوقت الذي تقول فيه المسيحيّة: اعتقد وأنت أعمى.. أغمض عينك ثمّ اتّبعتني.

الدين عندنا علم؛ لأنّه يقوم على البرهان، ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

والعلم عندنا دين، طلب العلم فريضة دينية عندنا، وهو عبادة يتقرّب بها المسلم إلى ربّه، سواء أكان ذلك في علم الدين أم في علم الدُّنيا، ما دام الإنسان محتاجًا إليه، فردًا كان أو جماعة، بل إذا احتاجت إليه الجماعة أصبح فرضًا من فروض الكفاية، فرضًا تتكافل الأمة في وجوب تحقيقه وإتمامه، سواء أكان ذلك من علوم الدين أم من علوم الدنيا.

العلم عندنا - نحن المسلمين - دين، نتدين لله به ونتعبّد به له، هذه هي فلسفتنا نحن المسلمين.

فكيف يقال: إنّ على المسلمين أن يتركوا دينهم ويتبعوا الغرب؟!!

من حقّ الغرب أن يتحرّر من دينه إذا كان دينه ضدّ العلم، ولكن إذا كان ديننا علمًا ونظرًا وفكرًا فكيف يمكن أن نتحرّر من ديننا؟!!

والنّاظر في تاريخنا يرى أنّ المسلمين لما فهموا هذا الدين فهمًا حقيقيًا، وطبّقوه تطبيقًا عمليًا، لمّا أحسنوا فهمه وأحسنوا تطبيقه كانوا في القمّة دائميًا، وكانوا في الطليعة أبدًا.

هذا هو تاريخ المدّ والجزر، من ينظر إلى المدّ والجزر، إلى الامتداد والانكماش، إلى القوّة والضعف، إلى النّصر والهزيمة، يعرف أنّ القوّة والنّصر والامتداد والازدهار والتقدّم كلّها منوطة بحسن فهم الإسلام وحسن تطبيقه، فإذا ما تخلّفنا أو ضعفنا أو انكمشنا أو انهزمنا فهذا يكون دائماً وأبداً نتيجة البعد عن الإسلام، أن نكون قد أسأنا الفهم أو أسأنا التطبيق. هذه حقيقة تاريخية ينطق بها التاريخ، ولا مرية فيها.

المسلمون هم معلمو العالم:

نحن إذا استقرأنا التاريخ ماذا يقول لنا التاريخ؟

يقول: كنّا في وقت من الأوقات سادة الدُّنيا وقادة الحضارة، كنّا متربّعين على القمّة، كنّا في الأوج، كان العالم يتلمذ علينا، كانت جامعاتنا موئل الطلاب من أوروبا وغيرها، يفدون إلينا من كلّ حدب وصوب، يتعلّمون في جامعات الأندلس وغيرها.

كانت أسماء علمائنا الأطباء والفلكيين والكيميائيين والفيزيائيين، ك: ابن رشد وابن سينا وابن الهيثم وابن النفيس والرازي وغيرهم؛ هي اللامعة في العالم.

وكانت كتب العلم أو المراجع العالميّة مراجع إسلاميّة، إذا نظرت إلى علم كعلم الطب تجد أعظم الكتب العالميّة فيه كتباً مثل: «القانون» لابن سينا، «الكليات» لابن رشد، «الحاوي» للرازي، «التصريف لمن عجز عن التّأليف» لأبي قاسم الزهراوي، «التيسير» لابن زهر.. وهكذا.

هذه كتب كانت معروفة في العالم.

وكانت اللغة العلميّة في العالم هي اللغة العربيّة، منها تنقل كتب

العلم وترجم إلى اللاتينية وغيرها، هذه اللغة التي نعجز أن ندرس بها الآن الطب والهندسة والعلوم، وما زال بعض الناس يمارون في إمكانية تدريس الطب باللغة العربيّة، وقامت معركة قريبة في الصحف القاهرية وهنا في قطر حول إمكان تدريس الطب باللغة العربيّة.

المسلمون منذ عشرة قرون أو أكثر كتبوا باللغة العربيّة المراجع العلميّة، ونحن الآن حوالي مائتي مليون من العرب نعجز أن نكتب في الطب أو نؤلف في الطب وغيره من العلوم باللغة العربيّة، وإسرائيل تدرس وتؤلف وتبحث باللغة العبرية، ورومانيا يدرسون باللغة الرومانية، في كثير من البلاد يدرسون بلغاتهم.

كنا في وقت من الأوقات سادة الدُّنيا، لم يكن الإسلام إذن هو السبب في تخلفنا، بل بالعكس تخلفنا سببه البعد عن الإسلام، فيوم كنا مسلمين قدنا الحضارة بزمام، ولكننا - أيها الإخوة - لا نريد أن يكون موقفنا مجرد التغمي بما كنا عليه في الماضي.

هذا موقف سلبي غير منتج، موقف عقيم أن يكون همُّنا أن نتحدّث عن حضارة آبائنا مَبَاهِين مُتَفَاخِرِينَ.

ولا أن يكون موقفنا كذلك البكاء على الأطلال والنواح على ما مضى، لقد مضى ما مضى، نحن أبناء اليوم، ماذا نحن فاعلون؟

كما قيل:

كُنْ ابْنَ مَنْ شِئْتَ وَاکْتَسِبْ أَدَبًا يَغْنِيكَ مَحْمُودُهُ عَنِ النَّسَبِ
إِنَّ الْفَتَى مَنْ يَقُولُ: هَآنَذَا لَيْسَ الْفَتَى مَنْ يَقُولُ: كَانَ أَبِي^(١)

(١) ينسب للإمام عليّ عليه السلام. انظر: مجاني الأدب في حقائق العرب (٢١/١)، وديوان الإمام علي بن أبي طالب ص ٣٧.

نعم كان آباؤنا وكانوا وكانوا، ولكن ماذا فعلنا نحن الآن، ماذا صنعنا؟

ولقد قال الشاعر:

لئن افتخرتَ بآباءٍ ذوي حَسَبٍ لقد صدقتَ ولكنْ بُسِّ ما وُلدوا^(١)

حالتنا اليوم:

لقد جاء بعض الإخوة يناقشني بعد الخطبة الماضية يقول: لقد ألغيتَ دورنا في الحضارة، ونحن شركاء في صنع الحضارة.

قلتُ: ما دورنا في صنع الحضارة؟

أنا لم أر أننا اشتركنا في شيء ذي بال، القوم يتقدمون ونحن لا نزال في تأخر، يصنعون ونحن لا نزال نستورد، ينتجون ونحن لا نزال نستهلك، أين دورنا؟

إن كان دورنا ما صنعناه قديماً فهذا حقٌّ، ولكن ماذا يغنيننا هذا اليوم، ما دورنا؟

قلتُ للأخ: ما دورنا في (السيارة المرسيدس ٥٠٠) التي تصنعها مصانع ألمانيا؟

قال: دورنا أننا دفعنا ثمنها.

قلتُ: إذا كان دورنا أن نشترى مصنوعات الحضارة فهذا صحيح، فنحن مشترون مستهلكون، من أحسن المستهلكين؛ لأننا نشترى ونشترى، نشترى أحدث الموديلات.

(١) ديوان بن الرومي (٥٢٥/١)، شرح أحمد حسن بسج، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣،

إن كان هذا دورنا في الحضارة فهو صحيح، ولكن هل هذه هي الحضارة؟ هل الحضارة أن تشتري أدواتها وأنت لا تصنع منها شيئاً؟ ليس هذا من الحضارة في شيء، الحضارة أن تصنع، أن تعمر الأرض كما أمر الله تبارك وتعالى.

من مقاصد الإسلام عمارة الأرض:

بعض الناس قال لي: وما الحضارة؟ وهل الإسلام دين حضارة؟ الإسلام دين عبادة.

قلتُ له: لقد أخطأت؛ لقد ذكر علماؤنا أن مهمّة الإنسان في هذه الأرض - كما ذكر ذلك القرآن، وأشار إليه في آيات كثيرة - تتجلى في مقاصد أساسية ثلاثة:

المقصد الأول: هو عبادة الله تبارك وتعالى، وإليه الإشارة بقوله **وَعِبَادُ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾** [الذاريات: ٥٦].

هذا هو المقصد الأول.

والمقصد الثاني: هو الخلافة، الخلافة عن الله تبارك وتعالى، وإليه الإشارة بقوله تعالى: **﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾** [البقرة: ٣٠]، **﴿وَيَسْتَخْلِفْكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾** [الأعراف: ١٢٩].

والمقصد الثالث: العمارة، وإليه الإشارة بقوله تعالى: **﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنْ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾** [هود: ٦١]، **﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ﴾**، أي: طلب منكم أن تعمروها، فهذا مقصد من المقاصد الأساسية لخلق الإنسان، أن يعمر الأرض؛ فالعمارة هي الحضارة، وهي تدخل في العبادة في النهاية؛

لأنَّ الإنسان إذا عمر الأرض كما أمر الله، وكانت نيته أن يحقق مقاصد الله في خلقه، وأن يخدم النَّاس وييسر لهم أسباب الحياة كان هذا عبادة؛ فالعبادة ليست مقصورة على الشعائر العبادية فقط، بل يمكن أن تشمل كلَّ ما في الحياة إذا صحَّت النية وخلصت الطوية والتزمت حدود الله **وَعَبَّكَ**.

اخدم دينك في مجال تخصصك:

نحن - للأسف - ما زال فينا من يقول هذا الكلام، منذ سنوات أرسل لي طالب في القاهرة عيَّن معيدًا في إحدى الكليات العلميَّة العمليَّة لتفوقه، وكان نابغًا، أرسل إليَّ يريد أن يترك هذه الكلية ويذهب ليدرس في كلية الشريعة.

فقلت: سبحان الله، لماذا يترك الطالب المتفوق مجال تفوقه وميدان تخصصه ليدرس الشريعة؟

كلُّ ميسَّر لما خُلق له، يستطيع الإنسان المسلم أن يخدم دينه في مجال تخصصه.

لقد عاب الإمام الغزالي على فقهاء زمنه أنَّ البلدة الواحدة فيها خمسون فقيهاً، وليس فيها إلا طبيب من أهل الذمَّة، هو الذي يعالج المسلمين والمسلمات، ويطلع على العورات، ويترتب على قوله أحكام شرعية في الصيام والإفطار والصَّلَاة وغير ذلك، عاب عليهم ذلك^(١).

المفروض أن يتوزع المسلمون بين الاختصاصات، ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَنْفَقَهُوا فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢]،

(١) راجع: إحياء علوم الدين (٢١/١).

طائفة فقط، ليس مطلوبًا من الأمة كلها أن تتفقه في الدين، ولا مطلوبًا من الأمة أن تنفر كلها للجهاد في سبيل الله، وتترك الميادين الأخرى خالية، لا بدّ للأمة أن تنظّم نفسها بحيث تلبّي كلّ الحاجات، وتسدّ كلّ الثُّغرات.

هذا هو الذي ينبغي للأمة المسلمة أن تفعله.

المسلمون أسأؤوا فهم دينهم، وأسأؤوا فهم الواقع من حولهم، وأسأؤوا فهم سنن الله تعالى الذي أقام عليها هذا الكون، وقد أقام هذا الكون على شبكة من الأسباب والمسببات، والمقدّمات والنتائج، فمن جدّ وجد، ومن زرع حصد، والجزاء من جنس العمل، ولا يضيع الله أجر من أحسن العمل.

أساء المسلمون فهم دينهم وفهم واقعهم وواقع غيرهم.

الحضارة الغربيّة بين المُفَرِّطين والمُفَرِّطين:

نرى المسلمين يسبّون الحضارة الغربيّة، كأنّ الحضارة الغربيّة ليس فيها خير قط، وهذه هي آفتنا في كثير من القضايا، أنّ الحقيقة عندنا تضيع بين المُفَرِّطين والمُفَرِّطين، فهناك قوم يسيرون وراء هذه الحضارة فاقدين لهويتهم، فاقدين لشخصيّتهم، ناسين انتماءهم، بحيث يكونون كما قال النبي ﷺ: «لتبعنّ سنن من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتّى لو سلكوا جحر ضبّ لسلكتموه». قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن»^(١).

(١) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٥٦)، ومسلم في العلم (٢٦٦٩)، عن أبي سعيد الخدري.

«شبرًا بشبرٍ وذراعًا بذراعٍ»، هذا هو فقدان الهوية، فنجد من المسلمين والمسلمات من يسيرون وراء بدع الغرب الفكرية والعملية، وراء القيم، وراء التقاليد، وراء القوانين، وراء الأنظمة، كلُّ ما يصدر من هناك فهو حسن جميل، ما قالوه فهو حقٌّ، وما اعتقدوه فهو صدق، وما فعلوه فهو خير، أولئك قوم من بني جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، وقد سلخوا أنفسهم من قومهم ومن أمتهم، وساروا وراء الغرب شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حذو القُذَّة بالقُذَّة، أو النعل بالنعل.

إذا كان هناك أناس بهذه الصفة، فهناك أناس آخرون بالغوا في ذم حضارة الغرب، كأن هذه الحضارة ليس فيها خير قط، وهذا ليس من الإنصاف، إنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]، إن حضارة الغرب في الجانب المادي، في الجانب التكنولوجي، قد بلغت القمة، قد يسَّرت للناس سبل الحياة.

هذه المظاهر التي نعيش في ظلها، هذه الكهرباء، هذا التكييف، هذه المكبَّرات، هذه الكاميرات التي تصوِّر هنا وتنقل للناس ما نقوله إلى الخارج.

هذه كلُّها من ثمرات الحضارة الغربيَّة.

الإنسان استطاع بواسطة ما أثمرته الحضارة الغربيَّة أن يصل من مكان إلى مكان، كان يركب إليه الشهور تلو الشهور ناقتة أو بغلته أو يركب رجليه، أصبح يصل إليه في ساعة أو ساعات، في كم كان النَّاس يصلون إلى مكَّة للحجِّ أو للعمرة؟ وكم كانوا يبذلون من الأوقات والجهود والعرق والدم حتَّى يصلوا إلى تلك الديار؟ وكم كانوا ينفقون من المال؟

صدق الله العظيم: ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٨]، وقد خلق الله من الوسائل وأدوات النقل ما لم يكن يعلمه الإنسان، ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ٥].

هذه الثورة في أدوات النقل كم أدت للإنسانية من خدمات! كل هذا من ثمار الحضارة الغربية.

نأخذ من الحضارة الغربية ما ينفعنا:

نحن الآن نستفيد من ثمار هذه الحضارة الغربية، وعلينا أن نقتبس منها ما ينفعنا، وأن نأخذ منها كل ما تتقدم به أممتنا في المجال المدني والمجال العسكري، الله تعالى يقول: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ، عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ولا نستطيع أن نعد ذلك إلا إذا استفدنا من الحضارة الغربية، ولكن الاستفادة من الحضارة الغربية ليست أن نشترى منهم السلاح، بل أن نصنع السلاح كما صنعوه، أن نتعلم منهم كيف يُصنع السلاح، فهم قد أخذوا منّا الحضارة من قبل، أخذوا المنهج العلمي التجريبي من حضارتنا الإسلامية، شهد بذلك شهود من أهلهم من مؤرخي العلم، «فرنسيس بيكون» و«روجر بيكون» وهؤلاء الذين يُنسب إليهم أنهم هم الذين وضعوا أسس العلم التجريبي، لقد استفادوا ذلك من المسلمين، تعلموا اللغة العربية ونقلوا إلى قومهم هذا المنهج.

المنهج إذن منهجنا، ونحن إذا تعلمناه فهي بضاعتنا رُدت إلينا، علينا أن نستفيد من القوم.

هناك من يستفيد من أبنائنا ويتعلمون وينبغون، ولكنهم - للأسف - لا يعودون إلى أوطانهم، وقد يعودون فترة من الزمن فلا يجدون المكان

مناسباً لهم، يؤخرون ويُقدّم غيرهم من المحسوبين والمنافقين، فلا يجدون وسيلة إلا أن يعودوا لتلك الديار، عشرات الآلاف من العقول المهاجرة، نوابغ العقول العربيّة والإسلاميّة تعمل هناك، في الغرب، في الولايات المتّحدة وكندا وبريطانيا وغيرها، كانت أولى بهم بلادهم.

نحن - للأسف - ما زلنا كما نحن، محلك سرّ - كما يقولون - نحن في حاجة إلى أن نفهم ديننا، ونفهم الواقع من حولنا، ونربي أبناءنا على هذه المعاني ليتقرّبوا إلى الله تعالى بأن يكونوا علماء وباحثين ومبتكرين، ليس التقرب إلى الله بمجرد الصلّاة والصيام والتهليل والتسبيح والتكبير، هذه عبادات لا شكّ فيها، ولكن هناك عبادات أخرى نهملها ولا نقوم بشأنها، من ذلك أن نتقدّم كما تقدّم غيرنا، كيف نكون خير أمةً ونحن عالة على غيرنا، حتّى فيما نأكل، وحتّى فيما نلبس، وحتّى فيما ندافع به عن أنفسنا. لا يمكن أن تكون أمةً مستقلّة ذات سيادة إذا كان اعتمادها على غيرها في تسليحها، نحن المسلمين قادرون على أن نفعل الكثير إذا صممنا وعزمنا واتحدت وجهتنا وتوكلنا على الله، المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، وكما ينطبق هذا على الأفراد ينطبق على الدول، نحن إذا تجمّعنا نستطيع أن نفعل الكثير.

الأمة الإسلاميّة لديها طاقات هائلة:

الأمة الإسلاميّة عندها مقوّمات السيادة والقيادة والريادة، عندها القوّة البشريّة، أكثر من ألف مليون، والقوّة البشريّة ليست شيئاً هيّناً.

للأسف - نحن المسلمين - لا نكاد نهتم بهذا الأمر، ونعتبر الزيادة البشريّة مصيبة، وكلُّ همّنا هو الدعوة إلى تحديد النسل، أو تنظيم النسل،

أو تنظيم الأسرة - يسمونه ما يسمونه - الصين لم تعتبر ذلك مشكلة، أكثر من ألف مليون يعملون ويغزون العالم بمنتجاتهم، عندنا قدرة بشرية، طاقات هائلة، أكثر من ألف مليون.

الشاعر العربي قديماً يقول:

ولستُ بالأكثر منهم حصي وإنما العزة للكثير^(١)

أي: لمن كثر عدده، والله تعالى يقول: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦]، ذكر ذلك في معرض الإنعام والامتنان.

الكثرة إذن نعمة إذا أحسننا الاستفادة منها، ووضعنا كل إنسان في موضعه المناسب ليعمل، بدل أن يعيش عالة يأكل ولا يقدم مقابل ما يأكله، يغلي على الناس الأسعار فيما يستهلك ولكنه لا يقدم شيئاً، فهو يستهلك ولا ينتج، ويأخذ من الحياة ولا يعطي، وما هذا شأن الإنسان المسلم.

الأمّة الإسلاميّة عندها الطاقة البشريّة، وعندها الطاقة الماديّة، القدرة الاقتصاديّة، نحن المسلمون نعيش في أعظم المواقع بين القارات، في ملتقى القارات، وملتقى الحضارات، ومهبط الديانات والرسالات، نحن نعيش في سُرّة الدُّنيا، في سُرّة العالم، هذه بلادنا، الحضارات القديمة كلّها نبتت من أرضنا، فنحن نعيش في أعظم المواقع من حيث العمق الجغرافي والعمق التاريخي والحضاري.

عندنا بلاد زراعية هي من أخصب بلاد الله، فهل نستغلُّها ونستفيد منها؟

عندنا ثروات معدنية هل نستفيد منها؟

(١) من شعر الأعشى، انظر: صبح الأعشى (٤٤٤/١).

إنَّ المعادن تؤخذ مِنَّا بأرخص الأسعار، كما يفعلون في البترول الآن، يتفقون علينا ليشتروه بأرخص الأسعار، ثمَّ يصنِّع ويعود إلينا لنشتره مرّة أخرى بأعلى الأسعار.

عندنا ثروات، بعضها في ظاهر الأرض منشور، وبعضها في باطنها مطمور، ينبغي أن نستفيد من هذه الثروات ومن هذا الموقع.

وعندنا بعد ذلك الطاقة الروحيّة، نحن وحدثنا الذين نملك أعظم رسالة في الوجود، نملك رسالة الإسلام، نملك رسالة محمّد ﷺ، نملك الرسالة العامّة الخالدة، الرسالة التي امتدت طولاً حتّى شملت آباد الزمن، وامتدت عرضاً حتّى انتظمت آفاق الأمم، وامتدت عمقاً حتّى استوعبت شؤون الدُّنيا والآخرة، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، فهي تبيان لكلِّ شيء من ربِّ كلِّ شيء.

كان الخليفة الأوّل الصديق أبو بكر رضي الله عنه يقول: لو ضاع مني عقل بعير لوجدته في كتاب الله^(١).

أي: يجد أصوله الهادية في نصوص القرآن الكريم.

نحن عندنا رسالة الشمول والتوازن، رسالة الوسطيّة التي لم تُقم بين الدين والعلم صراعاً، ولا بين العقل والقلب نزاعاً، ولا بين السماء والأرض معركة، وصلت السماء بالأرض، وربطت الدُّنيا بالآخرة، ووفّقت بين العقل والقلب، ووازنت بين الحقوق والواجبات، بين حرّية الفرد ومصالحة المجتمع.

(١) سبق تخريجه ص ١١.

نحن وحدنا الَّذِينَ نملك هذه الرسالة، لا تملكها أمة أخرى، نملك الكتاب المحفوظ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، نملك وحدنا الوثيقة السماوية التي تحمل كلمات الله الهادية والأخيرة للبشرية. حَرَّفَ اليهود وبدَّلُوا، وحَرَّفَ النَّصَارَى وَغَيَّرُوا، ولم يبق كتاب يحمل كلمات الله إِلَّا القرآن الكريم، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

لن يصلح آخر هذه الأمة إِلَّا بما صلح به أولها:

عندنا - نحن المسلمين - مؤهلات القيادة والسيادة، مؤهلات النهوض والتقدم، ولكننا لا نحسن الاستفادة منها، فهل آن لنا أن نتواصى - نحن المسلمين - بالرجوع إلى الإسلام؟

الإسلام كما شرعه الله وكما دعا إليه محمد ﷺ، وكما طبَّقه خير قرون هذه الأمة.

الإسلام الصحيح، ليس إسلام الخرافة، وليس إسلام الشعوذة، ليس إسلام الخمول والكسل، إنما هو الإسلام الذي يُنهِض الإنسان وَيُنْهَضُ به، الإسلام الذي يعمر الأرض ويحيي الحياة.

هذا هو الإسلام الذي نريده.

ينبغي أن يتعاون على ذلك العلماء والمفكرون والمربون والمدرسة والبيت والجامعة والجامع، كلُّ هؤلاء وغيرهم، عليهم أن يتعاونوا على تنشئة جيل مؤمن قادر على أن يعود بهذه الأمة إلى ما كانت عليه، حتى تكون أهلاً لوراثة هذه الأرض، كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، والصالِحون هنا ليسوا مجرد المصلين والصائمين، إنما الصَّلاح يشمل



صلاح القلب، وصلاح العقل، وصلاح الدين، وصلاح الدنيا، فهؤلاء هم الصالحون حقًا، وهم الجديرون بالوراثة كما كتب الله وَعَجَّلْ .

اللهم فقهنا في ديننا، وعلمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا، وأنر قلوبنا بنور الإيمان، ونور القرآن.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

وحدة المسلمين^(١)

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

المسلم شامة بين الناس:

الإسلام يربّي الفرد المسلم والأسرة المسلمة والجماعة المسلمة والأمة المسلمة ليكونوا نماذج في العلم والعمل والإيمان والأخلاق والأسوة الحسنة، يربّهم تربية متكاملة تتكامل فيها الربّانية والإنسانية، وتجتمع فيها الدُّنيا والآخرة، والسماء والأرض والواقعية والمثالية.

يريد الإسلام من كلّ مسلم أن يكون شخصيّة مؤمنة في نفسه يعرف الله، ويعرف الآخرة، ويؤمن بالله وملائكته ورسله وباليوم الآخر، وقيم أركان الإسلام، ويشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمّداً رسول الله، وقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويصوم رمضان، ويحجُّ البيت إن استطاع إليه سبيلاً، وقيم الأخلاق الإسلاميّة، يزكّي نفسه ويربّيها حتّى يكون إنساناً أسوة للعالمين وللناس جميعاً، بما عنده من قيم، وما عنده من مثل،

(١) ألقيت بتاريخ ٢ أغسطس ٢٠١٣م.

وما عنده من أخلاق يتعلّم منها النَّاسُ، وقدوته في ذلك محمّد ﷺ :
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ
كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

كلُّ مسلم يسعى إلى تكوين نفسه هذا التكوين الجامع المتكامل،
من عقائد وعبادات، وأخلاق وقيم، وأعمال تشمل الحياة كلّها، هذا
ما يسعى كلُّ مسلم أن يربي نفسه عليه.

ثمّ كلُّ مسلم مطلوب منه أن يربّي نفسه ليكون عضوًا في الأمة
المسلمة، لا أن يعيش إنسانًا صالحًا في نفسه وليس له علاقة بغيره،
يصوم ويصلي ويحجّ ويعتمر ولا علاقة له بالنّاس! إذا فسد المجتمع
ليست له علاقة به، وإذا صلح المجتمع ليست له علاقة به.

ليس هذا من الإسلام في شيء.

تواصوا بالحقّ وتواصوا بالصبر:

المسلم يربيه الإسلام على أنّه عضو في الجماعة، وأنّه عضو حيّ في
كيان حي، هذا شأن الإنسان المسلم، ولذلك يُربّي على أن له وظيفة
اجتماعيّة إصلاحية، وعبادات الإسلام ترسخ في المسلم تلك المعاني.

الصلاة تُعلّم الإنسان أن يصلي جماعة ليرتبط بإخوانه في المسجد
وفي الحي، ليسأل عنهم إذا غابوا، ويتعرّف إلى أخبارهم إذا حضروا،
ويعودهم إذا مرضوا، هذا هو شأن الإنسان المسلم.

هو عضو في هذه الجماعة، حتّى إنّ المسلم لا يمكن أن ينجو من
الإثم في الآخرة إلا إذا كان متواصيًا بالحقّ ومتواصيًا بالصبر، ألم نقرأ
في السورة القصيرة التي يحفظها أبناء المسلمين الصغار؛ سورة العصر:

﴿وَالْعَصْرِ ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [سورة العصر: ١-٤]

أن يكون مؤمناً وأن يعمل صالحات، الصالحات هي كلُّ ما تصلح به الحياة، ما تصلح بها الدنيا والآخرة، ما يصلح بها الفرد ويصلح به الجماعة، ويصلح به الأمة؛ من العبادات والمعاملات، وكلُّ ما يحتاج الناس إليه.

ولا يكفيه هذا، بل لا بدَّ أن يتواصى بالحقِّ ويتواصى بالصبر ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾، ومعنى ﴿وتواصوا﴾: أوصى كلُّ منهم أخاه بالحقِّ الذي قامت عليه السماوات والأرض، الحقُّ هو الله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَبَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ﴾ [الحج: ٦٢]، ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴾ [يونس: ٣٢].

الحقُّ هو الله؛ لأنَّه هو الثابت الذي لا يزول ولا يتغير.

والحقُّ - أيضاً - هو ما أوصى به الله وأمر به في كتابه وعلى لسان رسوله.

فعلى كلِّ مسلم أن يوصي غيره بالحقِّ، ويقبل من غيره الوصيَّة بالحقِّ، ليس هناك أحد أصغر من أن يُوصى، ولا هناك أحد أكبر من أن يُوصى، كلُّ واحد يُوصى ويُوصى، يتواصون بالحقِّ ويتواصون بالصبر؛ لأنَّ الحقَّ مُرٌّ لا يتجرَّعه إلاَّ حرٌّ، فيحتاج إلى صبر، وأن يتواصى الناس بالصبر - أيضاً، لا بدَّ من التواصي بالصبر.

مسؤولية المسلم تشمل البشرية كلها:

فلا بدَّ للمؤمن أن يكون له دور في المجتمع الذي يعيش فيه، كما قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [التوبة: ٧١].

كلُّ مؤمن مُطالَب أن يأمر بالمعروف إذا وجد المعروف ضاع أو قلَّ،
وأن ينهى عن المنكر إذا وجد المنكر شاع أو بدأ ينتشر.

هذه وصية الله تعالى للمؤمنين أن يكون بعضهم أولياء بعض، ليس
هناك أحد يقول: ما لك شأن بي.

هذا لا يجوز، بل أنا لي علاقة بك، وأنت لك علاقة بي، أنت أخي وأنا
أخوك، أنا منك وأنت مني، كلُّ واحد مسؤول عن الأمة، ليس هناك فرد
يعيش وحده، الأمة كلها مسؤولة بعضها عن بعض ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ
لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

هذا هو شأن الأمة، خير أمة عرفها البشر أمة محمد ﷺ، أمة القرآن
وأمة الإسلام أمة متميزة، تميزت بأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن
المنكر، لا يعيش كلُّ فرد فيها لنفسه، يسعى إلى خيره وخير أولاده
ولا علاقة له بالآخرين.

ليس هذا شأن المسلم.

المسلم يعيش لنفسه ويعيش لغيره، للمسلمين، ولغير المسلمين،
حتى غير المسلمين المسلم مسؤول عنهم، يهديهم إلى الله، ويدعوهم إلى
الخير، ويؤاخيهم، ويتقرب منهم، ويقربهم إلى الإسلام بعمله وسلوكه.
هذا هو شأن المسلم.

يسعى المسلم إلى أن يكون نفسه في نفسه، ويكون نفسه باعتباره جزءاً
من أمته، وبهذا تقوم الأمة الإسلامية بما أوجب الله عليها من تكاليف.

الأمة الإسلامية ليست أمة خالية من التكاليف، الأمة الإسلامية أمة
ذات رسالة، هي الرسالة العالمية الربانية الإنسانية الأخلاقية التي تقود

العالم إلى ما فيه خيره في الدنيا وفي الآخرة، إلى ما فيه سلامه، إلى ما فيه وحدته، إلى ما فيه تكافله، إلى ما فيه تعاونه على البر والتقوى.

هذا هو شأن الأمة الإسلامية؛ ولذلك جعلها الله أمة وسطاً ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

الوسطية هي التي تميز أمة الإسلام، ليست هي أمة مغالية متطرفة إلى اليمين أو إلى اليسار، إلى الفردية أو إلى الجماعية، إلى الروحية أو إلى المادية، هي تجمع هذا كله، هي فردية وجماعية وربانية وإنسانية، هي تجمع من كل شيء أفضل ما فيه وأحسن ما فيه، وتجمع الناس كلهم على هذا، فهي أمة وسط، ذات مبادئ وسط، وسطية في كل شيء، هي خير أمة أخرجت للناس، هي أمة واحدة ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

بهذه المعاني يتربى المسلم على الإسلام الصحيح، لا الإسلام المزيف، الإسلام المستنبط من القرآن الكريم، ومن السنة الصحيحة؛ سنة محمد ﷺ، ومن العلماء المحققين، لا العلماء المخرفين والمضللين، العلماء الذين يأخذون علمهم من كتاب ربهم ومن سنة نبيهم ومما أجمع عليه العلماء.

هذا هو شأن الأمة الإسلامية.

الثورات ورسالة الأمة:

ولذلك قامت الثورات في بلادنا العربية منذ أكثر من سنتين، بدأت هذه الثورات أول ما بدأت في تونس، قامت ثورة تونس تطلب للشعب

حريته، وكرامته، وعزّته، وحقوقه الإنسانيّة؛ ليحيا إنساناً كما يحيا النّاس في بلاد الغرب، لا أن يعيش يُساق كما تُساق الحمير، السوط يلهب ظهره، من يعترض يؤخذ إلى السجن.

ليست هذه هي الحياة.

قام النّاس يطالبون بالحريّة، أول بلد سعى إلى هذا كان تونس، والفضل للمبتدي وإن أحسن المقتدي، انتصرت تونس أول ما انتصرت على زين العابدين بن علي، وهرب بما معه من مليارات سرقها من الشعب خلال سنين حكمه، كلّ الحكام الذين ثار عليهم الشعب سراق، لصوص، سرقوا من الشعب أقواته، أقوات الأولاد وعصارة الأرزاق، بالمليارات وعشرات المليارات، هربوها إلى بلاد الخليج وإلى بعض البلاد الغربيّة.

هكذا فعل زين العابدين في تونس.

ثمّ قامت ثورة مصر، الثورة الثانية، الثورة العظيمة التي علّمت الدّنيا كيف تكون الثورات، قامت هذه الثورة بكلّ أبناء مصر، صحيح أنّ الإسلاميين كانوا هم الأوّل بحكم تربيتهم الإسلاميّة وثقافتهم الإسلاميّة التي ربتهم على أنّهم لا بدّ أن يعملوا لبلدهم، فكانوا في مقدّمة العاملين، ثاروا من أجل حريّة بلدهم، من أجل كرامة أوطانهم، من أجل حقوق الإنسان المضيّعة.

كان الإسلاميون في المُقدّمة، ووقفت للثورة الحكومات التي كانت تحكم البلاد منذ ٦٠ عامًا، ٣٠ عامًا حكم مبارك، و٣٠ أخرى حكم عبد النّاصر والسادات، وقف الحكم يحارب هذه الثورة، ويحاول أن

يقضي عليها بكل ما يستطيع من قوّة، يقضي على شبابها وشيوخها، وعلى رجالها ونسائها وعلى أطفالها، على كل من شارك فيها، ولكن الثورة ثبتت على انتزاع الحقوق، وكان معها العلماء الربّانيون، علماء السلطة وعملاء الشرطة لم يكونوا مع الثورة والثوار، كانوا مع الحُكم، كانوا يقولون: «اخضعوا لحكم مبارك، حرام عليكم أن تخرجوا على هذا السلطان، ارجعوا إلى بيوتكم»، إلى آخر لحظة العلماء الكبار يقولون للناس هذا! وشباب العلماء ومعهم العلماء الأحرار، العلماء الذين لا تقيدهم سلطة ولا تُسيّرهم شرطة، العلماء المخلصون ﴿الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩]، علماء الأزهر وشباب العلماء كانوا في طليعة الثوّار الأحرار الذين أكملوا المشوار، الذي انتهى بنصرة هذا الشعب.

حاولت السلطة بما حاولوه بالبغال وبالجمال وغيرها، ولكن في النهاية انتصر هذا الشعب، بعد ثمانية عشر يومًا داميًا، كاد الناس فيها ينفارون، ولكن كان هناك رجال يشدون من أزهرهم، ويقوون عزمهم، ويربط الله بذلك على قلوبهم، حتّى انتصرت ثورة مصر.

احتفل النَّاس بهذه الثورة، وصنعت مصر دستورًا جديدًا، وانتخب مجلسًا للشعب، اعترضت عليه المحكمة الدستورية وألغته، وسكت الإسلاميون مع كونهم الأغلبية، انتُخبت لجنة للدستور، وظلت ستة أشهر تعمل من أجل الدستور، وصنعت مصر دستورًا من أعظم دساتير العالم، واعترض المعترضون على بعض المواد فيه، وقال الدكتور محمّد مرسي الذي انتُخب رئيسًا للجمهورية - بعد أن أقرّ هذا الدستور بأغلبية أربعة وستين في المائة، حوالي ثلثي الشعب المصري: يمكننا أن نعدّل

من هذا الدستور، ويُعَرَضُ في أول جلسة لمجلس الشعب، عَرَضَ ذلك على النَّاسِ، ولكن كان هناك أناس يُبَيِّتُونَ لهذا الشعب ما لا يحبه الشعب، وما لا يرضاه الله ولا رسوله ولا المؤمنون.

الانقلاب في مصر:

انتصر الشعب المصري، وانتصر الشعب الليبي، وانتصر الشعب اليمني، قامت ثورات شعبية في هذه البلاد كلها، ولكن هناك أناس لا يحبون لهذه الشعوب أن تتحرَّرَ وأن تقف على أرجلها، وأن تعلن عمَّا في أنفسها بكلِّ حُرِّيَّةٍ، لا يحبون لهذه الشعوب أن تتنفس كما يتنفس الأحرار في العالم، فدَبَرُوا للشعب المصري هذه المكيدة، وهذا الانقلاب.

الشعب المصري الَّذِي انتصر بكلِّ فئاته، مسلميه ومسيحييه، عماله وفلاحيه، مُعَلِّميه وأطبَّائه ومهندسيه، بناسه الَّذين في القرى والذين في المدن والذين في الصحارى وفي الجبال، وفي كلِّ مكان في مصر، انتصر النَّاسُ كُلُّهم، ولكن كان هناك أناس لا يحبون لهذا البلد أن ينتصر، يريدونه أن يرجع إلى الورا، فكانت هناك مؤامرة مبيَّنة، دَبَرُوا لها تدبيرهم في ليل أسود، مع من وافقهم من العرب.

هناك عرب لا يريدون لأَيِّ بلد أن يتحرَّرَ؛ لأنَّهم يريدون أن تظلَّ البلاد يحكمها الحكَّام الَّذين يسيِّرون النَّاسَ كما تُسيِّرُ النعاج أو كما تقاد الحمير، وما هكذا أراد الله لأُمَّتِنا.

أُمَّتِنا أُمَّة بشرٍ أحرار، لهم حقوق كما عليهم واجبات، هؤلاء النَّاسُ في بلاد العرب أغرَّوا العسكر في مصر أن يعملوا على إخضاع الشعب، قالوا لهم: نحن معكم، خذوا ملياراتنا.



أعطوهم ثلاثة عشر مليارًا، غير المليارات التي دفعتها قطر لمصر قبل ذلك، أخذوا هذه المليارات، ولكن - للأسف - ماذا فعلوا بهذه المليارات؟ والله ما غرسوا بها نخلة، ولا بنوا بها عمارة، ولا حرّروا بها شعبًا، أنفقوا هذه المليارات في الباطل، قتلوا الناس بغير حق.

هؤلاء العسكر زعموا أنّ الشعب معهم، الشعب ليس معهم، الشعب اختار بالصناديق، بالانتخاب الحرّ، بواحد وخمسين في المائة بكلّ حرية، شهد بها المصريون، وشهد بها العرب، وشهد بها المسلمون، وشهد بها العالم، بكلّ حرية اختار الناس محمّد مرسي، ولكن هؤلاء عزلوه.

تصوروا: هؤلاء العسكر لم يعزلوا حسني مبارك الذي فعل ما فعل بالشعب المصري خلال ٣٠ سنة، لم يعزلوه!

حسني مبارك هو الذي فوّض المجلس العسكري الأعلى أن يحكم مصر، ومحمّد مرسي الذي اختاره الشعب يُعزل، ويؤضّع في مكان لا يعرفه أهله، ولا يعرفه إخوانه، ولا يعرفه الشعب المصري، ولا يُعرف أين هو.

هذا - للأسف - ما جرى.

حدث هذا في مصر، ولذلك ثار الشعب المصري، كان لمحمّد مرسي بعض أخطاء، ومعظم أخطائه: أنّه كان حريصًا على ألا يبوّح بأسرار الفاسدين، عرف كثيرًا من أسرار من حوله، وقال: لو بُحْتُ بها لكانت فضيحة على مصر كلّها، وعلى أبناء مصر، أنا أكتّم ما في نفسي، حاول أن يكتّم أسرار هؤلاء، ولكنهم - للأسف - لم يراعوا هذا، وأخذوه على غرّة.

قام هؤلاء العسكر ليحكموا مصر رغم أنفها، يزعمون أن مصر هي التي اختارت في الثلاثين من يونيو، من قال هذا؟

أنت يا سيدي كنت وزيراً عند محمد مرسي، ما الذي جعل الوزير يخلع رئيس الدولة، ويسجن رئيس الدولة، ويأتي بأناس يحكمهم في البلد، وهم ليسوا أهل الحكم، هذا ما لا يرضاه أحد، هذا لا يرضاه الله ولا رسوله، النبي ﷺ يقول: «فُوا ببيعة الأول فالأول»^(١).

نحن رأينا بأعيننا وسمعنا بأذاننا عبد الفتاح السيسي يبايع رئيس الجمهورية أمامنا، ويعاهد الله على أن يحترم الدستور والقانون، ولكنه حنث في يمينه، ونقض عهده، ونكث على نفسه ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۗ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠]، ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣]، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغَيْبِكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ [يونس: ٢٣] بغى هؤلاء على أنفسهم، ومكروا المكر السيئ.

وكان موقفه ما رأيناه، فعلوا الأفاعيل بهذا الشعب، الشعب رفض هذا، لا يجوز الخروج على محمد مرسي، إلا إذا أمر بمعصية، النبي ﷺ يقول: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»^(٢).

لا سمع ولا طاعة فيما أمر به من المعصية، ولكن البيعة العامة والطاعة تطل، ومحمد مرسي لم يأمر بمعصية، لم يقل للناس: اتركوا الصلاة، ولم يقل للناس: لا تصوموا رمضان، ولم يقل للناس: اشربوا

(١) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٥٥)، ومسلم في الإمارة (١٨٤٢)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأحكام (٧١٤٤)، ومسلم في الإمارة (١٨٣٩) عن ابن عمر.

الخمر، ولم يدعُ النَّاسُ إلى معصية أبدًا، ولم يقع في كفر عندنا من الله فيه برهان، كما جاء في حديث عبادة بن الصامت: دعانا النبي ﷺ فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرًا بواحد عندكم من الله فيه برهان^(١).

فهل رأينا كفرًا بواحد من محمد مرسى؟ هل أمرنا بمعصية؟ هل أمرنا بشيء خارج عن الإسلام؟

لم يفعل هذا؛ فكيف خرج النَّاسُ على هذا الحاكم الشرعي، وجأؤوا بأناس لا يعرفهم أحد، جاؤوا بعدلي منصور، من عدلي منصور؟

وجأؤوا بالبرادعي نائبًا له، وصبر البرادعي كثيرًا، ولكنه لما رأى هؤلاء النَّاسَ تجاوزوا كلَّ حدٍّ، وفاقوا كلَّ تصوُّر في إيذاء النَّاسِ في أنفسهم وأهليهم وأموالهم وأولادهم وفعلوا الأفاعيل التي لا يرضاها بشر، لم يُطق وخرج، فسرعان ما كالوا له الاتهامات؛ لأنَّ هؤلاء النَّاسَ من أكذب خلق الله.

هؤلاء النَّاسُ الذين يحكمون مصر الآن يتصفون بأمرين:

الأمر الأوَّل: الظلم الواضح الفاضح الذي لا حدَّ له، ظلموا النَّاسَ كلَّ النَّاسِ ظلمًا فادحًا.

رأيناه حينما تعدَّوا على المعتصمين في رابعة وفي النهضة وفي سائر ميادين مصر، قتلوا النَّاسَ شرًّا قتلة، أنتم رأيتموهم، رأيناه

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الفتن (٧٠٥٥، ٧٠٥٦)، ومسلم في الإمارة (١٧٠٩)، عن عبادة بن الصامت.

على الجزيرة وعلى القنوات الأخرى: «القدس» و«الحوار» و«الجزيرة المباشرة».

رأينا هؤلاء المعتصمين في أوج الحرّ، في حرّ الشمس، تصوروا: يتظاهرون ويعتصمون في ظهيرة يوليو وأغسطس، أشدّ الشهور حرارة، وهم إلى ذلك صائمون، يصومون النهار ويقومون الليل، يصلون التراويح ويصلون التهجد، رأيناهم قائمين خاشعين، راكعين ساجدين، أمرين بالمعروف ناهين عن المنكر، حافظين لحدود الله.

ما رأينا معهم سلاحًا، أنا أتحدى المصريين جميعًا أن يأتيني واحد بصورة لواحد من هؤلاء الذين كانوا في رابعة أو في النهضة أو في أي مكان اعتصم فيه الناس في مصر معه سلاح أو بندقية أو مسدس أو سيف أو سيكّين أو عصا أو حجر، ليس معهم أي شيء، كانوا مسالمين.

الأستاذ الدكتور محمّد بديع مرشد الإخوان قال: «ثورتنا سلمية، وستظلّ سلمية، سلميتنا أقوى من الرصاص»، الانقلابيون معهم رصاص ومعهم أسلحة، لكن سلميتنا أقوى من رصاصهم وأسلحتهم.

وهذا ما عمل به المعتصمون، ولكن الظالمين القاتلين المتوحشين - الوحوش لا تقتل الناس بالجملة، الوحش لا يقتل إلا من يريد أن يأكله - قتلوا الناس بالآلاف، قتلوا الذين كانوا في رابعة وكانوا في النهضة بالآلاف، وقبل ذلك قتلوهم بالمئات في رمضان عند الحرس الجمهوري وعند المنصة في شارع النصر، قتلوهم وهم رُكّع سجّد لله وَعَبَّ، جاؤوا إليهم من كلّ حدب وصوب وقتلوهم.

هؤلاء القتلة، سيأخذهم الله بقتلهم، هؤلاء من شرّ خلق الله؛ لأنّ قتل

النَّاسِ مِنْ شَرِّ مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ تَعَالَى - مِنْ عِبَادِهِ، الْأَدْمِيِّ بَنِيانِ الرَّبِّ، مَلْعُونَ مِنْ يَهْدِمُ هَذَا الْبَنِيانَ، لَا يَحِقُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَهْدِمَ هَذَا الْبَنِيانَ إِلَّا مَنْ بَنَاهُ، اللَّهُ هُوَ خَالِقُ الْإِنْسَانِ وَمَنْ حَقَّهُ أَنْ يَسْلُبَ رُوحَهُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي حَدَّدَهُ، لَيْسَ مِنْ حَقِّ إِنْسَانٍ أَنْ يَقْتُلَ إِنْسَانًا، وَهَؤُلَاءِ قَتَلُوا النَّاسَ بِغَيْرِ حَقٍّ، فِي فَضِّ رَابِعَةٍ وَالنَّهْضَةِ وَقَبْلَهُ فِي الْمَنْصَّةِ وَالْحَرَسِ الْجُمْهُورِيِّ.

وَقَتَلُوا النَّاسَ فِي الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، وَفِي الْمَنْصُورَةِ، قَتَلُوا النِّسَاءَ وَالْفَتِيَّاتِ، هَؤُلَاءِ النَّاسُ لَا يَعْرِفُونَ حُرْمَةَ لِأَحَدٍ، وَلَا يَعْرِفُونَ حُرْمَةَ الْأُنْثَى، قَتَلُوا هَالَةَ شَعِيشَعَ الْفَتَاةِ الرَّقِيقَةَ، الْأَنْسَةَ الصَّغِيرَةَ، وَأَخْرِيَّاتٍ مَعَهَا، قَتَلُوهُنَّ بِدَمٍ بَارِدٍ، وَبَقَلَبٍ مَيْتٍ لَا ضَمِيرَ فِيهِ، لَا يَخْشَى خَالِقًا وَلَا يَرْحَمُ مَخْلُوقًا.

هَؤُلَاءِ النَّاسُ هُمُ الْقَتْلَةُ، لَا يَرَاعُونَ حُرْمَةَ لِأَحَدٍ، لَا يَرَاعُونَ حُرْمَةَ لِشَيْخٍ كَبِيرٍ، لَا يَرَاعُونَ حُرْمَةَ لِعَالَمٍ جَلِيلٍ، لَا يَرَاعُونَ حُرْمَةَ لِطِفْلِ، لَا يَرَاعُونَ حُرْمَةَ لِأَيِّ إِنْسَانٍ، كُلُّ الْحُرْمَاتِ أَصْبَحَتْ سَائِبَةً، لَيْسَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ يُحْتَرَمُ وَيَصَانُ أَبَدًا، قَتَلُوا الْأَلْفَ فِي رَابِعَةٍ وَفِي النَّهْضَةِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَاللَّهُ بِغَيْرِ حَقٍّ، مَا عَمَلُوا شَيْئًا أَبَدًا، تَرَبَّصُوا بِهِمْ ثُمَّ غَدَرُوا بِهِمْ، هَؤُلَاءِ غَدْرَةٌ؛ «لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ عِنْدَ اسْتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١) يَفْضَحُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

هَؤُلَاءِ غَدَرُوا بِهِؤُلَاءِ الْأَبْرَارِ الْأَطْهَارِ الْأَحْرَارِ، غَدَرُوا بِهِمْ رَجَالًا وَنِسَاءً، وَشِيُوخًا وَشُبَّانًا، وَأَطْفَالًا، وَمِنْ كُلِّ فِتَّةٍ مِنَ النَّاسِ، قَتَلُوهُمْ قَتْلًا شَنِيعًا، وَلَمْ يَصْبِرُوا عَلَيْهِمْ، بَلْ أَحْرَقُوهُمْ وَلَا يَزَالُ بَعْضُهُمْ حَيًّا، سَلَطُوا عَلَيْهِمُ الْأَلَاتِ فَأَحْرَقْتَهُمْ وَأَصْبَحُوا فَحْمًا، لَمْ يَعُودُوا يُعْرِفُونَ، وَجُوهَهُمْ مَتَفْحَمَةٌ، وَلِذَلِكَ يَوْجَدُ مِائَاتٌ مِنَ النَّاسِ لَا يُعْرِفُونَ أَيْنَ هُمْ؟

(١) رواه مسلم في الجهاد (١٧٣٨)، وأحمد (١١٠٣٨)، عن أبي سعيد الخدري.

النَّاسَ يَعْتَبِرُونَهُمْ مِنَ الْمَفْقُودِينَ، وَهُمْ مِنَ الَّذِينَ قُتِلُوا وَتَفَحَّمُوا،
بَعْضُهُمْ جَرَّفُوهُمْ بِالْجِرَافَاتِ، كَأَنَّهُمْ دَجَاجٌ أَوْ كِلَابٌ، وَاللَّهُ لَا يُفْعَلُ
بِالدَّجَاجِ هَكَذَا.

النَّاسَ تَقُولُ: حَرَامٌ عَلَيْكَ، أَرْحَمُ الْحَيَوَانَاتِ، إِنَّهُ يَحْسُ كَمَا تُحْسُ،
وَيَتَأَلَّمُ كَمَا تَتَأَلَّمُ، وَيَتَوَجَّعُ وَلَا يَكَادُ يُبَيِّنُ.

الْحَيَوَانَاتُ يُرْحَمُ وَهَؤُلَاءِ لَمْ يُرْحَمُوا، جَرَفُوا الْإِنْسَانَ بِالْجِرَافَاتِ ثُمَّ
أَخَذُوهُمْ وَلَمْ يُدْرَأْ أَيْنَ ذَهَبُوا بِهِمْ، لَمْ يَرَاعُوا أَنَّ هَؤُلَاءِ النَّاسَ مِنْ حَقِّهِمْ
أَنْ يُغَسَّلُوا، وَأَنْ يَكْفَنُوا، وَأَنْ يَجَهَّزُوا، وَأَنْ يُصَلَّى عَلَيْهِمْ، وَأَنْ يَدْفَنُوا فِي
مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنْ يُعَرَّفَ أَهْلُوهُمْ.

هَذِهِ الْحَقُوقُ كُلُّهَا لَمْ يَعْرِفْهَا هَؤُلَاءِ.

هَؤُلَاءِ النَّاسُ لَا أَقُولُ: إِنَّهُمْ وَحُوشٌ، وَاللَّهُ إِنَّهُمْ لَشَرٌّ مِنَ الْوَحُوشِ،
مَا رَأَيْنَا وَحُوشًا تَفْعَلُ مِثْلَ هَذَا أَبَدًا.

هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ارْتَكَبُوا مَا ارْتَكَبُوا أَرَادُوا أَنْ تَظَلَّ حُكُومَتُهُمُ الْمَزْعُومَةُ
أَوْ جُمْهُورِيَّتُهُمُ الْمَزْعُومَةُ الْمَنْقُوضَةُ؛ لِأَنَّهَا جُمْهُورِيَّةٌ لَا أَسَاسَ لَهَا،
جُمْهُورِيَّةٌ عَلَى أَسَاسٍ غَيْرِ شَرْعِيٍّ، الْأَسَاسُ الشَّرْعِيُّ مَعَ مُحَمَّدٍ مَرْسِيٍّ،
انْتَخَبَهُ الْمَصْرِيُّونَ وَلَمْ يَنْقُضُوا بَيْعَتَهُمْ؛ فَهُوَ الرَّئِيسُ، لَا حُكْمَ لِأَيِّ رَئِيسٍ
يَأْتِي وَمُحَمَّدٌ مَرْسِيٌّ حَيٌّ.

هَؤُلَاءِ عَطَّلُوا الدِّسْتُورَ، وَأَلْغَوْا مَجْلِسَ الشُّورَى.

هَذَا عَيْثُ.

أَنَا أَدْعُو هَؤُلَاءِ الْعَسْكَرِيِّينَ الْمَتَطَاوِلِينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ عَلَى الشَّعْبِ
الْمِصْرِيِّ أَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ! كُونُوا عَقْلَاءَ، يَا مَنْ تَطَاوَلْتُمْ عَلَى هَذَا



الشعب، تطاولتم على رجاله ونسائه وأطفاله، تطاولتم على كبار الرجال، الرجال الذين لا يشكُّ في رجولتهم أحد، مثل: الأستاذ طارق البشري والدكتور محمّد سليم العوّا، والأستاذ فهمي هويدي، والدكتور سيف عبد الفتاح، والدكتور عمر عبد الكافي، والدكتور أيمن نور، وإخواننا الذين نراهم في قطر: الدكتور جوادي، ووائل قنديل، وحاتم عزام، كلُّ هؤلاء الإخوة في الداخل وفي الخارج، لم يبقوا لأحدهم حرمة، هؤلاء النَّاس لا بدُّ أن يعودوا إلى ثكناتهم.

ارجعوا إلى أماكنكم، أنتم ضباط، مهمة الضباط في الجيش أن يحرسوا الحدود، أن يكونوا عند الصرخة، حينما يناديهم الوطن، يكونون عند نداء الوطن.

أمّا أن يحكموا البلاد، فهذا الفساد كلُّ الفساد، هذا ما حدث قبل سنة ٦٧، حينما تدخل عبد الحكيم عامر وجماعته في السياسة، وأصبحوا هم الذين يقودون كلَّ شيء، انهزم الجيش، وضاعت فلسطين، أخذت إسرائيل كلَّ ما بقي في فلسطين.

لا يجوز لهؤلاء أن يستمروا في تدخلهم في السياسة، ارجعوا - أيُّها النَّاس - إلى ما كنتم فيه، لا يجوز لكم أن تستمروا في السياسة، الشعب كلُّه ضدكم.

أنا أدعو جميع الشعب المصري، كلَّ من يريد الحُرِّيَّة لبلده، ويريد الخير لبلده: أن يقف ضد هؤلاء، هؤلاء لو تركناهم سيخربون البلد.

أخذوا المليارات من بلاد الخليج العربي وضيعوها، وأخذوا خمسة وثمانين ملياراً من أرصدة المصريين في الخارج، وضيعوها، ولا تزال

العملة المصرية تنزل من أسفل إلى أسفل، إلى أسفل، إلى أسفل، لم يبنوا شيئاً في البلد، يخربون البلد يوماً بعد يوم.

إذا ظلّ الأمر معهم لا ندري ماذا يفعل المصريون، أصبحت رواتبهم تؤخر، كلُّ شيء بدأ ينقص شيئاً فشيئاً.

نقول لهم: عودوا إلى أماكنكم، لا ينبغي لكم أبداً أن تظلُّوا على رأس هذا البلد، البلد له من يحكمه، من انتخب عن طريق الانتخاب الحر.

يساعد هؤلاء الانقلابيون إعلام مضلل، إعلام كذب، والله كلُّه يقوم على الكذب، المصريون الذين يأخذون معلوماتهم من الراديو ومن التلفزيون المصري معلوماتهم خاطئة، لا يعطيهم أيّ شيء من الحقيقة.

ومن جرائم الانقلابيين القبض على البنات، ما رأينا هذا من قبل، والله رأينا عبد الناصر والسادات ومبارك، حكموا ستين سنة، حكموا فيها مصر، ولم يفعلوا مثل ما فعل هؤلاء في عدة أيّام وأسابيع، قتلوا الآلاف، وشردوا الآلاف، وسجنوا الآلاف، والمفقود مئآت أو آلاف، ويقبضون على البنات، تصوروا: الشيخ حسين حلاوة، زميلنا في «المجلس الأوربي للإفتاء» أخذوا بناته الثلاث وابنه، مع أنّ معهم جنسيّة أيرلنديّة، لا يتعبرون لأحد حُرمة إطلاقاً.

هؤلاء سيأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر.

نحن ندعو جميع المصريين أن يخرجوا، اخرجوا من بيوتكم - أيُّها المصريون، أيُّها المصريون لا تتركوا الأمر يزداد، لا يستطيع هؤلاء أن يفعلوا معكم شيئاً، اخرجوا من بيوتكم في صلاة العصر وفي صلاة

المغرب، اخرجوا كلُّكم، الرجل يخرج، وامرأته تخرج، والأم تخرج، وبناتها تخرج، وأبناؤها يخرجون، حتَّى الأطفال المميزين، اخرجوا من بيوتكم، هذا فرض عين على المصريين، ومعني في ذلك من العلماء علماء الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وعلماء الأزهر في مصر، لا أقول: شيخ الأزهر، ولا من كان مفتياً في زمن مبارك، هؤلاء ليسوا بعلماء، هؤلاء يمثلون السلطة، ولا يمثلون الشعب، معي العلماء الذين يمثلون القرآن والسنة، العلماء الذين يمثلون الشعب ويتألمون لجراح الشعب وآلام الشعب.

اخرجوا - أيها المصريون، لا تخافوا، اخرجوا، من كان عنده قدرة، أمّا من لم يكن عنده قدرة لمرض أو عدم استطاعة، فلا حرج عليه. إذا خرجتم جميعاً استطعنا أن نوقف هؤلاء عند حدّهم. هذا ما ينبغي للمصريين جميعاً أن يقوموا به.

لا نترك بلدنا أبداً، مصر بلدنا، الذي عاش فيه المصريون، شربوا من مائه، وشمّوا من هوائه، وعاشوا على أرضه، عاشوا في هذا البلد الكريم، ينبغي أن يظلّوا فيه أحراراً شرفاء، إما أن يعيشوا شرفاء سعداء، وإما أن يموتوا شهداء.

أمّا أن يعيشوا مكبّلين يسوقهم هؤلاء بعصيتهم وسياطهم فهذا ما لا نقبله لمصري أبداً. يا أيُّها المصريون:

أنتم منصورون، والله إنكم منصورون، أنا قلت هذا حينما يئس الناس أن يذهب حسني مبارك؛ أقسمت أنه سيسقط، وفعلاً سقط، وهؤلاء

سيسقطون؛ لأنه لا مكان لهم في مصر، وسيعودون إلى ثكناتهم، وينتصر الشعب المصري.

ادعوا الله أيها المصريون جميعًا، وادعوا الله أيها الإخوة في قطر، وادعوا الله أيها الإخوة في بلاد الخليج، وادعوا الله أيها الإخوة في بلاد العرب، وادعوا الله أيها الإخوة في بلاد المسلمين في المشارق والمغرب، كلُّ من يؤمن بالله ورسوله، ويؤمن بأن الله ورسوله لن تضيع عنده دعوة المظلومين، النبي ﷺ يقول: «دعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الربُّ: وعزّتي لأُنصركِ ولو بعد حين»^(١).

ادعوا الله، لا تياسوا أبدًا، وحثوا إخوانكم وأبناءكم وكلّ من تعرفون: أن يدعوا الله تبارك وتعالى.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، ادعوا الله تعالى يستجب لكم.

* * *

(١) رواه أحمد (٩٧٤٣)، وقال مخرّجه: صحيح بطرقه وشواهده. والترمذي في الدعوات (٣٥٩٨)، وقال: حسن. وابن ماجه في الصيام (١٧٥٢)، عن أبي هريرة.

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة الأحبّة:

مأساة سوريا:

كلُّ بلاد المسلمين مبتلاة، تحدّثنا عن البلوى التي أصابت مصر، وهناك بلوى أخرى أصابت سوريا، البلد الخامس من بلاد ثورات الربيع العربي، وكان المفروض لمصر أن تكون مع الشعب السوري في ثورته، ولكن هذا النظام الذي قام في مصر - للأسف - لم يساند الشعب السوري، وأعاد العلاقات مع بشار ومع هؤلاء الظلمة الذين ارتكبوا ما ارتكبوا، خلال سنتين، وبدأنا في السنة الثالثة، وصار لنا أكثر من عدّة أشهر من السنة الثالثة، قاسى السوريون فيها ما قاسوا، ثمّ ازداد هؤلاء طغياناً وكفراً - نعوذ بالله من شرّهم - فضربوا الشعب السوري بالسلاح الكيماوي والغازات السامة، والله لو كانوا قَطَطًا ما أجزنا أن تقتل القطط والكلاب بمثل هذه الطريقة، سئل النبي ﷺ أن يقتل الكلاب، فقال: «لولا أنّ الكلاب أمّة من الأمم لأمرت بقتلها»^(١).

الكلاب أمّة من الأمم، الله تعالى يقول: ﴿وَمِمَّنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأنعام: ٣٨].

أمّة الكلاب وأمّة القطط وأمّة الصراصير كلّها أمم، أمم أمثالكم، النبي ﷺ لم يُبح أن تُباد الكلاب، وهؤلاء يُبيدون البشر.

وكنا نودُّ لو استطعنا نحن أن ننتقم لإخواننا الذين قُتلوا، رأيانهم

(١) سبق تخريجه ص ٦٩.

بالمئات مقتولين أمامنا، وسيهيئ الله لهم من ينتقم ممن قتلهم كما قتلوا هؤلاء البراء الشرفاء الأحرار، من الأطفال والشباب والشيوخ والنساء. نسأل الله عز وجل أن يأخذ هؤلاء الظالمين بما صنعوا، وكنا نود أن أمتنا هي التي قدرت أن تأخذ بحق هؤلاء.

وهناك إخواننا في العراق يقاسون ما يقاسون من الظلم والتهميش والتقتيل والتهجير وأفعال طائفية، لا يسعنا الآن أن نتحدث عن هؤلاء.

هناك إخوان لنا في بلاد شتى، يتعرّضون لمآسٍ كثيرة، علينا أن ندعو الله تبارك وتعالى أن يؤيدهم بروح من عنده، وأن ينصرهم بجند من جنده، وأن يحرسهم بعينه التي لا تنام، وأن يكلاهم في كنفه الذي لا يضم.

اللهم انصرنا من عندك يا رب العالمين، اللهم انصر إخواننا في مصر، وانصر إخواننا في سوريا، وانصر إخواننا في العراق، وانصر إخواننا في تونس، وانصر إخواننا في ليبيا، وانصر إخواننا في اليمن، وانصر إخواننا في كل بلد من بلاد الإسلام.

اللهم انصر المظلومين على الظالمين، اللهم انصر الضعفاء على الأقوياء، اللهم انصر أهل الحق على أهل الباطل، وانصر أهل العدل على أهل الظلم، وانصر أهل الخير على أهل الشر.

اللهم عليك بالظالمين المتوحشين، اللهم عليك بالحكام المتجبرين، اللهم ردّ عنا كيدهم، وفلّ حدهم، وأزل دولتهم، وأزل عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين.

اللهم أعنا ولا تُعن علينا، وانصرنا ولا تنصر علينا، وامكر لنا ولا تمكر علينا، واهدنا ويسر الهدى إلينا، وانصرنا على من بغى علينا.

ربنا اجعلنا لك ذكّارين، لك شكّارين، لك أوّابين، لك مخبتين،
إليك منيبين.

ربّنا تقبّل دعوتنا، واغسل حوبتنا، وأجِبْ دعوتنا، وثبّت حجّتنا،
واهدِ قلوبنا، وسدّد ألسنتنا.

اللهمّ عليك بالظالمين المتجبرين في أرضك، المتجبرين على
عبادك، المستكبرين عن الحقّ، اللهمّ خذهم أخذ عزيز مقتدر، اللهمّ أنزل
عليهم بأسك الذي لا يُرد عن القوم المجرمين، اللهمّ عجلْ بأخذهم.

اللهمّ عجلْ بالنصر لإخوتنا وبالفرج يا ربّ العالمين.

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

اللهمّ إنّنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا وأهلينا وأموالنا.
اللهمّ استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا،
وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا.
اللهمّ اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين.
اللهمّ صلّ على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم
بإحسان إلى يوم الدين.

رعاية الإسلام للطفولة

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

في يوم الطفل العالمي:

مرّ بنا منذ أيّام يوم سمّوه: «يوم الطفل»، وقد جرت عادة النَّاس في عصرنا أن يُخصِّصُوا أيّامًا أو أسابيع أو أعوامًا لشيء معيّن، قد يغفل النَّاس عنه، فيجعلون أيّامًا أو أسابيع للنظافة، أو المرور، أو المرأة، أو الشجرة، أو غير ذلك، ولهذا خصَّصوا يومًا للطفل؛ لينتبه النَّاس إلى الأطفال، ويرعوا حقوق الطفولة.

الأطفال هبة من الله:

فكثير من النَّاس لا يعرف قدر هذه النّعمة، أنّ الله وهبه طفلًا، وهو - فعلاً - هبة من الله، كما قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩].

كان العرب لا يفرحون بهذه الهبة، إلّا إذا كانت من الذكور، ولهذا كان أحدهم إذا تزوّج فهتّوه قالوا له: بالرفاء والبنين، أي: لا بالبنات.

ولما ولدت إحدى الزوجات وقيل لزوجها: إن امرأتك وضعت.

قال: وما وضعت؟

قالوا: أنثى.

قال: ما هي بنعم الولد، نصرها بكاء، وبُرُّها سرقة.

أي: إذا نصرتني فإنها لا تستطيع أن تحمل السلاح وتركب الجواد، وإنما تبكي وتصرخ، وإذا برّتني فإنما تأخذ من مال زوجها.

وهكذا كانت نظرهم إلى الإناث.

ولكن القرآن الكريم اعتبر الإناث كالذكور، هبة ونعمة من الله، لقد جارت عليهم الجاهلية، فلم يرحّبوا بالإناث، ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيَسْكُرُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩].

ومما يؤسف له أن بعض الناس في عصرنا في القرن الخامس عشر الهجري، ما زالوا يحملون روح الجاهلية، فهم لا يُرحّبون بالأنثى، وهم يضيّقون بالبنات، وهم لا يهتمّون إلا بالذكور، وكلاهما نعمة من الله يجب أن تُشكر.

الأطفال أمانة:

الطفل نعمة يجب أن تُشكر هذه النعمة، وهو أمانة ووديعة عند والديه، ويجب أن تُرعى هذه الأمانة.

لا ينبغي للناس أن يهملوا أطفالهم، فبعض الناس يحسبون أن مهمّتهم أن ينجبوا الأطفال، ثم ينسوهم بعد ذلك؛ فترى الأب طول نهاره مشغولاً عن أطفاله، لا يُعنى بهم، ولا يسأل عنهم، ويظنُّ أن حسبه أن يهيئ لهم

الطعام والشراب والكساء، وأن يهيئ لهم وسائل الراحة والترفيه، أمّا الرعاية الصحية، والرعاية النفسية، والرعاية العاطفية، والرعاية الدينيّة، والرعاية الخلقية، والرعاية الاجتماعيّة، فهذه قد حُرّم منها الأطفال.

فالأب مشغول بالمال، أو الأصدقاء، أو الشهوات، أو بهذا أو ذاك، مشغول عن ولده وفلذة كبده، مع أنه مسؤول أمام الله وأمام الناس عن هذا الولد، ذكرًا كان أو أنثى، «كلُّكم راعٍ ومسؤول عن رعيّته»^(١).

لا بدّ من هذه الرعاية، والإحساس بالمسؤوليّة، فهؤلاء الأولاد يجب أن يأخذوا حظّهم، ليس حظّ الولد أن يأكل ويشرب ويكتسي، ليس حظّه فقط أن تُعطيه المصروف في يده، ليس حظّه فقط أن تهيئ له سيارة يركبها إلى مدرسته.

لا؛ بل لا بدّ من العناية بأطفالنا، أن نرعى هذه الأمانة.

ومما يؤسف له أشدُّ الأسف، أن كثيرًا من البيوتات اليوم، قد تركت مسؤوليّتها، وأصبحت تربية الطفل مسؤوليّة الخادمة الهندية، أو الفلبينية، أو غير ذلك، والخادمة امرأة لا تعرف لغة الطفل، ولا تعرف دينه، ولا تعرف تقاليدّه، ولا تعرف شيئًا عن بلده، وعن قيم مجتمعه، فهي تلقّنه ما تشاء هي، لا ما يشاء أهله.

وهكذا ضاع أطفالنا، وهكذا دخل علينا في عُقر دارنا، غزينا في بيوتنا من هؤلاء الخادِمات والمربّيات، أمهمة المرأة أن تلد، ثمّ تترك طفلها لغيرها؟! أمهمة الرجل أن يُنجب، ثمّ لا يسأل عن أولاده!؟

لا؛ فللأطفال حقوق.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٨٩٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.



للأطفال حقوق:

يجب أن يأخذ الطفل حقه من اهتمام أهله، من ملاحظتهم، من مداعبتهم، لا بد أن يشعر أنهم المعنيون به، وكان أحد السلف يقول: لاعب ابنك سبعا، وأدبه سبعا، وآخه سبعا، ثم ألق حبله على غاربه.

١ - لاعبه سبعا:

السنوات السبع الأولى سنوات الملاعبة، سنوات المداعبة، لا بد أن تلعب طفلك، أن تضاحكه، أن يشعر بوجودك، أبا كنت أو أمًا؛ فقد كان النبي ﷺ يوطئ ظهره للحسن والحسين ليركبا.

دخل أحد الصحابة، فوجد الطفلين يركبان ظهر رسول الله ﷺ، وقد جعل من نفسه جملاً في صحن الدار، وهما يركبان ويستمتعان، فقال الصحابي: نعم الفرس تحتكما.

قال: «ونعم الفارسان هما»^(١).

وركب أحدهما يوماً على ظهره ﷺ وهو يصلي، وهو ساجد، فأطال الصلاة السجود، حتى ظن الصحابة الظنون من طول سجوده، ينتظرونه أن يقوم من سجوده.

وبعد الصلاة سأله: ماذا حدث، يا رسول الله! لقد أطلت السجود؟! فقال: «إن ابني ارتحلني - أي: جعلني راحلة - فكرهت أن أعجله»^(٢).

(١) رواه البزار (٢٩٣)، وأبو يعلى كما في المطالب العالية (٣٩٦٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٠٧٨): رواه أبو يعلى في الكبير، ورجاله رجال الصحيح، ورواه البزار بإسناد ضعيف. عن عمر بن الخطاب.

(٢) رواه أحمد (١٦٠٣٣)، وقال مخرجه: إسناده صحيح. والنسائي في التطبيق (١١٤١)، والحاكم في معرفة الصحابة (١٦٥/٣)، وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي، عن شداد بن الهاد.



لم يشأ أن يقطع عليه لذّة الركوب؛ حتّى يشبع وينزل مختارًا.
انظروا إلى هذه العاطفة، إلى هذا القلب الكبير، هكذا ينبغي أن
نهتمّ بأطفالنا.

دخل أحد زعماء الأعراب من البُدَاة الجُفَاة على النّبي ﷺ، فوجده
يُقبّل أحد الأطفال، فقال: أوتقبّلون أطفالكم؟! إن لي عشرة من الولد،
ما قبّلت منهم واحدًا.

فقال ﷺ: «أوأملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك؟!»^(١).

إذا لم يكن في قلبك رحمة، ولا عاطفة، لتحسّ بهذا الطفل الصغير،
وأنت محتاج إلى احتضانك وقبّلتك، وملاعبتك، ماذا أملك لك؟!!

ولما دخل أحدهم على عمر، فوجده يلاعب أطفاله ويقبلهم - وكان
والياً لعمر - فعجب من ذلك، فقال له عمر: ألا تفعل ذلك؟
قال: إنني إذا دخلتُ صمّمتُ الناطق.

فغزله عمر عن ولايته^(٢)؛ لأنّه رأى أن مثل هذا الذي يُعامل أهله
بقسوة، لا يؤتمن على المسلمين ولا يرحمهم.

٢ - أدبه سبعا:

إنّ معاملتنا لأطفالنا يجب أن تتسم بالعاطفة الرحبة، وبالرحمة
الغامرة، وليس معنى هذا أن ندللّهم فنفسدهم.

لا، التربية السليمة شيء بين القسوة وبين التدليل، إنك تدلله
وتلاعبه، ولكن - أيضًا - تُقفّه عند حدّه، تقوّمه إذا اعوجّ، تصوّبه إذا

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٩٨)، ومسلم في الفضائل (٢٣١٧)، عن عائشة.

(٢) نزّهة المجالس للصفوري (٥٥/٢)، نشر المطبعة الكاستلية، مصر.

أخطأ، تعلّمه الصحيح من غير الصحيح، تدرّبه على الخير، على الطاعة، على أداء الفرائض.

يقول النبي ﷺ: «مروا أبناءكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرّقوا بينهم في المضاجع»^(١).

عندما يبلغ الطفل سبعاُ مره بالصلاة، ورغبه، ورهبه، حتّى إذا بلغ عشرًا، فقد أخذ مهلة طويلة، لمدة ثلاث سنوات، وهنا يمكن أن يُشدّد عليه، «واضربوهم عليها لعشر»، وليس معنى الضرب أن تكسر عظامه، ولكن معنى الضرب، إشعار بالجدية، أنّ الأب مهتمٌّ بأمر الصلاة.

وماذا يصنع الأب إذا أمر ابنه بأمر من أمور الدنيا، فضرب بكلامه عُرض الحائط؟! أيغضب أم لا يغضب؟! وكذلك أمور الدين.

الخير عادة، والشرُّ عادة، فعوّد طفلك الخير منذ نعومة أظفاله، كما قال الشاعر:

وَيَنْفَعُ الْأَدَبُ الْأَحْدَاثَ فِي صِغَرٍ وليس ينفع عند الشَّيْبَةِ الْأَدَبُ
إِنَّ الْغُصُونَ إِذَا قَوْمَتَهَا اعْتَدَلَتْ ولن تلينَ إِذَا قَوْمَتَهَا الْخُشْبُ^(٢)

الغصون اللينة تلين معك، أمّا إذا صارت خشبًا فلن تلين معك.

ومن هنا كانت سنُّ الطفولة هي السنُّ القابلة للتربية وتقويم العادات واكتساب الصفات، حسنة أو سيئة.

(١) رواه أحمد (٦٧٥٦)، وقال مخرّجه: إسناده حسن. وأبو داود في الصلاة (٤٩٥)، وحسنه النووي في رياض الصالحين (٣٠١)، وقال الألباني في صحيح أبي داود (٥٠٩): إسناده حسن صحيح. عن عبد الله بن عمرو.

(٢) البيتان لسابق البربري، كما في فصل المقال شرح كتاب الأمثال للبكري ص ١٨٢، تحقيق إحسان عباس، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٧١م.

فحاول أن تغرس الحسن في ابنك منذ صغره، حاول أن يخرج هذا الطفل إلى الناس صالحًا فاضلاً، فأنت المسؤول، والأم مسؤولة - أيضاً، وكما قال حافظ إبراهيم:

الأم مدرسة إذا أعدتها أعددت شعباً طيب الأعراق^(١)

فالأب مسؤول، والأم مسؤولة، والأسرة كلها مسؤولة قبل المدرسة، فالطفل يذهب إلى المدرسة بعد ست سنوات، وهذه السنوات الست مهمة في تكوين الطفل، ثم يأتي دور المدرسة، ولا تصلح المدرسة ما لم يتعاون معها المنزل، فلا بد للمنزل أن يتعاون مع المؤسسة التعليمية، لا بد للأب أن يتعاون مع المدرس، ولا بد للأم أن تتعاون مع المعلمة، لا بد أن تتعاون أجهزة التوجيه كلها على تربية الأطفال تربية حسنة، الصحافة، الإعلام، التلفزيون، الإذاعة، السينما.

هذه المؤسسات كلها لا بد أن تتعاون وتتكاتف لتربية طفل سليم صحيح الوجهة، صحيح الأخلاق سليم التفكير.

أمّا أن تعمل جهة على البناء وجهة على الهدم، فهذا لا يصلح.

يقول الشاعر:

متى يبلغ البنيان يوماً تاماً إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم^(٢)

ما زلنا في حاجة إلى برامج تربوية سليمة، تنشئ الطفل النشأة المنشودة، ما زلنا نعتمد إلى اليوم على ما يأتي إلينا من الغرب وأمريكا، من أفلام العنف، أو الأفلام الخيالية، وغير ذلك.

(١) انظر: ديوان حافظ ص ٢٧٠، تصحيح أحمد أمين بك وآخرين، نشر دار المعارف، القاهرة،

ط ٣، ١٩٤٨م.

(٢) من شعر صالح بن عبد القدوس، كما في البيان والتبيين للجاحظ (٢٥٨/٣)، نشر دار ومكتبة

الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

ونحن قادرون على أن ننشئ لهم برامج تنشأ من بيئتنا، من تراثنا، مستمدة من عقيدتنا، من أصولنا وجذورنا، لا بد أن نتعاون على هذا، ونحن قادرون على ذلك إن شئنا.

الاهتمام بالأطفال هو اهتمام بمستقبل الأمة:

الكلُّ مسؤول عن الأطفال، عن رجال الغد.

إننا - أيها الإخوة - حين نهتمُّ بأطفالنا، إنَّما نهتمُّ بمستقبل أمّتنا، وإذا أضعناهم فقد أضعنا مستقبل الأمة، الآباء والأمّهات مسؤولون بالدرجة الأولى عن أطفالهم.

إنَّ بعض الأطفال يتامى وآباؤهم وأمّهاتهم أحياء؛ فاليتيم ليس فقد الأب والأم بالموت، قد يكون الأب موجوداً والأم موجودة، ولكن لا أثر لهما في حياة أولادهما، ورحم الله شوقي حين قال:

ليس اليتيم من انتهى أبواه من همّ الحياة وخلفاه ذليلاً
إنَّ اليتيم الذي تلقى له أمّاً تخلّت أو أباً مشغولاً^(١)

أمّ تخلّت عن واجبها في الرعاية والتربية، أو أب مشغول بنفسه، ومصالحه، ولذائذه عن تربية أولاده.

الأطفال أمانة، ورعاية الأولاد من كلّ ناحية واجب على الآباء والأمّهات.

لقد كان السلف الكرام يُسوّون بين أبنائهم في القبلات، يعني: إذا قبّل طفلاً قبّل أخاه أو أخته.

لا تظن أنه لا يفهم؛ لأنّه صغير لا يعي ولا يدرك.

(١) انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١/١٨٣)، نشر دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.

لا؛ إنه يعي ويدرك منذ يولد، بالفطرة، بالغريزة، بالإلهام، بالإحساس، ولذلك لا ينبغي أن تدلّ واحداً على حساب آخر، أن تهتمّ بطفل وتترك أخاه أو أخته.

إنَّ يعقوب عليه السلام اهتمَّ بأحد أبنائه، فكان من نتيجة ذلك، ما قصّه الله علينا: ﴿ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ [يوسف: ٩]، ما قصّ القرآن علينا هذا إلا للعبرة، لنحاول التسوية بين أولادنا في كلِّ شيء في العطاء المادي، والعطاء المعنوي، في الرعاية الماديّة والرعاية النفسيّة والعاطفيّة.

ينبغي أن نهتمّ بهؤلاء الأولاد أيّاً كانوا، ذكورا أو إناثا.

عندما جاء الإسلام أصبح الإنسان يفرح بأولاده أيّاً كانوا، ولو كانوا بنات، والشاعر يقول في ذلك:

لولا بُنَيَاتٌ كَرُغِبِ الْقَطَا رُدِدْنَ مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ
لكان لي مُضْطَرَّبٌ وَاسِعٌ فِي الأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ
وَإِنَّمَا أَوْلَادُنَا بَيْنَنَا أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الأَرْضِ
إِنْ هَبَّتِ الرِّيحُ عَلَى بَعْضِهِمْ امْتَنَعَتْ عَيْنِي مِنَ الغَمَضِ^(١)

هذه هي عاطفة الأبوة، (أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض)، فيجب أن ترعى كبدك التي تمشي على الأرض، لا ينبغي أن تهمل هذه القطعة منك، لا يجوز أن تهمل بضعة منك، ولا تعطيتها حقّها.

إنَّ علينا لأطفالنا واجبات كثيرة.

(١) من شعر حطّان بن المعلى. انظر: ديوان الحماسة (١٠٢/١)، تحقيق عبد الله بن عبد الرحيم العسيلان، نشر جامعة الإمام، السعودية، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

عناية الإسلام بالطفل قبل أن يولد:

الإسلام عُنِيَ بالأولاد منذ ولادتهم، بل قبل ولادتهم؛ فالجنين في بطن أمّه له حقوق، حتّى إنّ المرأة الحامل إذا كان صوم الفريضة - صوم رمضان - يؤثّر على جنينها، فقد شرع الله لها أن تفطر، ولا تضرّ جنينها.

حتى إذا كان الجنين من حرام، فالإسلام يحترم حياته، ولمّا جاءت المرأة الغامدية تقول للنبي ﷺ: «إنّها زنت، وهي حُبلى من الزنى، قال: «اذهبي حتّى تلدي»، ولمّا ولدت وجاءت به على يديها قال: «اذهبي حتّى تطفميه»^(١).

وهكذا يرفع الإسلام حقّ الطفولة، ولو كان هذا الطفل من حرام، ولهذا نجد في الفقه الإسلامي أحكام اللقيط، وهو الطفل الذي يلتقط من الطريق ولا يُعرف له أب أو أم، وفي الغالب يكون ثمرة للقاء مُحَرَّم، ولكن ما ذنبه؟! والله يقول: ﴿وَلَا تُزْرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

مَنْ أخذ هذا الطفل والتقطه وربّاه ورعاه فله أجر عظيم، وإذا لم يكن في النَّاس مَنْ يتولّى أمره، فالدولة الإسلاميّة مسؤولة عن تربيته ورعايته، وأن تخصّص له مَنْ يربّيه وينفق عليه من بيت مال المسلمين.

أبواب فقهية كاملة للعناية بالطفل:

مَنْ قرأ الفقه الإسلامي وجد هناك عدّة كتب وأبواب، كلّها لرعاية الأطفال، هناك باب العقيقة، وهي الذبيحة التي تُذبح في اليوم السابع

(١) إشارة إلى حديث: جاءت الغامدية، فقالت: يا رسول الله، إنّي قد زنت فطهرني. وأنّه ردها، فلما كان الغد، قالت: يا رسول الله، لم تردني؟ رواه مسلم في الحدود (١٦٩٥)، عن بريدة بن الحصيب.

من ولادة المولود؛ شكرًا لنعمة الله تبارك وتعالى، وإظهارًا للفرحة، وتوسعة على عباد الله، في يوم السابع، أو الرابع عشر، أو الحادي والعشرين، أو في حين يتيسر له بعد ذلك.

وهناك أحكام المولود، وهي الأحكام التي تترتب على الولادة، من تسمية المولود تسمية حسنة، والتصدق بوزن شعره فضة، والذبح عنه إلخ، وفيها كتب الإمام ابن القيم رحمه الله كتابًا سماه: «تحفة المودود بأحكام المولود».

وهناك باب الرضاع، ويشتمل على الأحكام المتعلقة بإرضاع الطفل، حتى في طلاق الأم، وهو ما نصّ عليه القرآن في قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، والمقصود بالوالدات: هم المطلقات.

وقد نصّ القرآن على ذلك خشية أن تؤدّي المكايدة بين الرجل ومطلقة إلى إهمال الطفل الرضيع، ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

رأينا هذا التفصيل والاهتمام بأمر الطفل الرضيع؛ حتى لا يضيع بين أبوين متشاكسين.

وهناك كتاب الحضانة في الفقه الإسلامي، وهو يُعنى بحضانة الطفل إذا طُلقت أمّه، وانفصلت عن أبيه، لمن تكون هذه الحضانة.

وقد نظمت ذلك الشريعة الإسلامية، وجعلت هناك مراتب للحضانة، ومن أحق الناس بحضانة الطفل، أمه أولاً، ثم إذا تزوجت فأقارب الأم، ثم أقارب الأب من النساء، وجعل النساء أحق بالحضانة من الرجال؛ لأنهن أحنى وأرحم وأرفق، والطفل في سن الصغر بحاجة إلى الحنان، بحاجة إلى العواطف، بحاجة إلى المشاعر الفيّاضة.

وهناك كتاب النفقات، وحقّ الطفل في النفقة، إلى آخر تلك المباحث الموجودة في كتب الفقه الإسلامي.

إنّ من يقرأ كتب الفقه الإسلامي يجد أن هناك اهتماماً بالغاً بأمر الأطفال، فهل نعي هذا - نحن المسلمين، هل نرعى حقّ أطفالنا؟! هل نوذّي واجبنا نحوهم، ونرعى الله فيهم؟

قوا أنفسكم وأهليكم نارا:

يقول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: علموهم الخير^(١).

فاحم ولدك من النار، ق أولادك النار، بأن تعوّدهم العادات الحسنة، وأن تربيهم على فضائل الإسلام، وعقائد الإسلام، وأخلاق الإسلام، وآداب الإسلام.

وينشأ ناشئ الفتيان منّا على ما كان عوّده أبوه^(٢)

(١) رواه الحاكم في التفسير (٤٩٤/٢)، وصحّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وقال ابن حجر في فتح الباري (٦٥٩/٨): رواه ثقات.

(٢) من شعر أبي العلاء المعري، كما في اللزوميات (٤١٣/٢)، تحقيق أمين الخانجي، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة.

ومن شبَّ على شيء شاب عليه، ومن شاب على شيء مات عليه.
 ومن لم يذُق مرَّ التعلُّم ساعةً تجرَّع ذلَّ الجهلِ طولَ حَيَاتِهِ
 ومن فاتته التعليم وقتَ شبابه فكبَّرَ عليه أربعًا لوفاته^(١)
 فالعلم في الصغر كالنقش على الحجر^(٢).

ولذلك حاول أن تُعلِّم طفلك في الصغر، في عهد الطفولة، حاول أن تكون معه، حاول أن تهتمَّ به، لا تقل: إنِّي أطعمه، وأكسوه، وأوفِّر له المال.

فليست هذه هي التربية؛ فقد تكون الأموال مفسدة له، ربَّما كان المال الكثير في يده مضيعة له، ومفسدة أيُّ مفسدة.

هل عرفتَ مَنْ صديق ولدك، مَنْ يصادق، ومن يصاحب؟! وإذا خرج من البيت أين يذهب؟! وإذا سهر أين يسهر؟! هل جلستَ مع ولدك وسألته وعرفتَ أحواله؟!!

لا بدَّ أن تسأل وتعرف، لا يكفي أن تُطعمه وتكسوه، ثمَّ تدَّعه للحياة وما فيها من شياطين وفرايين، ثمَّ يكون مصيره إلى النَّار وبئس القرار.

هل تحبُّ وهل ترضى، وهل تطاوعك نفسك، أن ينتهي مصير ولدك وفلذة كبذك إلى النَّار؟

﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحریم: ٦].

(١) ديوان الشافعي ص ٥٢، تحقيق د. مجاهد مصطفى بهجت، نشر دار القلم، دمشق، ط ١،

١٩٩٩م.

(٢) من قول الحسن البصري، انظر: الكنى والأسماء للدولابي (٦٣٩/٢) رقم (١١٤١)، تحقيق نظر

محمد الفاريابي، نشر دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.



اهتمُّوا بأطفالكم، اهتمُّوا بأبنائكم وبناتكم، أدُّوا حقَّ الله تعالى عليكم، فإنَّ الله سائلكم يوم القيامة، كما في الحديث، يقول ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّنْ اسْتَرَعَاهُ، حَفِظَ أُمَّ ضَيْعٍ»^(١)، ويقول ﷺ: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ»^(٢).

أَسْأَلُ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - أَنْ يَغْفِرَ لَنَا، وَأَنْ يُوَفِّقَنَا لِمَا يَحِبُّ وَيَرْضَى، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

* * *



(١) رواه النسائي في الكبرى في عشرة النساء (٩١٢٩)، وأبو عوانة في الحدود (٧٠٣٦)، وابن حبان في السير (٤٤٩٢)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرطهما. وصحَّح إسناده الحافظ في الفتح (١١٣/١٣)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٢٧١)، عن أنس.

(٢) رواه أحمد (٦٨٤٣)، وقال مخرَّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الزكاة (١٦٩٢)، عن عبد الله بن عمرو. وهو عند مسلم في الزكاة (٩٩٦) بلفظ: «كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته».

الخطبة الثانية

الحمد لله، ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [غافر: ٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التغابن: ١].

وأشهد أن سيّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبينا محمّداً عبداً لله ورسوله، البشير النذير، والسراج المنير، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسنته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.
أمّا بعد:

ورد أنه في يوم الجمعة ساعة إجابة لا يدعو بها عبد مسلم بخير إلا استجيب له^(١)، ولعلها تكون هذه الساعة.

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله، ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ونبيك محمّد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠].

وأقم الصلاة.

(١) إشارة إلى الحديث المتفق عليه الذي رواه البخاري (٩٣٥)، ومسلم (١٥٢)، كلاهما في الجمعة.



كفالة الإسلام للأيتام

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

اهتمام الإسلام باليتيم:

فقد تحدّثنا في الجمعة الماضية عن رعاية الإسلام للطفولة، عن اهتمام هذا الدين العظيم بهؤلاء الأطفال، ذكورا كانوا أو إناثا، وأوجب لهم من الرعاية وحسن التربية ما ينبغي أن يلتفت إليه المجتمع المسلم، وأن يعطيه حقّه من العناية والاهتمام.

تحدّثنا عن الطُّفولة، وعن حقِّ الطُّفولة في الرعاية الماديّة والصحية والعاطفية، والاجتماعيّة والتربويّة.

واليوم نتحدّث عن نوع من الطُّفولة، قد يغفل عنه النَّاس، اهتم به الإسلام غاية الاهتمام؛ فربّما يهتمُّ النَّاس بأطفالهم وأولادهم، بحكم عاطفة الأبوة والأمومة، وحكم هذه الغريزة الفطريّة، ولكن قد لا يهتمُّ النَّاس بأطفال غيرهم، وخصوصا إذا كان هؤلاء الأطفال ليس لهم من يدفع عنهم، أو يحميهم، أو ينصرهم، وهؤلاء هم اليتامى.

واليتيم هو: مَنْ فقد أبويه، أو فقد أباه خاصّة، وربّما يطلق - أيضًا - على مَنْ فقد أمّه.

هذا اليتيم يحتاج إلى رعاية وعناية بالغة، ولهذا جاءت آيات كتاب الله تترى، وجاءت أحاديث رسول الله ﷺ مؤكّدة الأمر برعاية اليتيم، والنهي عن إيذائه.

ويجب أن يُرعى اليتيم من ناحيتين: من ناحية شخصيته أولاً، ومن ناحية ماله - إن كان له مال - ثانيًا.

١ - الرعاية الشخصية والنفسية لليتيم:

شخصيّة اليتيم يجب أن تُرعى، يجب المحافظة على شخصيته، يجب علينا ألا نجرح إحساسه، أو نوذّي شعوره، أو نقهره ونؤذله، أو نحطم شخصيته، ونُرهب نفسيته، فينشأ ساخطًا على مَنْ حوله، شاعرًا بالهوان، شاعرًا بالذلّ، شاعرًا بالحقْد على مجتمع ضيّعه أو أهانه أو حطّمه، وبذلك يكون معولاً من معاول الفساد والهدم للمجتمع بعد ذلك.

فالمجتمع حين يرعى اليتيم، يرقاه لحقّ نفسه، ولحقّ المجتمع ذاته، إنّه إن أصلحه ورعاه، وعُني به وربّاه، كان عضوًا صالحًا في جسم المجتمع، وربّما كان عبقرًا من العباقرة، أو نابغة من النوابغ، أو مصلحًا من المصلحين، أو عالمًا من العلماء، أو أديبًا من الأدباء. فكم من هؤلاء اليتامى نفع الله به مجتمعات بأسرها.

اليتيم العظيم:

وبحسبكم أنّ أعظم إنسان في الوجود محمّد ﷺ كان يتيماً، كان الرجل الذي هزّ العالم كلّهُ، وغير وجهته، وهداه من ضلالة، وعلمه من

جهالة، وأخرجه من الظلمات إلى النور، كان يتيماً، قال تعالى: ﴿الْمَ
يَجِدُكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ [الضحى: ٦].

أواه الله ﷻ، وهياً له من يؤويه، ومن يرعى يتيماً؛ فقد مات أبوه وهو
حمل في بطن أمه، فرعاه جدّه، ومات جدّه فرعاه عمّه، وهكذا.

ولذلك قال له الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩]، لا بدّ أن
تذكر أنك كنت يتيماً فأواك الله، فلا بدّ أن ترعى لليتامى حقوقهم،
ولا تقهر اليتيم، لا يجوز لك أن تقهره وتذلّه، فتحطّم شخصيته ونفسيته.

الإساءة إلى اليتيم دليل التكذيب بالقيامة:

جعل القرآن من الدلائل على الكفر، والتكذيب بالإسلام، أو
التكذيب بالجزاء عند الله، التكذيب بيوم الدين، هذه النفسية الأنانية
القاسية، التي لا تعرف إلا ذاتها، وتنكر حقّ غيرها، ولا سيما حقّ
الضعفاء، الذين لا حول لهم ولا طول، ولا سند لهم ولا ناصر، ومن
هنا قال الله تعالى في السورة التي نحفظها جميعاً: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي
يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾﴾ [الماعون: ١، ٢] هل عرفت
ذلك الكافر المكذّب بالدين؟ أي: الجزاء والحساب عند الله، إذا أردت
أن تعرفه وتعرف صفاته وملامحه: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٣﴾﴾ ولا
يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٤﴾﴾ [الماعون: ٢، ٣]، إنه ذو القلب القاسي، إنه
الإنسان الذي يعيش لنفسه، ولنفسه فقط، ولا يحترم الآخرين ولا يحنو
عليهم، لا يعرف للضعفاء حقاً، يدع اليتيم، يدفعه بعنف، يكلمه
بخشونة، يعامله بقسوة، ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٥﴾﴾ ولا يُحِضُّ عَلَىٰ
طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٦﴾.

مع أنّ الواجب على المسلم أن يُطعم المسكين إن قدر، وإن لم يقدر
يحثّ الآخرين على إطعامه، فهما واجبان: إطعام المسكين لمن قدر
عليه، وحضّ الآخرين على إطعامه.

ولهذا ذمّ الله المجتمع الجاهلي المتظالم بقوله: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ
الْيَتِيمَ * وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا
لَمًّا * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ١٧ - ٢٠].

المجتمع الجاهلي مجتمع متظالم، كلُّ واحد فيه يعيش لنفسه
ولشهواته، ولمصالحه الخاصّة، الضعفاء فيه مأكولون، تدوسهم الأقدام،
وتفترسهم أنياب الأقوياء، لا يُرحمون، ولا يُكرمون، ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ
الْيَتِيمَ * وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾.

أمّا المجتمع المسلم فهو يرفع الضعفاء، يتقي الله في الضعفاء، كما
ورد في بعض الأحاديث: «اتَّقُوا اللَّهَ فِي الضَّعِيفِينَ: المرأة واليتيم»^(١)،
وقال: «اللهم إني أخرج حقّ هذين: المرأة واليتيم»^(٢). «أخرج حقهما».
أي: ألحق الحرج والإثم بمن ضيع حقهما، وأزجر عن ذلك زجرًا شديدًا.

وفيما رواه ابن ماجه، قال عليه السلام: «خير بيت في المسلمين بيت فيه
يتيمٌ يُحسن إليه، وشرُّ بيت في المسلمين: بيت فيه يتيم يُساء إليه»^(٣).

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٥٤٢)، عن أنس.

(٢) رواه أحمد (٩٦٦٦)، وقال مخرّجوه: إسناده قويٌّ. وابن ماجه في الأدب (٣٦٧٨)، والنسائي
في الكبرى في عشرة النساء (٩١٠٤)، وقال النووي في رياض الصالحين (٢٧٠): حسن
صحيح. عن أبي هريرة.

(٣) رواه ابن ماجه في الأدب (٣٦٧٩)، والبخاري في الأدب المفرد (١٣٧)، وضعفه العراقي في
تخريج الإحياء ص ٦٧٠، وضعف إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة (١٠٣/٤)، وضعفه
الألباني في الضعيفة (١٦٣٧)، عن أبي هريرة.

خير البيوت بيت يُؤوي يتيماً، يجعله كأحد أفرادهِ، يعيش معهم طاعماً، شارباً، كاسياً، متعلماً، كأنه أحد أبناء هذا البيت، مَنْ فعل ذلك وجبت له الجنة، وقد قال ﷺ: «مَنْ ضَمَّ يتيماً بين أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه، حتَّى يستغني عنه، وجبت له الجنة البتَّة»^(١)، أي: حتماً.

فمَنْ أراد الجنة فليكفل يتيماً.

فضل كفالة الأيتام:

وقد قال رسول الله ﷺ معلناً على أصحابه: «أنا وكافلُ اليتيم في الجنة هكذا» وقال بإصبعيه السبابة والوسطى^(٢).

وجاء في الصحيح - أيضاً: «كافل اليتيم له أو لغيره، أنا وهو كهاتين في الجنة» وأشار بالسبابة والوسطى^(٣)، يعني: سواء كان هذا اليتيم قريباً له، أو ليس ذا قرابة، يشمل هذا (العمّ) إذا ضمّ أبناء أخيه، أو بنات أخيه، ويشمل هذا (الأمّ) إذا أحسنت تربية أولادها، بنيتها وبناتها، إذا عكفت عليهم بعد موت زوجها.

وقد جاء في الحديث: «أنا أول مَنْ يُفتح له باب الجنة، إلاّ أنّه تأتي امرأة تبادرني، فأقول لها: ما لك، ومَنْ أنت؟ فتقول: أنا امرأة قعدت على أيتام لي»^(٤)، أي: إنّها تأيّم بعد زوجها، وعكفت على أولادها تربّيتهم

(١) رواه أحمد (١٩٠٢٥)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره. وأبو يعلى (٩٢٦)، والطبراني (٣٠٠/١٩)، وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٣٨٣٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٥١٦)، عن مالك بن الحارث.

(٢) رواه البخاري في الطلاق (٥٣٠٤)، عن سهل بن سعد.

(٣) رواه مسلم في الزهد (٢٩٨٣)، عن أبي هريرة.

(٤) رواه أبو يعلى (٦٦٥١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٥١٩): فيه عبد السلام بن عجلان، وثقه أبو حاتم وابن حبان، وقال: يخطئ ويخالف، وبقية رجاله ثقات. عن أبي هريرة.

وترعاهم، وحرمت نفسها من الزواج؛ خشية أن ينظر زوجها إلى أبنائها شزرًا، أو لا يعطيهم إلا نزرًا، ولا يكلمهم إلا عنفًا، فحرمت نفسها من الزواج، وعاشت لأولادها الأيتام، فهي تبادر رسول الله ﷺ إلى الجنة.

كافل اليتيم في الجنة بجوار النبي ﷺ، بالقرب منه، وأيُّ درجة أعلى من هذه الدرجة؟! وأيُّ مقام أسمى من هذا المقام!؟

﴿ فَلَا أَفْحَمَ الْعُقَبَةَ * وَمَا أَدْرَنكَ مَا الْعُقَبَةُ * فَكُ رَقَبَةً * أَوْ إِطْعَمُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ [البلد: ١١ - ١٦].

إذا أطعم الإنسان في أيام السَّغْب والمجاعات والأزمات يتيمًا ذا مقربة منه، له حقُّ الرحم، وحقُّ القربى، وحقُّ اليتيم، فهذا ممَّن اقتحم العقبة، واقتحم الطريق إلى الجنة.

وهكذا أراد الإسلام أن يعلمنا الحنوّ على هذا الصنف الضعيف من النَّاس، حتّى ينشأ نشأة سوية، حتّى يكون له الحقُّ في العيش في هذا المجتمع، باعتباره عضوًا منه، لا باعتباره غريبًا عنه، فينشأ يحبُّ النَّاس ويحبُّونه، ويألفهم ويألفونه، ويكون بذلك نافعًا لنفسه، ونافعًا لأسرته، ونافعًا لمجتمعه.

العناية باليتيم من أهمِّ التعاليم التي جاء بها الإسلام، فلا يجوز أن يُقهر، ولا يجوز أن يُهان، ولا يجوز أن يُدعَّ ولا أن يُنهر، وإنَّما ينبغي أن يُعامل المعاملة اللطيفة، المعاملة الحانية.

ومن الأشياء التي وصّى بها النبي ﷺ: المسح على رأس اليتيم؛ فقد شكَا رجل إلى النبي ﷺ قسوة قلبه، فقال له: «امسحْ على رأس اليتيم، وارحمِ المسكين»^(١).

(١) رواه أحمد (٧٥٧٦)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. والبيهقي في الجنائز (٦٠/٤)، وحسن إسناده ابن حجر في فتح الباري (١٥١/١١)، عن أبي هريرة.



وهذا دلالة على أنه يريد أن يلاطفه، ويعامله المعاملة الطيبة.

هكذا ينبغي أن يُعامل اليتيم، لا ينبغي أن يُعامل بعنف؛ لأنه لا أب له.

حق الأيتام في الأموال العامة:

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْجَاهِلِينَ جَعَلَ لِلْأَيْتَامِ حَقًّا فِي الْأَمْوَالِ الْعَامَّةِ، وَجَعَلَ النِّفْقَةَ عَلَى الْيَتِيمِ مِنْ أَوْجِبِ الْأَشْيَاءِ إِذَا كَانَ فَقِيرًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ٢١٥].

وَجَعَلَ لِلْأَيْتَامِ حَقًّا فِي خَمْسِ الْغَنَائِمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ، وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١].

وَجَعَلَ لِلْأَيْتَامِ حَقًّا فِي الْفِيءِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الحشر: ٧].

وَجَعَلَ لَهُمْ حَقًّا فِي الْقِسْمَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٨].

كثرة الأيتام في مجتمع المدينة:

المجتمع الإسلامي مجتمع لا يقبل الضيم، ولا يقبل أن يُغزى في عُقر داره، إنه يجاهد في سبيل الله، ويردُّ عدوان المعتدين، ولهذا لا عجب أن يكون في هذا المجتمع شهداء، ولا عجب أن يكون لهؤلاء الشهداء أبناء، فهل يُترك أبناء الشهداء؟

لا! لا يجوز أن يُتركوا، لا بدّ أن تكون لهم الرعاية، وقد قال ﷺ: «وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا»^(١).

فكيف إذا استشهد في سبيل الله، لا بدّ أن يُخلف في أهله وأولاده بخير، وهذا ما كان عليه المجتمع المسلم الأول، ما كان يُترك يتيم.

وكان تعدّد الزوجات من الأسباب التي جعلت هناك تكافلاً في المجتمع، لا يكاد الرجل يستشهد حتّى يجد من إخوانه المؤمنين من يتزوج امرأته، ومن يضمّ عياله إلى عياله، فيصبح الجميع أسرة واحدة.

هكذا كانوا حتّى نسي المسلمون تعاليمهم، وأصبحنا اليوم نجد اليتامى لا عائل لهم.

ففي بلاد كثيرة اليوم نجد من أبناء الشهداء من المشرّدين الذين ذهب آباؤهم في الحروب والفتن والمصائب التي نزلت بالمسلمين، آلافًا مؤلفة، بل عشرات الآلاف، بل مئات الآلاف من أطفال المسلمين لا يجدون من يؤويهم.

منذ مدّة قليلة شكا إخوتنا في إحدى البلاد الإفريقية بأن عندهم نحو ثلاثين ألف طفل، يحتاجون إلى من يرعاهم، فلم يتقدّم من أصحاب الملايين والبلايين من المسلمين، من يقول: نحن نؤوي هؤلاء.

فجاء من أصحاب الملايين الغربيين (النصارى) من قال: نحن مستعدّون لإيواء هؤلاء.

فهل يُؤوونهم لله؟! هل يدعونهم بدون تأثير في دينهم وعقيدتهم؟

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٤٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٩٥)، عن زيد بن

خالد الجهني.

وفي كلِّ البلاد التي حولنا، ممَّن أصابتهم الحروب وويلاتها، هناك في لبنان، في فلسطين، في أفغانستان، في إريتريا، في الصومال، في الفلبين، بلاد كثيرة بها آلاف مؤلَّفة من المشرَّدين من الأطفال، الذين لا أب لهم ولا عائل، ألا يستحقُّ هؤلاء من المسلمين أن يرعوهم، ويقوموا بأمرهم؟

هناك كثير من أهل الخير، حاولوا أن يكون لهم فضل في ذلك، ونظَّمت بعض البلاد من حولنا هذا الأمر، وجدنا من الأغنياء القادرين مَن قال: أنا أنفق على عشرة، ويؤخذ منه المال ليُنفق في أفغانستان، أو لبنان، أو في الصومال، أو في غير ذلك، ومَن قال: أنفق على مائة، ومن قال: عليَّ خمسون، ومَن قال: خمسة، ومَن قال: واحد؛ حتَّى يكون في الجنَّة بجوار النَّبي ﷺ.

لا يجوز لنا أن نُهمل اليتامى، لا بدَّ من رعايتهم، لا بدَّ من العناية بهم، بالمحافظة على شخصيتهم؛ حتَّى لا يضيعوا ولا يُظلموا في المجتمع، حتَّى لا يبكي يتيم في المجتمع لا يجد مَن يشفق عليه، ولا يقوم بأمره، وقد قال بعض السلف: إِيَّاكَ واثنتين فإنهما يسريان بالليل والنَّاس نيام: دمة اليتيم، ودعوة المظلوم^(١).

احذروا أن يبكي اليتامى أو يُضيَّعوا، جاء الإسلام ليُحافظ على نفسية اليتيم وشخصيته، وجاء من ناحية أخرى ليحافظ على أمواله وثروته.

٢ - الرعاية الماليَّة للأيتام:

بعض النَّاس يجد أموال اليتيم غنيمة، يريد أن يأخذه بغير حقٍّ، والله تعالى قد عني في كتابه بهذا الأمر، عني القرآن به منذ السور المكيَّة، في

(١) رواه ابن أبي الدنيا في العيال (٦١٣)، من قول أبي الدرداء، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف، نشر دار ابن القيم، الدمام، ط ١، ١٩٩٠م.

الوصايا العشر في سورة الأنعام، وفي وصايا سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأنعام: ١٥٢، والإسراء: ٣٤]، أي: إذا كانت هناك طريقتان في تنمية المال، وتثميته والحفاظ عليه: طريقة حسنة، وطريقة أحسن منها، فلا يجوز لنا أن نقرب مال اليتيم إلا بالطريقة التي هي أحسن.

نحرص على أحسن الطرق، وأحسن الأساليب، وأحسن الوسائل؛ لحفظ مال اليتيم واستثماره.

ولهذا أوصى النبي ﷺ، وأوصى أصحابه، بحسن تثمير أموال اليتامى وتنميتها؛ حتى لا تأكلها الزكاة.

لا يجوز أن يترك مال اليتيم دون أن ينمى ويؤثمر ويؤاجر فيه بأحسن الوسائل؛ حتى لا تأكله الزكاة؛ فمذاهب الأئمة الثلاثة أن الزكاة واجبة في مال اليتيم، خاصة إذا كثر.

فإذا أخذت منه الزكاة كل سنة، مع النفقة المستمرة، يمكن أن تأكله النفقة والصدقة، فلا بد أن يؤثمر وينمى.

التحذير من أكل مال اليتيم:

وقد جاءت قوارع الآيات القرآنية التي تزلزل القلوب بوعيدها من أجل أموال اليتامى، والحفاظ على أموال اليتامى، تخاطب الأقرباء والبُعداء، الأولياء وغير الأولياء، من الطامعين في مال اليتيم، فقال تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ أَلْيَمَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَلَا تَتَّبِعُوا الْخَيْثَ بِالْطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَابْتُلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾،

ولا يأخذ أجرته من مال اليتيم، ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦].

وحذر القرآن الناس أن يُصيب أولادهم ما أصاب هؤلاء اليتامى، فإن أحدًا لا يضمن عمره، ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩]، عامل أولاد الناس بما تحب أن يُعامل الناس به أولادك من بعدك إذا ميت.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، انظروا إلى هذا الوعيد الهائل، إنها النار تُقذف في قلوبهم قذفًا، إنها الحجارة تملأ بها أشداقهم فتدخل إلى جوفهم.

أموال اليتامى يجب أن تُنمى، وأن يُحافظ عليها، وأن تُستثمر لصالحهم، ولا يجوز أن يُؤكل منها إلا بالحق، لمن كان في حاجة، أو كان فقيرًا، ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٦].

وقد جعل النبي ﷺ من السبع الموبقات، أي: المهلكات، للفرد والجماعة، والأسرة والمجتمع، في الحديث: «اجتنبوا السبع الموبقات».

قالوا: يا رسول الله، وما هن؟

قال: «الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّخْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ»^(١).

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الوصايا (٢٧٦٦)، ومسلم في الإيمان (٨٩)، عن أبي هريرة.



فجعل أكل مال اليتيم من الموبقات المهلكات.

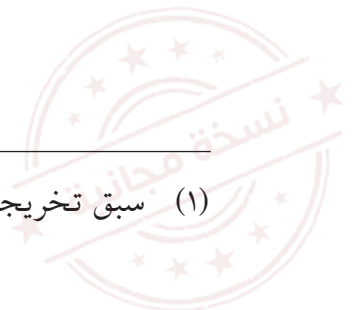
فيا أيُّها الإخوة، حافظوا على اليتامى، حافظوا على شخصيّة اليتامى، وحافظوا على ثروة اليتيم، وأموال اليتيم، ارعوا حقَّ هؤلاء الضعفاء، عسى الله يرحمنا إذا رحمناهم، «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»، ف«الراحمون يرحمهم الرحمن»^(١).

أسأل الله ﷻ أن يغفر لنا، ويرحمنا برحمته؛ إنَّه هو الرحمن الرحيم، واستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *



(١) سبق تخريجه ص ١٧٤.





الأمة الإسلامية بين قرنين^(١)

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

اهتمام المسلمين بما يجري حولهم:

منذ أيّام ودّعنا قرناً واستقبلنا قرناً، ودّعنا القرن العشرين واستقبلنا القرن الحادي والعشرين، القرن الذي يبدأ به المسيحيون الألفية الثالثة - كما يُسمّونها - للميلاد، وهذا القرن ليس قرناً - نحن المسلمين، قرناً هو القرن الهجري.

استقبلنا منذ عقدين من الزمن القرن الخامس عشر الهجري، هذا هو قرناً، ولكننا لا نستطيع أن نتجاهل القرن الميلادي، فهو الذي يحكم العالم الآن، والتاريخ الميلادي يحكمنا - نحن المسلمين، حتّى إنّ كثيراً من المسلمين لا يعرفون تاريخ اليوم بالتاريخ الهجري، وكم نحن في الشهر الهجري، وأصبحت المؤسسات الحكومية والمالية وغيرها تعمل وفق التاريخ الميلادي، فلماذا لا يسعنا أن نتجاهل هذا الأمر، وهو أمر عالمي، والمسلمون يجب أن يهتمّوا بما يجري حولهم في العالم.

(١) أُلقيت بتاريخ ١٢ يناير ٢٠٠١م.

رأينا المسلمين منذ العهد النبوي يتتبعون أحوال العالم، وهم في مكة قليل مستضعفون في الأرض يخافون أن يتخطفهم الناس، ومع هذا تابعوا الأحداث التي تجري بين الفرس والروم.

تابعوا تلك الحرب الدائرة بين الدولتين العظميين اللتين تتنازعا على السيادة على العالم في ذلك الوقت؛ دولة الروم البيزنطية، ودولة فارس أو إيران المجوسية، ونزل في ذلك القرآن الكريم: ﴿الْمَ * غَلَبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * [الرُّوم: ١-٥].

وقفه مع إنجازات القرن الماضي:

لا يسعنا أن نتجاهل ما يجري من حولنا، ولذلك لا بد لنا - نحن المسلمين - من أن نقف وقفة إسلامية تجاه هذا الحدث العالمي، استقبال القرن الجديد، القرن الحادي والعشرين، استقبال الألف الثالث للميلاد، ماذا حققت البشرية من إنجازات خلال هذا القرن؟ وماذا حققنا - نحن المسلمين - من إنجازات ونجاحات؟ وماذا وقعنا فيه - أيضاً - من خطأ وإخفاقات؟ وماذا يعترضنا من تحديات؟

هذه وقفات لا بد منها لنعرف أنفسنا، ونعرف مواقع أقدامنا، ونعرف ماذا يتطلبه منا الزمن، وماذا نستطيع أن نفعله، وماذا ننوي أن نفعله.

هذه وقفات لا بد منها، كما يقف التاجر كل عام ليجرد دفاتره، ويراجع سجلاته، ويعرف أرباحه من خسائره، محاولاً أن يتفادى الخسائر، وأن يستكثر من أسباب الأرباح.

هذا شأن التاجر الواعي، وهذا شأن الأمة الواعية أن تقف وقفات في حياتها لتراجع نفسها، وتحاسب نفسها، العصريون يُسمّون هذا: «النقد الذاتي»، ونحن نسّميه باللغة الإسلاميّة: «محاسبة النفس»؛ «حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا»^(١).

لا بدّ أن نقف على رأس هذا القرن الجديد لنراجع ما مضى، هذا القرن كان قرناً هائلاً بالنسبة للبشريّة كلّها، وهو نهاية الألف الثانية للمسيحيّة، وقد وقف بعض الكاتبين المسلمين وسأل نفسه سؤالاً: هل كان لنا - نحن المسلمين - دور في هذه الألفيّة الثانية؟ أم لم يكن لنا دور وكان الدور لغيرنا وكنا نحن متفرّجين؟!

أين كنا في الألفيّة الأولى للميلاد:

وأحبُّ أن أقول: لقد مرّت ألفيتان على ميلاد المسيح، الألفية الأولى أدركها المسلمون في القرون الأربعة الأخيرة منها، الإسلام قد بدأ في سنة ستمائة وعشرة ميلادية، وكانت الأربعة القرون في الألفية الأولى للميلاد للمسلمين، وللإسلام، وكان الإسلام فيها هو سيّد العالم، وكانت الأمة الإسلاميّة هي قائدة الأمم، وكان التاريخ يكتب بمداد من ذهب مفاخر المسلمين ومآثرهم في أنحاء العالم، وكانت الحضارة الإسلاميّة في قمة ازدهارها، كنا نحن معلّمي البشريّة، كنا نحن قادة العلوم، كنا نحن أساتذة الحضارة للبشريّة كلّها خلال هذه القرون الأخيرة من الألفية الأولى لميلاد المسيح.

وظللنا كذلك عدّة قرون، خمسة قرون أو ستة قرون، ولم نزل نحن الأمة الأولى في العالم، كنا نحن العالم الأول، الآن يُسمّوننا: العالم

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه في الزهد (٣٥٦٠٠)، من قول عمر بن الخطاب.

الثالث، نحن جزء من العالم الثالث، العالم المتخلف، أو العالم النامي كما يُسمونه، البلاد النامية، وهناك بلاد في العالم الإسلامي لو كان هناك عالم رابع لنسبت إليه لشدة تخلفها.

نحن في أوائل الألفية الثانية كنا السادة والقادة، وكنا الأساتذة والمعلمين، ثم بدأنا ننام ويستيقظ غيرنا، ونسكن ويتحرك غيرنا، بدأنا نتخلف ويتقدم غيرنا، الذين تتلمذوا علينا فاقونا وسبقونا بمراحل، حتى أصبحنا نحن نتلمذ الآن عليهم، ونحاول أن نتعلم منهم، نتعلم منهم ما سبق أن اقتبسوه منا، ثم طوّروه وطوّروه، إلى أن أصبحوا الآن يسخّرون الطبيعة وقواها لمصالحهم.

حالة المسلمين في القرن العشرين:

هذا ما حدث - أيها الإخوة - لنا في القرون الأخيرة من الألفية الثانية للميلاد، وجاء هذا القرن الأخير، القرن العشرون، جاء هذا القرن فازداد المسلمون نومًا، وازدادوا بُعدًا عن دينهم الحقيقي، تمسّكوا بالقشور وتركوا اللبّاب، تمسّكوا بالصورة وأهملوا الحقيقة، ابتعدوا عن حقائق الإسلام، وكانت النتيجة أن ضعفوا ووهنوا، وتمزّقوا وتفرّقوا، ووجد أعداؤهم المتربّصون التاريخيون الذين غزّوهم قديمًا في أيام الحروب الصليبيّة الفرصة سانحة فأغاروا على العالم الإسلامي، وأهله في غفلة وفرقة، وتمكّنوا من هذا العالم.

كانت البلاد الإسلاميّة كلّها تقريبًا إلا المملكة العربيّة السعوديّة، كانت كلّ هذه البلاد محكومة بالاستعمار الغربي، سواء أكان استعمارًا إنجليزيًا أم فرنسيًا أم إيطاليًا أم إسبانيًا أم هولنديًا، حتى هولندا التي كان يبلغ تعدادها في ذلك الوقت خمسة ملايين كانت تحكم إندونيسيا التي

كان تعدادها في ذلك الوقت خمسين مليوناً، كانت بلاد الإسلام تحت السيطرة الغربيّة.

ومنذ أن دخل الاستعمار في بلاد المسلمين بدأ يحاول أن يُلغي هويّتها، وأن يفقدها شخصيّتها، يُحكّم قوانينه الوضعية ويحلّها محلّ أحكام الشريعة الإسلاميّة، يقيم التعليم والتربية على الأساس الغربي، ينشر التقاليد الغربيّة والمفاهيم الغربيّة عن طريق أجهزته الإعلامية.

وهكذا أصبحت الأمة الإسلاميّة في ذلك الوقت تحت سيطرة الاستعمار الغربي، الاستعمار العسكري، الاستعمار السياسي، الاستعمار الثقافي، والاستعمار الاجتماعي، حتّى الاستعمار الاجتماعي؛ نشروا التقاليد الغربيّة، حتّى رأينا الناس يقلّدون الغرب في مآكلهم ومشربهم وملبسهم، ورأينا من بعض النّساء المسلمات من تحاكي المرأة الغربيّة محاكاة القردة، وتتلقّن منها تلقّن البيغاء.

هكذا فقدت المرأة المسلمة شخصيّتها، وخلعت حجابها، ولبست كما تلبس المرأة الغربيّة في كثير من بلادنا الإسلاميّة، وإن لم تكن البلاد كلّها في مستوى واحد، هناك بلاد كان فيها هذا وهذا، وهناك بلاد احتفظت بشخصيّتها، وهي بلاد قليلة في بلاد الخليج، ولكن الأغليّة سارت وراء الغرب - للأسف - شبراً بشبر وذراعاً بذراع، وهو ما حذرنا منه النبي ﷺ حينما قال: «لَتَبْعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ سَلَكَوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكَتُمُوهُ». قلنا: يا رسول الله، اليهود، والنّصارى؟ قال: «فَمَنْ»^(١).

(١) سبق تخريجه ص ٢٥١.

العرب يذكرون جُحر الضبِّ مثلاً للضيّق والالتواء والظلمة وسوء الرائحة، وكلُّ سوء في جحر الضبِّ، ولكن لو دخل الغربيون جحر الضبِّ لدخلتموه، تظهر موضة تُسمّى «موضة جحر الضبِّ». هكذا نجد أقوامنا، وهكذا نجد أمّتنا في مرحلة الضياع والتبعية، هكذا كنّا في القرن العشرين.

قرن الثورات العلميّة عند الغرب:

القرن العشرون كان بالنسبة للغرب قرن الإنجازات الكبرى، الإنجازات العلميّة الهائلة على كلّ صعيد، الثورات العلميّة التي تحقّقت في القرن العشرين، وخصوصاً في النصف الأخير منه، وخصوصاً في السنوات الأخيرة منه؛ لأنّ العلم يثبُ وثباتٍ ووثبات، أصبحنا نتحدّث في أواخر القرن عن الثورات العلميّة التي أنجزها الغرب: الثورة التكنولوجيّة، التكنولوجيا المتطوّرة.

الثورة الإلكترونيّة التي نراها في الكمبيوتر والإنترنت.

الثورة البيولوجيّة، الجينات وهندسة الوراثة، وأخيراً اكتشاف الخريطة الجينية للإنسان، وما يحاولونه من استنساخ في مجال الحيوان، بل أصبحوا يفكّرون في استنساخ الإنسان.

الثورة الفضائيّة، كيف غزوا الفضاء بالأقمار الصناعيّة، والصواريخ الموجّهة، حتّى استطاعوا أن يصلوا إلى القمر، وأن يُنزلوا إنساناً على سطح القمر، وأن يجلبوا من القمر صخوراً وأتربة يضعونها مواضع الدراسة والتحليل، بل حاولوا أن يغزوا الكواكب الأبعد، المريخ والمشتري وغيرها من هذه الكواكب.



هذه الثورة الفضائيّة الكبرى.

الثورة الاتصاليّة، ثورة الاتصالات، العالم أصبح قرية كبرى - كما يقول بعضهم، وقد علّقتُ على ذلك وقلتُ: العالم لم يعد قرية كبرى، بل أصبح قرية صغرى؛ فإنّ القرية الكبرى لا يعلم الناس في شرقها ما يدور في غربها إلّا بعد يوم أو يومين، ولكن نحن نعرف ما يدور في العالم بعد لحظات، بل أحياناً نتابع الحدث لحظة بلحظة في حينه عن طريق التلفاز والقنوات الفضائية، نعرف ما يحدث أولاً بأول، ولم يعد العالم قرية كبرى، بل صار قرية صغرى بوسائل الاتصالات الهائلة التي عرفناها الآن، عن طريق التليفون أولاً، والبرقيات، ثمّ طريق التلكس، ثمّ طريق الفاكس، ثمّ طريق الإنترنت، هذه الطرق العجيبة التي ما كان يحلم الإنسان بها ولا تخطر ببال أكبر المغرقيين في الخيال.

ثمّ ثورة المعلومات، نحن في عصر انفجار المعرفة، أصبح هناك كمية هائلة من المعلومات، هذه الكمية أصبح ترتيبها وتبويبها وفهرستها وتنظيم الاستفادة منها علماً كبيراً هائلاً.

هذه بعض إنجازات القوم، أنجزوا في المجال العلمي إنجازات كبرى، في المجال الطبي أنجزوا أشياء هائلة جدّاً، ووصلوا إلى جراحة القلب، وجراحة الدماغ، وجراحة الأعصاب، وهذه الأشياء العجيبة.

كلُّ هذا من إنجازات العلم، هذا القرن بالنسبة للغرب يعتبر قرن الإنجازات الكبرى، العلميّة والطبية والعسكريّة، استطاعوا أن يفجّروا الذرّة، استطاعوا أن يصنعوا القنبلة النووية، والقنبلة الهيدروجينية، إلى آخر ذلك.



آفات العلم عند الغربيين:

ومن آفات هذا القرن عند الغربيين، أن العلم الذي سخره الله لهم لم يوظفوه دائماً فيما ينفع، كثيراً ما وظّفوه فيما يضرُّ بالبشريّة، كثيراً ما وظّفوه في التدمير والإهلاك، كثيراً ما وظّفوه فيما يضرُّ بالناس دينياً وأخلاقياً.

هذه آفة من آفات هذا العصر، أن العلم لم ينشأ في حضارة الإيمان. إذا نشأ العلم في حضارة الإيمان كان الإيمان له عاصماً من الشرِّ، وكان دافعاً له إلى الخير.

هذا شأن العلم في الحضارة الإسلاميّة؛ لأنّه نشأ في ظلّ حضارة ربّانية إنسانيّة أخلاقيّة.

العلم إذا نشأ في حضارة الإيمان لم يغرّ صاحبه، ولم يتأله، ولكن قال كما قال سليمان عليه السلام حينما أتى له بعرش ملكة سبأ من اليمن إلى فلسطين في لمح البصر: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]، وكما قال ذو القرنين حينما بنى سدّه العظيم: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨].

هذا العلم المقترن بالإيمان، الذي يحيا في رحاب الإيمان، لا يمكن أن يكون أداة تدمير وإهلاك.

ولكن علم الغرب نشأ بعيداً عن الإيمان؛ لأنّه نشأ وهو يناوئ الدين، الدين في الغرب كان عائقاً عن التقدّم، أعني: دين الكنيسة الغربيّة، التي تبنت نظريات قديمة يونانية، واعتبرتها معصومة مقدّسة وقاتلت كلّ من

يقول بشيء ضدها، فمن قال بكروية الأرض، أو بدورانها، أو بشيء من ذلك اعتبرت ذلك إلحادًا وكفرًا، وحاربت أهله، في حين كان المسلمون يقرُّون كروية الأرض في كتبهم الدنيَّة نفسها، في كتب التفسير، وفي كتب التوحيد.

ولذلك حينما قامت النهضة في الغرب قامت على أساس محاربة الدين الذي يعوق عن انطلاق الفكر، ويقف ضدَّ التحرُّر والتقدُّم، وكانت صيحاتهم التاريخية الشهيرة: اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس.

نشأ العلم هناك بعيدًا عن الدين، وكانت النتيجة أن رأينا هذه القنابل المهلكة والمدمِّرة التي وقعت على «هيروشيما» و«نجازاكي»، ورأينا الأسلحة الجرثومية، والأسلحة البيولوجية، والأسلحة النووية وغيرها، والأشياء المحرَّمة دوليًا، رأيناهم يستخدمونها عندما يريدون أن ينتصروا، وأن يدمِّروا قوى الشعوب التي تقاومهم، فلا يبالون بما ارتكبه حلالًا كان أم حرامًا، خيرًا كان أم شرًّا؛ لأنَّهم يريدون السيطرة والانتصار بالحقِّ أو بالباطل.

قرن الحريات وحقوق الإنسان عند الغرب:

كان هذا القرن قرن الإنجازات العلميَّة، ولكنَّه من ناحية أخرى - أيضًا - كان قرن الحريات وحقوق الإنسان، يجب أن نعترف أنَّ الغرب حقَّق الحريَّات للشعوب، حقَّق الديمقراطية التي قلَّمت أظافر السلاطين المستبدين، الذين كانوا يتحكَّمون في الشعوب، ويسوقونها كالأغنام، ولا يبالون ما أصابها من فقر أو عُسر أو مرض، حسبهم أن يتمتَّعوا، وأن يغوصوا في الحرير والذهب، ولا يبالون ما أصاب جماهير شعوبهم من بأس وبؤس.

حقَّق هذا القرن الديمقراطية، وحقَّق الحُرِّيَّة للشعوب، وأصبح من حقِّ الشعوب أن تسائل ملوكها وأمراءها وحكَّامها، وأصبح من حقِّ النَّاس أن يختاروا مَنْ يحكمهم، ومَنْ يمثلهم، وأصبح من حقِّ كلِّ إنسان أن يُحاكَم إلى قاضيه الطبيعي في محكمة علنية، وأن يحامي عن نفسه، أو يوَكَّل مَنْ يحامي عنه، وقد تُوكَّل الدولة نفسها مَنْ يحامي عنه.

لا شكَّ أنَّ هذه إنجازات مهمَّة في هذا القرن.

ولكن يعيبها - أيضًا - أنَّ الغرب كثيرًا ما يحرص على الحريات داخل بلاده، ولكنَّه لا يحقِّق للشعوب الأخرى مثل ذلك، فمعاييره مزدوجة، وهو يكيل بكيلين، ويزن بميزانين، وهذا شأن المطفئين: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿ [المطفئين: ٢، ٣].

الغرب لم يكن عادلاً في نظره إلى الحريات، وإلى العدالة الاجتماعيَّة، ويحاول أن يقيم العدالة الاجتماعيَّة في بلاده، وأن ينصف الفقراء والمستضعفين، ولكنَّه في البلاد التي كان يستعمرها أو يتحكَّم فيها كان يقف دائماً مع الإقطاعيين، ومع الرأسماليين، ومع المتسلِّطين، فلم يكن الغرب عادلاً في هذه القضية.

حرية الغرب منقوصة:

الغرب تنقصه القيم الأخلاقيَّة، ولذلك نقول: إنَّ الحريات التي آمن بها الغرب معيبة ومنقوصة من هذه الناحية.

كما أنَّ الغرب - أيضًا - في نظره إلى الحُرِّيَّة ينظر إلى الحُرِّيَّة العامَّة، ويعطي للأشخاص الحُرِّيَّة الشخصيَّة، وإن أساءت إلى العقائد والأديان والأخلاق والقيم، فمن حقِّ كلِّ إنسان أن يفعل ما يشاء.

هذه - للأسف - مهواة هوى إليها الغرب؛ فإنَّ الحُرِّيَّةَ ليست مطلقة في أيِّ شيء، ليس في العالم حرية مطلقة، كلُّ شيء له قيوده وضوابطه حتَّى يستقيم أمر العالم، هل السيَّارة تنطلق في الطريق كما تريد، أم أن هناك إشارات تضبطها، وعلامات تقيّد سيرها، هنا تمشي، وهنا تقف، وهنا تمشي على اليمين، وهنا تمشي على اليسار.

هذه قيود لا بدَّ منها، وإلا حدث الصدام، وضاعت دماء النَّاس وأموالهم. المحيطات الكبيرة البواخر التي تجري في البحر كالأعلام، كالجبال، هذه ليست حرة تسير في المحيط كما تشاء، هناك خطوط ملاحية لا بدَّ أن تسير فيها ولا تتجاوزها خشية أن تصطدم بسفينة أخرى، أو بجبل من جبال الثلج، أو نحو ذلك فتتحطّم، أو تدخل في دوامة من دوامات البحر فتبتلعها.

بل الطائرات في الجوّ هل تسير مُشرّقة ومُغرّبة، ومُيمّنة ومُيسّرة كيفما شاءت؟

لا، إنّ لها خطوطًا معلومة، ولها ضوابط مرسومة لا بدَّ أن تلتزم بها، وإلا حدث لها ما لا تحمد عقباه.

ليس في الدُّنيا شيء حرّ حرية مطلقة، ولكنهم أرادوا أن يدلّوا الأفراد بإعطائهم الحُرِّيَّةَ في أن يفعلوا في أنفسهم ما يشاؤون، ولو أضّرَّ الإنسان بنفسه، ولو أهلك نفسه، ولكن الدين جاء يقيّد الإنسان بما ينفعه ولا يضرُّه، بما يصلحه ولا يفسده، وقال له: هذا حلال وهذا حرام، وهذا فرض وهذا مستحب، وهذا طيب وهذا خبيث؛ ليحمي الإنسان من أهواء نفسه الأمّارة بالسوء، حتَّى لا يقع في المهالك وهو لا يشعر.

فلذلك - أيضًا - نرى أنّ الغرب في نظرتَه إلى الحُرّيّة لم يعرف الطريقَ المستقيم كما عرفه أهل الإسلام.

انهيار القيم الأخلاقيّة عند الغرب:

ومما يُعرف به هذا القرن عند الغربيين: أنّه قرن انهيار القيم الإيمانية والأخلاقيّة للأسف، الانتصارات العلميّة الهائلة لم يكن لها آثارها في تحرير الغرب مما يهبط به باعتباره إنسانًا مستخلفًا في الأرض.

الفلسفة المادّيّة هي التي حكمت الغرب، النظر إلى الكون والحياة والإنسان والوجود من خلال المادة.

الحضارة الغربيّة حضارة عوراء، ولذلك أنا أسمّيها: «حضارة المسيح الدجال»، وليست حضارة المسيح ابن مريم - كما يزعمون؛ فالمسيح الدجال أعور، وحضارتهم حضارة عوراء، تنظر إلى الكون والوجود بعين واحدة، هي العين المادّيّة، لا تنظر إلى الغيب، ولا تنظر إلى ما وراء اليوم، ولا تنظر إلى العالم غير المنظور، ولا تنظر إلى أنّ لهذا الإنسان رُوحًا، وأنّ لهذا الكون ربًّا، وأنّ وراء هذه الدُّنيا آخرة؛ لأنّها تنظر بعين عوراء، هي العين المادّيّة.

من أجل ذلك كان هذا القرن قرن انهيار للإيمان والأخلاق والقيم في الغرب.

الفلسفة المادّيّة، والفلسفة الإباحية التي تدلّل الإنسان ليستمتع بشهوته، ويجري وراء غرائزه، ويشبع هذه النهمة البهيمية في نفسه، وإن كان ذلك على حساب مستقبله، وعلى حساب رُوحه، وعلى حساب شفافيته، وعلى حساب اتّصاله بالسماء، واتّصاله بربّه،

﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿۱﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿۲﴾﴾ [الأعلى: ٢، ٣]، لم يدرك الغرب ذلك - للأسف، وشاعت فيه هذه الرذائل، الزنى والشذوذ الجنسي واتباع الشهوات، حتى إنه زوج الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وأقرت ذلك بعض دوله وقوانينه، وأصبح هناك أندية للعراة عرياً كاملاً، وأصبح يُدافع عن هذا، ويُدافع عن الحرّية الجنسية والإباحية الجنسية، وأصبح الناس كالبهائم يتسافدون في الطرقات، وفي المتنزهات العامّة.

كان الناس قديماً يستترون بهذه المعاصي.

الحضارة الغربيّة خلعت برقع الحياء، وجرّأت الناس أن يفعلوا المعاصي جهاراً نهاراً عياناً بياناً، هذه هي المصيبة، والمصيبة أنّها أشاعت هذا عن طريق أجهزة الإعلام، وأقرّته وقنّته، وأصبح هذا أمراً قانونياً.

ومن المؤسف أنّ بعض الكنائس وبعض القسس ورجال الدين أقرّوا هذا، وأصبحنا نقرأ في الصحف ونسمع في أجهزة الإعلام الكنيسة الفلانية وأسقفها فلاناً الفلاني يعقد زواج الرجال بالرجال، أو النساء بالنساء، ويعطي العنوان والتليفون ليذهب من يريد ذلك إليه.

هذه هي آفة الحضارة الغربيّة، أنّها ضيّعت القيم والأخلاق، وكان من فلسفتها فصل الأخلاق عن العلم، وفصل الأخلاق عن الاقتصاد، وفصل الأخلاق عن الحرب، وفصل الأخلاق عن السياسة، وفصل الأخلاق عن الحياة العامّة، العلم لا دخل له بالأخلاق، الاقتصاد لا دخل له بالأخلاق، حسبك أن تربح، الاقتصاد ناحية، والأخلاق ناحية أخرى، والحرب لا دخل لها بالأخلاق، والسياسة لا دخل لها بالأخلاق.

الحضارة الغربية عرفت شيئاً سمّوه: «الميكافيلية». فيلسوف سياسي في أوربا اسمه: «ميكافيلي» ألف كتاباً اسمه: «الأمير»، وذهب في هذا الكتاب إلى أنّ الغاية تبرّر الوسيلة، إذا كان الأمير أو السلطان أو الملك يريد أن يحقق الاستقرار والأمن والازدهار للشعب، فلا عليه أن يتخذ من الوسائل ما يشاء، ولو كانت هذه الوسائل سفك الدماء، وانتهاك الحرمات، والتجسس على الناس، وسجن الناس واعتقالهم بغير حق، واستخدام الخمر والنساء في ذلك، لا يبالي بكلّ هذا؛ فالغاية عنده تبرّر الوسيلة.

هذه هي آفة الحضارة الغربية، الحضارة الغربية - للأسف - حضارة لا تحترم الأخلاق في اتجاهها العام، وتفصل الأخلاق عن الحياة، عن السياسة، وعن الاقتصاد، ولذلك شاع ما شاع فيها من الفساد.

الحضارة الغربية تحاول معالجة أخطائها:

لكن أحبُّ أن أقول لكم أيّها الإخوة، إنّ في الحضارة الغربية مزية ليست في غيرها، إنّها قادرة على معالجة أخطائها بواسطة المؤسسات التي فيها، والتي تعطي الحرّية للناس أن ينقدوا، وأن يحاسب بعضهم بعضاً، وأن يحاولوا أن يتداركوا، فهذه المزية تعطيهم قدرة على أن يحاولوا معالجة أخطائهم، وهم يحاولون، وإن كنتُ أحسب أنّهم قلّ ما ينجحون في هذه المحاولات، ولكنها تؤخّر المصير الأسود الذي ينتظر هؤلاء الناس.

لقد انهار جزء من الحضارة الغربية أمام أعيننا، انهار الاتحاد السوفيتي على رغم ما كان يملك من قدرات علمية وتكنولوجية، وما كان يملك من ترسانات نووية وذريّة، وما كان له من قدرات عسكرية

هائلة، على الرغم من هذا كان السوس ينخر في عظامه، وكان الفساد يفعل فعله من تحت، حيث لا يرى الناس، حتى رأينا هذا العملاق يخزُ صريعاً أمام أعيننا في مدّة قليلة، وهذا ما يحدث للحضارة الغربيّة المعاصرة إلى حدّ ما.

ولذلك نحن - أيّها الإخوة - علينا أن نعتبر بهذا، ونحاول أن نأخذ من هذه الحضارة ما يليق بنا، وما يتفق مع عقائدنا وقيّمنا وشرائعنا وأخلاقنا، ولا نأخذ كلّ شيء.

نحن أمّة لها رسالتها الخالدة، ولها مميّزاتها، ولها خصائصها، فلا ينبغي أن ندوب في غيرنا، ولا أن نتنازل عن رسالتنا، ولا أن نصبح ذيولاً وأذنباً وقد خلقنا الله رؤوساً، أو نصبح عبداً وقد خلقنا الله سادة وأحراراً.

لا يجوز لنا هذا، نتعلّم من الحضارة الغربيّة، ولكن لا نفتح الباب لاقتباس كلّ شيء، ولتقليد كلّ شيء.

ولعلّ لنا وقفات أخرى في هذا القرن الجديد، أو مع هذه الألفية الجديدة، نسأل الله تبارك وتعالى أن ينير بصائرنا، وأن يفتح قلوبنا للحقّ، وأن يرينا الحقّ حقّاً ويرزقنا اتّباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويوفّقنا لاجتنابه.

اللهمّ آمين.

ادعوا الله تعالى يستجب لكم.

* * *

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

فقيه الأمة الإسلاميّة:

بالأمس ودّعت المملكة العربيّة السعوديّة أحد علمائها الكبار، بل هو أكبر عالم فيها، وهو الشيخ محمّد بن صالح بن عثيمين، عضو هيئة كبار العلماء، وأحد رجال العلم والفتوى المعدودين في عصرنا، وقد ذهب وفد من قطر شاركت فيه لتقديم العزاء لأسرة الفقيه، وللمشايخ والعلماء، وللحكومة السعوديّة، وصلينا عليه في المسجد الحرام، فرحم الله الشيخ ابن عثيمين.

لقد عاش هذا الرجل للعلم وللدين، لم يجر وراء المناصب، بل عاش مدرّساً ومعلّماً ومفتياً ومرشداً، حتّى إنّه منذ ثمان سنوات أُعطي جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام، ولكنّه لم يحضر ليتسلم الجائزة، ويلقي الكلمة التي تُقال في هذه المناسبة، وأنا ب من ألقى كلمته، ومن تقبل جائزته.

وهذا يدلُّ على أنّ هذا الرجل رجل متجرد، وليس من أهل الدُّنيا وطلابها.

لم ألقَ الشيخ ابن عثيمين في حياتي إلاّ مرّتين، مرّة في مؤتمر عالمي لمكافحة المسكرات والمخدّرات والتدخين، عُقد في المدينة المنورة، بالتعاون بين الجامعة الإسلاميّة في المدينة، ووزارة الداخلية السعوديّة، وكنا معاً في لجنة واحدة من لجان هذا المؤتمر، ورأيت فيه رجلاً فاضلاً، وعلى خُلق، يُعرف بالسماحة والابتسامه والخُلق الفاضل.

ولقيته مرة أخرى منذ سنتين في شهر رمضان لقاءً عابراً تصافحنا فيه، وحدثني حديثاً عابراً عن قضية تتعلق بالمرأة، ومنذ شهرين أو أكثر قليلاً كنت في الرياض في مؤتمر المجمع الفقهي، وعرفت أنه مريض، فقلت لصاحبي وهو أحد علماء المملكة: لنذهب إلى الشيخ ابن عثيمين لنسلم عليه، فهذا من حقّه، ونعوده في مرضه، فاتصل به ولكنه - للأسف - لم يجده، فقد كان اليوم يوم الأربعاء، وهم يخرجون عادة في يوم الأربعاء إلى الخارج.

ودّعنا الشيخ ابن عثيمين رحمهُ اللهُ، وترك وراءه علماً نافعاً، وترك وراءه تلاميذ بالمئات وبالآلاف، وترك وراءه هذا الذكر الطيب.

وهكذا الإنسان يذهب ولا يبقى إلا ذكره، حسناً كان أو سيئاً، كما قال شوقي رحمهُ اللهُ:

دَقَّتْ قَلْبَ الْمَرْءِ قَائِلَةٌ لَهُ إِنَّ الْحَيَاةَ دَقَائِقٌ وَثَوَانٍ
فَارْفَعْ لِنَفْسِكَ بَعْدَ مَوْتِكَ ذِكْرَهَا فَالذِّكْرُ لِلْإِنْسَانِ عُمُرٌ ثَانٍ^(١)

ذهب الشيخ ابن عثيمين وترك علمه، وترك ذكر الناس له، ودعوات الناس له، وترحم الناس عليه؛ فقد كان رجلاً يتبع الدليل، كما لاح له، ربّما خالفه غيره، ربّما خالفته في بعض فتاويه، ولكنه كان يتبع الدليل، ويفتي ولو خالف الناس جميعاً، وكان من فتاويه التي أفتى الناس بها: أنّ الطالب الذي يدرس في أوروبا وأمريكا واليابان وغيرها مسافر، يقصر ويجمع، وإن بقي عشر سنوات يظلّ مسافراً.

(١) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (٣/١٥٨)، قصيدته في رثاء مصطفى كامل.

وهذا خالف فيه النَّاس جميعًا، ولكنَّه رأيُه، وهذا يدلُّ على أنَّه عالم يقول ما يقتنع به ويعلنه، ولا يبالي خطأه النَّاس أم صوابه، وهذا شأن الإنسان العالم.

العالم يدين لله بما يصل إليه اجتهاده، وليس يُطلب من العالم أن يتبع آراء النَّاس، وإلا كان خيانة لعلمه، وخيانة لدينه.

هذا هو الشيخ محمَّد بن صالح العثيمين.

فقيه الشيعة في لبنان:

وفقد إخواننا الشيعة - أيها الإخوة - في لبنان عالمًا كبيرًا آخر، هو الإمام محمَّد مهدي شمس الدين، وهذا الرجل قد عرفته من العلماء الذين عاشوا عمرهم يدعون إلى التسامح لا التعصُّب، وإلى الاعتدال لا التطرُّف، وإلى الاجتماع لا إلى التفرُّق، ولذلك كان قريبًا من أهل السُّنة في لبنان، وكان صاحب رأي يعلنه، وكان ممَّن يقاوم إسرائيل والصهيونيَّة، ويقف ضدَّ التطبيع بضرارة وحماسة، وكتب في ذلك كُتُبًا، وأيد حزب الله في مقاومته، وأيد الانتفاضة الفلسطينية المباركة.

وكان له آراء يخالف فيها كبار علماء الشيعة، حتَّى إنَّه خالف الإمام الخميني نفسه في نظريته في ولاية الفقيه، وقال: إنَّ الولاية للأمة كلِّها، وليست للفقيه ولا للفقهاء وحدهم.

فهذا رجل حرٌّ من الرجال الذين فقدهم إخواننا الشيعة، وفقدتهم الأمة الإسلاميَّة.

إنَّ موت العلماء الفضلاء الكبار خسارة جسيمة، وموت العالم ثلثة في الإسلام، لا يسدُّها إلاَّ خلفٌ منه.



نسأل الله أن يرزقنا العلماء العاملين الصادقين المتبعين لمنهج الكتاب والسنة، المؤيدين بنصر الله تبارك وتعالى وتوفيقه.

نسأل الله أن يجزي كل من أدّى لهذه الأمة دورًا أن يجزيه خيرًا، وأن يرحمه ويتقبّله في الصالحين.

* * *





دور الفرد وأثره في المجتمع

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

الكلُّ يشكو فمن المشكّو؟

كلُّنا في العالم الإسلامي يشكو، ما زرتُ بلدًا إلّا ووجدتُ أهله يشكون، وما جلستُ مجلسًا إلّا ووجدتُ الجالسين فيه يشكون من سوء الأوضاع السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والعسكريّة، المحليّة منها، والقومية، والإسلاميّة عامّة.

يشكون من فسادٍ في الإدارة، وفسادٍ في التخطيط، وفسادٍ في التنظيم، وفسادٍ في التنفيذ.

كلُّ العالم الإسلامي يشكو، فما سرُّ هذا كلّ، لماذا هذه الشكوى؟ ومن المشكّو منه؟ فإذا كان الجميع شاكين، فممن يُشكى؟ وما سرُّ هذا الخلل، وما سرُّ هذا الاضطراب، ما أساس العلة والداء؟

غَيِّرْ نَفْسَكَ يَتَغَيَّرُ العَالَمُ:

العلة والداء ترجع إلى شيء واحد، إلى خلل في الإنسان نفسه،

الإنسان الفرد هو أساس المجتمع، فأصلح الأفراد تصلح المجتمعات، وإنما تصلح الأفراد بصلاح أنفسهم، وهذا قانون قرّره القرآن الكريم، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، غيّر نفسك يتغيّر التاريخ. هذا منطوق الإسلام.

إذا كانت هناك فلسفات ونظريات تقول: غيّر الإنتاج أو الاقتصاد أو علاقات القوى المنتجة بعضها ببعض، يتغيّر التاريخ، فإنّ نظرية الإسلام أنّ الذي يُغيّر الحياة، هو فكر الإنسان وعقيدته وتصوّره. إذا غيّر الإنسان من داخله، فإنك أهلّ لأن تُغيّر الحياة كلّها. ما الذي فعله النبي ﷺ؟!؟

إنّه غيّر الناس من داخلهم، غيّر ما بأنفسهم، قادهم من باطنهم، لا من ظواهرهم؛ فالإنسان ليس كالبهيمة، فبهيمة الأنعام تُقاد من آذانها، وإنما هو إنسان عاقل، له فكر وإرادة واختيار، فيقاد من عقله، ومن قلبه، ومن ضميره. وهذا ما فعله النبي ﷺ.

كان الفساد ضاربًا أظفاره في العالم عامّة، وفي ديار العرب خاصّة، فسدت العقول فعبدت الأصنام، وفسدت القلوب فوأدت البنات وقتلت الأولاد من إملاق أو خشية إملاق، وفسدت العقيدة وفسد النظام، فسد الفرد، وفسدت الأسرة، وفسد المجتمع، فسد كلُّ شيء.

الإيمان ينشئ خلقًا جديدًا^(١):

كيف عالج النبي هذا الفساد؟

(١) انظر: الإيمان والحياة ص ٢٦٤ - ٢٦٩، فصل: الإيمان والإصلاح، نشر مكتبة وهبة، القاهرة،

ط ١٨، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

إنَّه بدأ يربي الإنسان، يكوّن الإنسان في دار الأرقم بن أبي الأرقم، في هذه الحلقات الربّانية، بدأ يصنع الإنسان من جديد، وبمّ يصنع الإنسان؟ بالإيمان؛ فالإيمان هو القادر على أن يصنع الإنسان وينشئه خلقاً آخر، ويُغيّر وجهته، ويجعل له أسلوباً غير الأسلوب، ومنهاجاً غير المنهاج الذي كان له من قبل؛ فالإيمان وحده هو القادر على تغيير الإنسان، حتّى بعد أن شاب قرناه، فعادة الإنسان أنّه إذا شبّ على شيء شاب عليه، وإذا شاب على شيء مات عليه، ولكن هذه القاعدة تُخرق إذا كان الإيمان هو المغيّر، إذا كان الإيمان هو المكوّن، فإنه لا يعترف بسنّ، ولا يعترف بتقاليد، يغيّر الإنسان، يصنعه شيئاً جديداً مغايراً لما كان عليه.

أرأيتم سحرة فرعون؟

هؤلاء الحواة الذين عاشوا عمرهم في الدجل والأضاليل، يكذبون على الناس، ويأخذون أموالهم بالباطل، ويسحرون أعينهم بغير الحقّ، هؤلاء حينما استدعاهم فرعون؛ ليُقارع بهم موسى، حينما أراه موسى الآية الكبرى عصا تنقلب ثعباناً مبيّناً، قال له: عندنا من نوعك الكثير، آلاف السحرة، نستطيع أن نجنّدهم ونحشدهم في مكان واحد لترى العجب العجاب، وحشدهم، وجنّدهم، وجمعهم في يوم الزينة، في يوم عيد من أعيادهم، ومهرجان من مهرجاناتهم الشعبية، حُشر الآلاف من السحرة، وقالوا لفرعون قبل مواجهة المعركة مع موسى: ﴿أَيْنَ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنِّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ﴾ [الشُّعراء: ٤١، ٤٢].

لكم الأجر من الثُّقود والأموال، ولكم القربى والزُّلفى بالمنصب والجاه.

وهنا اطمأنت نفوس السحرة إلى وعد ذلك الجبار المتكبر، ﴿فَالْقَوَا
جِبَاهَهُمْ وَعَصِيَّتَهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ [الشُّعْرَاءُ: ٤٤].
قالوها بكل ثقة وغرور.

ولمَّا رأى موسى ما رأى، حبلاً وعصياً تملأ المكان، وأظهر القوم
من البراعة ما أظهروا، ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ
عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦]، أفرغوا كل ما في جعبتهم؛ إرضاء لخاطر فرعون،
ولكسب المعركة، وكسب ما وراءها من المال والقربى من فرعون، حتَّى
إنَّ موسى نفسه حينما رأى هذا المشهد، ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾
[طه: ٦٧]، بحكم طبيعته البشريَّة، فجاءه النداء من فوق سبع سماوات: ﴿لَا
تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ ﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ نَلَقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ
السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٨، ٦٩].

فيلقي موسى ﷺ عصاه، ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا
يَأْفِكُونَ﴾ [الشُّعْرَاءُ: ٤٥]، تحوّلت العصا إلى حيَّة فتحت فاهها؛ لتبتلع كل
العصي والحبال، وما تركت لها من أثر.

وهنا نظر السحرة، وعرفوا أن هذا ليس من صنع ساحر، قد يكون
هناك ساحر أبرع من ساحر، وأمهر منه، يستطيع أن يبطل سحره، ولكن
تبقى أدواته قائمة، فأين الأدوات، أين الحبال، أين العصي، أين ذهبت؟

هنالك رأى القوم أن هذا ليس من صنع بشر، وإنَّما هو صنع مالك
القوى والقدر، صنع الله، فخرُّوا سُجَّدًا، آمنوا عن بصيرة، وعن معرفة،
خرُّوا ساجدين، ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِدِينَ﴾ ﴿قَالُوا ءَأَمَّنَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿رَبِّ مُوسَى
وَهَارُونَ﴾ [الشُّعْرَاءُ: ٤٦ - ٤٨].

تحوّل هؤلاء فجأة إلى صفّ الإيمان، إلى صفّ موسى، بعد أن كانوا في صفّ فرعون الطاغية المتأله، ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٨﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٩﴾﴾. وهنا جنّ جنون فرعون، كيف يأتي هؤلاء لينصروه، فإذا بهم ينصرون عدوّه، وينقلبون عليه، ما كان هذا بالحسبان، فماذا يفعل معهم؟ في الأوّل كان معه الإغراء بالمال والجاه، أمّا الآن فلا ينفع هذا، ولذلك هدّد وتوعّد بالتعذيب والتصليب والتقتيل، ﴿قَالَ ءَامَنَّا لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴿٤٩﴾﴾ [الشعراء: ٤٩].

الطغاة يريدون أن يكون كلُّ شيء بترخيص منهم، حتى حركة العقول والقلوب، لا يجوز لعقل أن يقتنع بشيء، ولا لقلب أن يؤمن بشيء إلا بإذن الفراغنة، ﴿قَالَ ءَامَنَّا لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴿٧١﴾﴾ [طه: ٧١]، من أين علّمهم وهم لم يروه إلا هذه اللحظة؟ ما رأوه ولا رأهم من قبل هذا المشهد، ولكنها الأقاويل الباطلة، والاحتجاجات الواهية، التي يتمسك بها المبطلون. كما قال لهم: ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الأعراف: ١٢٣].

توعّدهم فرعون وهدّدهم، وقال: ﴿فَلَا قِطْعَتٍ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبَتِكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧١﴾﴾ [طه: ٧١]. ولكن كان ردّهم: ﴿لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيْتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ﴿٧٢﴾﴾ ححص الحقّ وظهر، وتميّز الباطل وزهق، ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا ﴿٧٢﴾﴾ هؤلاء الذين كانوا يقسمون منذ قليل بعزة فرعون، يقسمون الآن بالله الذي فطرهم، ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ﴿٧٢﴾﴾ افعل ما شئت، افعل ما يحلو لك، ﴿إِنَّمَا نَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾﴾ [طه: ٧٢]، أنت لا تملك إلا هذه الدنيا فقط.

الإيمان يضع الدنيا في نصابها:

فهؤلاء السحرة استعلوا بإيمانهم، أصبحوا ينظرون من علوِّ إلى فرعون كأنه شيء حقير صغير، كأنه ذبابة أو أحقر من ذبابة، كأنما يقفون فوق برج عالٍ، أو ينظرون كما ينظر المحلق بالطائرة فوق الأرض، فيرى العمارات كأنها علب، والسيارات كأنها نمل، والناس - إن رآهم - أصغر من ذلك! هكذا ينظرون إلى فرعون.

إنهم يملكون الآن شيئاً جديداً، قوّة جديدة، إنَّها قوّة الإيمان الجديد، فاقض ما أنت قاض يا فرعون، واحكم بما شئت، ﴿إِنَّمَا نَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿ [طه: ٧٢، ٧٣].

هذا قول هؤلاء الذين كانوا منذ قليل ينظرون إلى أغراضٍ دنيوية تافهة زائلة، حين قالوا: ﴿أَيْنَ لَنَا لَاجِرٌ إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ [الشعراء: ٤١]. الآن يقولون: ﴿إِنَّمَا نَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿.

أصبحت أعينهم مشدودة إلى أهدافٍ أخرى، أهدافٍ كبرى غير الأهداف الماديّة أو الدنيوية العاجلة، لم يعد يخيفهم فرعون، لم يعد لعابهم يسيل إلى دنياه وما عنده؛ لأنهم آمنوا برّبهم، ما الذي حدث؟ ما الذي غيّر منطقتهم، وغيّر ألفاظهم، وغيّر كلّ شيء فيهم؟ إنه الإيمان، الذي يصنع الإنسان.

حينما جاء النبي ﷺ لينشئ من الصحابة خلقاً جديداً، يحمل رسالة الله إلى العالمين، صبّ في عروقهم الإيمان، وزكّاهم بهذا

الإيمان، بالتوحيد، بأنه لا إله إلا الله، ليس هناك من يُخاف أو يُرجى، ليس هناك من تنحني له الرؤوس، أو تطأطئ له الرقاب، أو تُعَفَّر له الجباه إلا الله.

التربية المنشودة أساسها الإيمان:

لقد أعلى من جباههم، ورفع من رؤوسهم حين علمهم التوحيد، الإيمان بالله، وهذه التربية التي نريدها، تربية قوامها الإيمان، أساسها الأول هو الإيمان، التربية الإيمانية، التربية الدنيوية، التربية الربانية، التربية الروحية، سموها ما سمونها، هذه هي أساس التربية، تربية الإنسان الذي نريده، الذي تصلح به مجتمعاتنا، تتحرر به هذه المجتمعات من الفقر، من الجهل، والامية، والمرض، والرذيلة، وبدون ذلك، سنظل نسير وندور ونحن في موضعنا، كالثور في الطاحونة، أو الحمار في الرحى.

لا بدّ من بناء هذا الإنسان، لا بدّ من تربية تُعنى بهذا الإنسان.

ولقد تحدّثنا من قبل عن التربية والتعليم، وكيف أنّنا لم ننجح في معظم بلاد الإسلام في بناء الإنسان الصالح، وحمّلنا المسؤولية للجميع، للأب في بيته، للمعلّم في مدرسته، للإمام في مسجده، للحاكم في ديوانه، لكلّ إنسان في دائرة سلطانه، للمذيع في إذاعته، للإعلامي في تلفازه، كلّ إنسان مسؤول عن سوء التربية التي نعانيها.

بداية التربية من الأسرة:

نحن بحاجة إلى تربية سليمة، تبدأ أول ما تبدأ من البيت، من الأب والأم، منذ يولد الإنسان، ينبغي أن نغرس فيه المعاني الإيمانية، لا نقول:

من سنّ التمييز فقط، بل وقبل سنّ التمييز، هناك أشياء لها إحياءات؛ فالإسلام علّمنا أن نؤدّن في أذن المولود حين يولد، مع أنّه لا يفهم ولا يعي، ولكن المعنى أن أول كلمة يسمعها هي: «الله أكبر»، وأن أول ما يترقّ أذنه: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمّداً رسول الله، وأن من أول ما يسمعه: «حي على الصلّاة، حي على الفلاح».

وهذه الأشياء كلّها إحياءات ودلالات؛ ليعلم المسلم أنّه يستقبل الحياة بكلمة التوحيد، ويودّعها بكلمة التوحيد، حيث يُلقن على فراش الاحتضار: لا إله إلا الله.

ينبغي أن يُتعهّد الإنسان منذ يولد بغراس الإيمان، فهو بذرة، وهو زرع، كما وصف الله الصّحابة أو مثل لهم في القرآن، ﴿كَزَّرَعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ، فَفَازَرَهُ، فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ، يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩]، والبذرة ينبغي أن تُتعهّد من أول يوم بالسقاية والرعاية وتنقيتها من كلّ حشائش ضارّة تفسدها، أو ديدان تقتلها، أو حشرات تأكلها، لا بدّ من الرعاية الدائمة لهذه البذرة حتّى تُنبت وتورق وتزهر وتثمر، وتؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربّها.

الوالدان قدوة حسنة أو سيئة:

هذه الزّرة الإنسانيّة لا بدّ أن نتعهّدها، على الأب والأم أن يتعهّدا أطفالهما، منذ الصّغر، لا أقول: من سنّ التمييز، بل قبل سنّ التمييز، إنّ الأطفال الذين لا يُميزون يحسّون، يشعرون، إنّ الصّبي الصغير والصّبية الصّغيرة يدركان بالفطرة أشياء لا تُدرك بالعقل المُميّز؛ فحين يرى الطفل أباه يصلّي، يقوم ليقلّد أباه، ويصلّي بجواره، ويركع بركوعه، ويسجد بسجوده.

إِنَّ الَّذِي يَعِيشُ فِي بَيْتٍ تُقَامُ فِيهِ الصَّلَاةُ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ، غَيْرِ الطِّفْلِ الَّذِي لَا يَرَى أَبَاهُ يَوْمًا رَاكِعًا، وَلَا أُمَّهُ يَوْمًا سَاجِدَةً، لَيْسَ الطِّفْلُ الَّذِي يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى فِي بَيْتِهِ، كَالطِّفْلِ الَّذِي لَا يَسْمَعُ إِلَّا الْأَغَانِي، وَيَرَى الصُّورَةَ الْخَلِيعَةَ، أَوْ شَبَهَ الْخَلِيعَةَ.

إِنَّ الطِّفْلَ الَّذِي لَا يَمَيِّزُ يَحْسُ وَيَدْرِكُ وَيَتَلَقَّى وَيَتَأَثَّرُ وَيَنْفَعِلُ؛ فَالْبَيْتَةُ لَهَا أَثَرُهَا، يَنْبَغِي أَنْ تَعْرِفَ يَا أَيُّهَا الْأَبُ، وَيَا أَيُّهَا الْأُمُّ، أَنْكُمْ مَسْئُولُونَ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ، عَنْ هَؤُلَاءِ الْأَبْنَاءِ وَالْبَنَاتِ وَالْأَطْفَالِ الصَّغَارِ، لَيْسَتْ مَهْمَتُكُمْ أَنْ تَنْجُبُوا، وَتَدْعُوا هَؤُلَاءِ الْأَوْلَادِ.

أَيُّ أَبَوَةٍ لِأَبَاءٍ لَا يَعْرِفُونَ عَنْ أَبْنَائِهِمْ شَيْئًا، يَعُودُونَ عِنْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ، وَيَخْرُجُونَ بَعْدَ ذَهَابِ الْأَوْلَادِ لِلْمَدَارِسِ، وَالْأَوْلَادِ لَا يَرُونَهُمْ مُصْبِحِينَ، وَلَا يَرُونَهُمْ مُمَسِينَ؟! مَاذَا يَأْخُذُ الْوَلَدَ مِنْ أَبٍ كَهَذَا؟

بَلِ الْأَسْوَأُ مِنْ هَذَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يَأْخُذُ الْوَلَدَ عَنْهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يُصَلُّوا لِلَّهِ يَوْمًا، وَأَنَّهُمْ يَجْلِبُونَ أَصْدِقَاءَ فِي بُيُوتِهِمْ، لَا يَسْمَعُ مِنْهُمْ إِلَّا الصَّيْحَاتِ الْمُنْكَرَةَ، وَأَنَّهُمْ يَجْلِسُونَ عَلَى مَوَائِدَ عَلَيْهَا خُمْرٌ يُشْرَبُ، أَوْ قِمَارٌ يُلْعَبُ، أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، حَتَّىٰ إِنَّ أَحَدَ الْأَبَاءِ ذَهَبَ إِلَى الْمَسْتَشْفَىٰ بِابْنِهِ الصَّغِيرِ، ابْنِ السَّنَةِ وَالنَّصْفِ؛ لِأَنَّهُ شَرِبَ شَيْئًا مِنَ الْخُمْرِ، الَّذِي بَقِيَ فِي الْكَأْسِ، وَهُوَ لَا يَدْرِئُهَا، ظَنَّهَا الْوَلَدَ عَصِيرًا أَوْ غَيْرَهُ.

أَيُّ أُمَمَةٍ لِأُمَّهَاتٍ لَا يَعْرِفْنَ إِلَّا الْإِهْتِمَامَ بِالْمَرْأَةِ وَالزَّيْنَةَ وَالتَّجَمُّلَ، وَلَا يَعْرِفْنَ اللَّهَ قَانِتَاتٍ أَوْ صَالِحَاتٍ أَوْ رَاكِعَاتٍ سَاجِدَاتٍ، مَاذَا تَأْخُذُ الْبِنْتَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الْأُمِّ؟

حُبُّ الْخَيْرِ لِلْأَبْنَاءِ بِتَعْبِيدِهِمْ لِلَّهِ:

إِنَّ الْإِنْسَانَ مَفْطُورٌ عَلَى أَنْ يَحِبَّ الْخَيْرَ لِأَوْلَادِهِ، أَنْ يورَثَهُمُ الْخَيْرَ، أَنْ يَقِيَهُمُ النَّارَ، أَنْ يُوصِّلَهُمْ إِلَى طَرِيقِ الْجَنَّةِ، أَنْ يَكُونُوا لَهُ قَرَّةَ عَيْنٍ فِي الدُّنْيَا، وَشَفْعَاءَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ذَكَرَ اللَّهُ عِبَادَ الرَّحْمَنِ، فَكَانَ مِنْ أَدْعِيَتِهِمْ: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، وَلَنْ يَكُونَ الْإِبْنُ قُرَّةَ عَيْنٍ لَكَ، إِلَّا إِذَا كَانَ يَخْشَى اللَّهَ وَيَعْرِفُ حَقَّهُ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ وَفِيًّا مَعَ اللَّهِ، لَنْ يَكُونَ وَفِيًّا مَعَ أَهْلِهِ، مَنْ لَا خَيْرَ لَهُ مَعَ رَبِّهِ الَّذِي خَلَقَهُ فَسَوَّاهُ، لَنْ يَكُونَ لَهُ خَيْرٌ مَعَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، وَإِنَّ الَّذِي يَخُونُ اللَّهَ جَدِيرٌ بِأَنْ يَخُونَ أَهْلَهُ، وَأَنْ يَخُونَ وَطَنَهُ، وَأَنْ يَبِيعَ أَيَّ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ أَنَانِيَّتِهِ، وَفِرْدِيَّتِهِ، وَمُصْلِحَتِهِ الْمَادِّيَّةِ الْعَاجِلَةِ.

لَقَدْ دَعَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهُ فَقَالَ: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ أَمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، فَأَشْرَكَ أَبْنَاءَهُ فِي دَعَائِهِ، فَقَدْ كَانَ حَرِيصًا عَلَى بَنِيهِ، وَعَلَى ذُرِّيَّتِهِ أَنْ يَنْشِئُوا عَلَى التَّوْحِيدِ، وَقَالَ أَيْضًا: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي﴾ ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤٠، ٤١]، فَهُوَ وَفِيٌّ لِوَالِدَيْهِ، وَحَرِيصٌ عَلَى أَوْلَادِهِ، وَبِهَذَا تَتَوَاصَلُ الْأَجْيَالُ، وَيَتَوَاصَلُ الْخَيْرُ، مِنَ الْأَجْدَادِ إِلَى الْأَحْفَادِ، وَمِنَ الْآبَاءِ إِلَى الْأَبْنَاءِ.

وَكَانَ مِنْ دَعَاءِ الصَّالِحِينَ: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

الْأَبُ مَسْئُولٌ عَنْ ذُرِّيَّتِهِ، عَنْ أَوْلَادِهِ، الْأُمُّ مَسْئُولَةٌ عَنْ ذُرِّيَّتِهَا، وَعَنْ أَوْلَادِهَا، وَهَكَذَا يَكُونُ الْبَيْتُ هُوَ الْمَسْئُولُ الْأَوَّلُ عَنِ الْأَوْلَادِ.

ثم تأتي مسؤوليّة الجهات الأخرى: المدرسة، الجامعة، الصحافة، الإذاعة، التلفزيون، أجهزة الإعلام، وجميع الأجهزة الموجّهة والمؤثّرة كلّها.

المدرسة تكمل ما بدأتها الأسرة:

فالمدرسة ينبغي أن تغرس الإيمان في نفوس التلاميذ؛ فالتربية الدنيّة الإيمانية هي أمّ التربيات، ينبغي أن تغرس المدرسة في أنفس الناشئة اليقين بالله وبالدار الآخرة، أن تغرس حبّ الله وحبّ رسوله في أنفس هؤلاء، أن تغرس بين جنوبهم الرجاء في رحمة الله، والخشية من عذابه، أن تربّيهم على تلك المعاني الكبيرة: الثقة في الله، التوكّل على الله، الاعتماد على الله، الشكر على نعمائه، الرضا بقضائه، والصبر على بلائه.

ومثل هذه المعاني ينبغي أن يُربّي عليها أولادنا، في المدارس وفي كلّ المؤسسات.

لا يكون هذا في حصّة التربية وحدها، فهذا لا يكفي، بل كلّ الدروس، وكلّ المواد، يجب أن تصبّ في هذا الاتجاه؛ فمدرس اللغة العربيّة يجب أن يغرس هذه المعاني، وهو يدرّس الأدب أو النصوص، أو النحو أو الصرف، فبدلاً من أن يختار للأولاد في الإنشاء والتعبير موضوعات تافهة، يختار لهم موضوعات تحرك كوامن نفوسهم، تؤكّد المعاني الربّانية والأخلاقيّة بين جنوبهم.

كلّ مادة من المواد يمكن أن تكون أداة من أدوات التربية الإيمانية: المواد الاجتماعيّة، التاريخ، الجغرافيا، كلّ هذه المواد ينبغي أن يوجّهها

المعلّم المسلم توجيهاً إيمانياً، توجيهاً ربّانياً، بل إنّ مواد العلوم - التي يُقال: إنّها لا جنسية لها ولا دين - يمكن أن تكون أداة من أدوات التربية الإيمانية، ولكن هناك فرق بين المعلّم المسلم الصادق، الذي يدرّس الكيمياء أو الطبيعة أو الأحياء، وبين من لا يؤمن بالله ولا برسالاته ولا بالإسلام.

العلوم تساهم في غرس الإيمان:

فالمعلّم المؤمن حينما يُدرّس القوانين الكونية، يربطها بحكمة الله وإرادته، يعلم أبناءه أن هذه سُنن الله في الكائنات، ليست من قبيل الصدفة العمياء، إنّما هي قوانين وأنظمة تدلُّ على قصد قاصد، وإبداع مبدع، ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: ٢٣].

يعلمهم أنّ يد الله وراء كلّ شيء في هذا الكون، بدلاً من أن يقول: الطبيعة زوّدت السمكة بالزعانف، وزوّدت الصقر بالمخالب، وزودت الأسد بالأنياب، وهذا بمنقار حاد إلخ، بدلاً من أن يقول: الطبيعة، يقول: (الله)، ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]، أي: كلّ مخلوق مزوّد بما يبلغه درجة كماله.

فكلّ المقرّرات والمواد ينبغي أن تكون أهدافها واحدة، هي صناعة الإنسان المؤمن، الإنسان الصالح، لا يجوز أن يبني معلّم التربية الدّينية، ويهدم وراءه معلّم آخر.

فهذه هي مشكلتنا، التناقض، ليس هناك تناسق ووحدة وتعاون؛ لتفاوت العقليات.

وهذا لا يعني أن كلَّ المعلمين هكذا، بل إن هناك مَنْ يتعبون ويسهرون من أجل بناء أجيال صالحة، فإذا نقدنا بعض المعلمين، فلا يعني أن الكلَّ من هذا النوع، فهذا ليس من الإنصاف في شيء؛ فالتعميم خطأ، وليس كلُّ الآباء مقصّرين، ولا كلُّ المعلمين مقصّرين، ولا كلُّ الإعلاميين مقصّرين.

هناك تقصير واضح ولا شك، ولكن في كلِّ فئة هناك الذين يعرفون واجبهم، ويخشون ربّهم، ويحسّون بمسؤوليّتهم.

وهذا ما ينبغي أن نشيعه ونعمّمه؛ حتّى توجد قاعدة صالحة، لبناء إنسان صالح.

وبذلك تعود أمّتنا إلى ما كانت عليه، في المدرسة ينبغي أن تكون المدرسة كلّها مربية، كلُّ المعلمين، كلُّ الحصص، حتّى النشاط المدرسي، الإدارة المدرسية.

وينبغي أن يكون مسجد المدرسة له دور، فيسبق المعلمُ الطلابَ إلى المسجد، والمديرُ يجب أن يسبق المعلمين إلى الصلاة، والكلُّ ينبغي أن يكونوا قدوة صالحة.

إذا فسد الأفراد فسدت الأمة:

إنّ بناء الإنسان هو الشيء الأوّل الذي نحتاج إليه في وقتنا هذا، لا يمكن أن نُصلح الأمة بالقوانين وحدها، ولا بالقرارات الإدارية، ولا بالتخطيطات السياسيّة، إذا ظلَّ الإنسان فاسداً؛ ففساد الإنسان يعني فساد كلِّ شيء.

والذين يروّجون المُخدّرات، ويبيعون الخمر، ويُدْمرون الشّباب،

في البلاد الإسلاميّة المختلفة، هؤلاء أناس فسدت ضمائرهم، فسدت أنفسهم، يريدون أن يثروا على حساب الأمة، أن يهدموا الأمة لينبوا أنفسهم، لينبوا لهم أرصدة في البنوك، ففي بعض البلاد العربيّة، تُهَرَّب الأموال إلى الخارج، وتُهَرَّب المُخدّرات إلى الداخل.

ففي بلدٍ ما ألف مليون دولار سنويًّا يُشترى بها المخدّرات، والناس يبحثون عن القوت، ولا يجدونه، ومن أين هذا الفساد كلّه، إنّه فساد الأنفس، فساد الضمائر.

لا بدّ من تكوين الضمائر التي تخشى الله، فإذا كوّنّاها فإننا أهلّ لأن نصلح الأمور كلّها.

يجب أن تتركز دعوتنا - في هذه الفترة خصوصًا - إلى بناء الإنسان، إلى تربية المؤمن الصالح؛ فهو أساس البناء كلّه.

ومن لم يقدّم برسالته وبدوره في هذه المرحلة، فإنه يخون دينه، يخون ربّه، ويخون أمّته، ويخون وطنه، ويخون كلّ شيء، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنّه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله، ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [غافر: ٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا
فِي الْأَرْضِ ﴾ [التغابن: ١].

وأشهد أن سيّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمّداً عبداً لله ورسوله،
البشير النذير، والسراج المنير، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله
وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسنته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.
أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

ورد أنّ في يوم الجمعة ساعة إجابة^(١)، فلندعُ الله لعلّها تكون هذه الساعة.
اللهمّ هيّئ لنا من أمرنا رشداً، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين
ولا أقلّ من ذلك.

اللهمّ ولّّ أمورنا خيارنا، ولا تولّ أمورنا شرارنا، وارفع مقتك
وغضبك عنّا، ولا تهلكننا بما فعل السفهاء منّا، ولا تسلّط علينا بذنوبنا
من لا يخافك ولا يرحمنا، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رخاء،
وسائر بلاد المسلمين.

ربّنا اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبّت أقدامنا، وانصرنا على
القوم الكافرين.

(١) سبق تخريجه ص ٢٩٤.



عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *



غزة بين الحصار والنار^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

نحن في بداية عام هجري جديد، وكلما بدأ العام الهجري كان على المسلم فردًا، وكان على المسلمين أمة أن يقفوا أمام هذا الحدث وقفة أو وقفتين:

الوقفه الأولى هي الاعتبار بهذا الحدث: هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، ولا أطيل في هذه الوقفة؛ فلعل هناك مقامًا آخر يتسع فيه المجال للقول، ولكنني أشير إلى أمرين نحتاج إليهما في موقفنا هذا، وفي تاريخنا هذا، وفي حالتنا التي نعيشها اليوم.

هناك عبرتان من الهجرة:

العبرة الأولى: أن دين المسلم أعز عليه من كل شيء، أعز عليه من أهله، وأعز عليه من ماله، وأعز عليه من وطنه، وأعز عليه من كل ما يعتز به الناس، ولهذا رأينا النبي ﷺ وأصحابه يغادرون مكة وهي

(١) ألقى في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٢ يناير ٢٠٠٩م.

أحب بلاد الله إلى الله، وأحب بلاد الله إليهم، يغادرونها لأنهم لم يستطيعوا فيها أن يقيموا دينهم، وأن يعزوا إسلامهم فخرجوا بدينهم يبحثون عن قاعدة أخرى، عن أرض أخرى تتسع لهذا الدين، وتتسع لهذه الرسالة، تتسع لها عقيدة وشريعة، ودينًا ودولة، وعبادة ومعاملة، وحقًا وقوة، فكانت الهجرة.

الدين أعزُّ على الإنسان المسلم من كل شيء، الناس يقولون: الوطن عزيز. والشاعر يقول:

بلادي وإن جارت عليَّ عزيزةٌ ولو أنني أعري بها وأجوع^(١)

ولكن هناك ما هو أعزُّ من البلاد وأعزُّ من الأوطان، وهو الله ورسوله، ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ أُقْتِرْتُمْوهَا وَتَجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]، توضع كل هذه الأشياء في كفة، الآباء والأبناء والإخوة والأزواج والعشيرة والأموال والتجارة والأوطان، والله ورسوله والجهاد في سبيله في كفة أخرى؛ أيهما يرجح؟ المؤمن يرجح عنده حب الله ورسوله، ترجح عنده العقيدة، ويرجح عنده الدين فيبيع كل شيء من أجل دينه، ولأجل هذا أخرج الرسول والمؤمنون معه من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا: ربنا الله. تمسكوا بقولهم: ربنا الله. وضحوا بكل شيء، هذه العبرة الأولى.

(١) ذكره بلفظ مقارب دون نسبة أبو الوليد ابن الأحمر في أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن ص ٢٢، تحقيق د. محمد رضوان الداية، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٣٩٦هـ -

والعبرة الثانية: أَنَّ نصر الله آتٍ لا ريب فيه، إِنَّ النبي ﷺ قد خَطَّطَ للهجرة، ورتَّب لها أفضل ما يكون الترتيب البشري، إلى أيِّ بلد يذهب، ولماذا اختار هذا البلد، ولماذا اختار هذه القبائل، وَمَنْ يرافقه، وَمَنْ يدلُّه على الطريق، وفي أيِّ مكان يختبئ حتَّى يخف الطلب عنه؟ وهكذا كل ما يحتاج إليه التدبير البشري فعله، ودخل الغار.

ولكن رغم هذا استطاع المشركون أن يصلوا إليه، وأن يقفوا على باب الغار الَّذي اختبأ فيه مُحَمَّدٌ وصاحبه أبو بكر، وأبو بكر يقول له: يا رسولَ الله، لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا. فقط يحني ظهره فيرانا، ولكنهم لم يفعلوا ذلك، لم يطأطئ أحدهم ظهره لينظر ماذا في الغار؟ رغم أن آثار الأقدام أوصلتهم إلى الغار، ولكن لم يصدقوا أن يدخل مُحَمَّدٌ هذا الغار.

قيل في الأقاويص الدينيَّة: إِنَّ هناك حمامًا عَشَش على الغار. وهذه أسطورة لا أساس لها، وقيل أيضًا: إِنَّ هناك عنكبوتًا خيَّم على الغار. وهذه أيضًا رواية ضعيفة جدًا لا قيمة لها، لأنَّ الله تعالى لم يؤيد رسوله مُحَمَّدًا بجند يُرى، إِنَّمَا أيده بجنود لم تروها.

ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِلَّا نُنْصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]. كان أبو بكر حزينًا مشفقًا على حبيبه ونبِيِّه مُحَمَّد، لا يشفق على نفسه، إِنَّمَا يشفق على الدعوة، على الرسالة، وقال: لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا. فقال له ﷺ: «يا أبا بكر، ما ظنُّكَ باثنين الله ثالثهما؟ لا تحزن إِنَّ الله معنا»^(١).

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١)، كلاهما في فضائل الصحابة، عن أبي بكر الصديق.

وهذه معية خاصة، فالله مع الخلق جميعاً بالعلم والإحاطة، ولكنه مع أحبائه من عباده بالنصرة والتأييد، فهو هنا مع رسوله وصاحبه أبي بكر بعنايته ورعايته وتأييده ونصرته، ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ [التوبة: ٤٠]. انظروا إلى التعبير، لم يقل: وجعل كلمة الله هي العليا. لأن كلمة الله ليست بحاجة إلى جعل، كلمة الله هي العليا دائماً، لا يمكن أن تنخفض كلمة الله، ولا يمكن أن تنخفض راية الله، ستظل راية الله مرفوعة، وستظل كلمة الله عالية، ﴿وَكَالِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

من هنا نأخذ العبرة، نأخذ الدرس لحياتنا هذه، لقد بدأنا السنة الهجرية هذه ونحن نتضحك وننكت، من أجل ماذا؟ من أجل رجل رمى حذاءً في وجه بوش، فأصبحنا وكأننا قد انتصرنا في بدر، كما قال الرافعي رحمته الله: فإذا هزؤوا بالعدو في كلمة؛ فكأنما هزموه في معركة^(١). أصبحت هذه النكتة حديث القوم، فكأننا انتصرنا على بوش برميها الحذاء في وجهه، كنت في الحج فعلمت أن مائتي قصيدة في السعودية أنشئت من أجل هذا الحذاء، أصبح حديثنا عن حذاء بوش، نحن نقدفهم بالأحذية، وهم يقذفوننا بالقنابل، قنابلنا هي الأحذية، وأحذيتهم هي القنابل المؤذية، والصواريخ المدمرة، أهذا شأننا؟

يذكرني هذا بما حدث في الجاهلية، هناك شاعر اسمه عمرو بن كلثوم أنشأ قصيدة نونية شهيرة في أحد ملوك العرب اسمه عمرو بن هند: ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

(١) وحي القلم للرافعي (٢/٢٠٠)، نشر دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

والتي يقول فيها:

لنا الدُّنيا وَمَنْ أَمسى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا
بغاةً ظالمين وما ظلمنا ولكنا سنبدأ ظالمينا
ملأنا البر حتّى ضاق عنا كذاك البحر نملؤه سفينا
إذا بلغ الرضيع لنا فطامًا تخرُّ له الجبابر ساجدينا^(١)

هذه القصيدة جعلت بني تغلب يعيشون عليها، يتغنون بها، صغارهم وكبارهم، ورجالهم ونسأؤهم، وكأنهم فتحوا الدُّنيا بهذه القصيدة، حتّى قال أحد الشعراء:

ألهى بنى تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يفاخرون بها مذ كان أولهم يا للرجال لفخر غير مسؤوم^(٢)

أصبحنا نحن مع حذاء بوش كبني تغلب مع قصيدة عمرو بن كلثوم، ثمّ فاجأتنا الفاجعة الكبرى التي أنستنا حذاء بوش ووجه بوش، وهذا يذكرني بقول الشاعر القديم:

وَإِذَا قَذَفْنَا بِالنَّعَالِ وَجُوهَهُمْ شَكَتِ النَّعَالُ بِأَيِّ ذَنْبٍ نَنْجُسُ؟

يقول الشاعر: إذا قذفناهم بالنعال قالت: ما ذنبنا أن تنجسونا بهذه الوجوه القدرة؟

جاءتنا هذه الفاجعة أيُّها الإخوة، كنا نتوقع أن يهبّ العالم لفك الحصار عن غزة الصابرة المصابرة المرابطة الصامدة، فإذا بنا أنّ غزة

(١) ديوان عمرو بن كلثوم ص ٦٥، تحقيق إميل بديع يعقوب، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩١م.

(٢) القائل: بعض شعراء بكر بن وائل، كما في الأغاني للأصفهاني (٥٧/١١).

تُضرب بالطائرات المقاتلة، وبالصواريخ الهائلة، وبالقذائف المدمرة، والعالم يتفرّج، العالم شرقيه وغربيه يرى ويسمع، ولا يُحرّك ساكنًا، ولا يُنبّه غافلًا، ومن ذلك العالم العربي والعالم الإسلامي، بل قيل: إنَّ هناك أناسًا من العالم العربي والإسلامي أعطوا الضوء الأخضر لإسرائيل أن تفعل في غزة ما تشاء لتؤدّب أولئك المتمرّدين الذين لم يحنوا رؤوسهم، ولم يطأطئوا رؤوسهم، ولم يذلوا نفوسهم لأولئك الطغاة الفراعين الملاعين، لماذا تنهي حماس التهدئة؟

سبب إنهاء التهدئة:

كانت هناك تهدئة؛ فلماذا أنهتها حماس؟ أنهتها حماس لسبب واحد، أنّها لا تريد تهدئة مجانيّة، ما معنى أن أكفّ يدي عنك وأنت تحاصرني، تقتلني، تُميتني جوعًا، تُميتني من كلّ ناحية؟ أهذا عدل؟ أي تهدئة هذه؟ الذي حدث لغزة قبل هذا الضرب هو هذا الحصار الذي رأيناه، والذي سمعناه، والذي شاهدناه، كل ضرورات الحياة البشريّة ومتطلباتها لكي يعيش الإنسان على الحد الأدنى ليست موجودة، لا يجد اللقمة، لا يجد شربة الماء، لا يجد لمبة الكهرباء، لا يجد الوقود، لا يجد الدواء، لا يجد الغذاء، لا يجد الماء ولا الكهرباء، لا يجد الفراش ولا الغطاء، لا يجد الدفء من برد الشتاء.

حتى المعابر في أيديهم يغلّقونها متى شأؤوا، ويفتحونها متى شأؤوا، وهم يغلّقونها دائمًا، لكن قد يفتحون صنبورًا مضيّقًا دقائقًا لتمر بعض الأشياء؛ فماذا يفعل النّاس في ظل هذا؟ كيف يمكنهم الصبر على هذا؟ وأعجب من هذا أن معبر رفح الذي بأيدينا نحن العرب نحن

المسلمين نغلقه عن إخواننا، وهو شريان من شرايين الحياة لأهل غزة؛
كيف يجوز لنا هذا؟

إنَّ الإسلام يفرض على أمة الإسلام إذا اعتدى عليها معتدٍ من خارجها أن تهبَّ لمقاومة هذا العدو الغازي، أهل البلد أولاً، ثمَّ مَنْ حولهم، ثمَّ مَنْ حولهم، حتَّى يشمل القيام بهذا الواجب الأمة كلها.

وهذا هو الواقع الآن، أهل فلسطين لا يقدرّون على مقاومة الصهيونيّة العالميّة المدجّجة بالسلّح التي تملك الترسانة النوويّة، وتملك أسلحة الدمار الشامل، وهي مؤيّدّة بالمال الأمريكي والسلّح الأمريكي والفيديو الأمريكي، لا يستطيع أهل فلسطين وحدهم، ولذلك كان على الأمة الإسلاميّة أن تقف بجوار الإخوة في فلسطين، كلُّ بما يستطيع.

مساعدة الشعب الفلسطيني:

مَنْ يستطيع أن يمدّهم بالرجال يمدّهم، مَنْ يستطيع أن يمدّهم بالسلّح يمدّهم، ومَنْ يستطيع أن يمدّهم بالمال يمدّهم، ومَنْ يستطيع أن يمدّهم بالدعاء يمدّهم، ومَنْ يستطيع أن يمدّهم بالمقاطعة يمدّهم، فأمة الإسلام أمة متضامنة في كل شيء، في السّراء والضّراء، والنّعماء والبأساء، واليسر والعسر، والسلم والحرب، «يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على مَنْ سواهم»^(١)، «المسلمُ أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسَلِّمه، ولا يحقره، ولا يخذله»^(٢)، هكذا شأن المسلمين كالبنيان المرصوص

(١) رواه أحمد (٦٧٩٧)، وقال مخرّجوه: صحيح. وأبو داود في الجهاد (٢٧٥١)، وابن الجارود في المنتقى (١٠٧٣)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٠)، عن ابن عمر.

يشدُّ بعضه بعضًا، كالجسد الواحد إذا اشتكى بعضه اشتكى كله، لا يجوز أن تعيش وحدك وتدع إخوانك.

كتب الفقه الإسلامي تقول: لو أن امرأة سُبيت بالمشرق فعلى المسلمين أن ينقذوها، حتّى أهل المغرب عليهم أن ينقذوها من أسرها، ونحن عندنا بلد أسير، بلد تحت الحصار، كل البلد أسرى الجوع، أسرى الموت، كأنّما يُخيِّرون أهل غزة بين موتين أحلاهما مر: إما أن تموتوا بطيئًا بالحصار، وإما أن تموتوا سريعًا بالنار؟ اختر لك إحدى الميتين: إما تموت بسرعة بالقذائف والصواريخ، وإما تموت ببطء بالحصار؟ هل هذا يقبله أحد؟ كيف تقبل الأمة الإسلامية على نفسها هذا؟

في سنة ١٩٤٨م هبّ العرب، وهبّ المسلمون لنجدة إخوانهم في فلسطين، ذهب المتطوعون من كل مكان إلى فلسطين، ودخلت جيوش الجامعة العربيّة، وكانت سبعة دول، وكانت طفلة وليدة لأنّها ولدت سنة ١٩٤٥م، أدخلت سبعة جيوش إلى فلسطين سنة ١٩٤٨م، بعضها كانت لها مواقف رديئة، وبعضها كانت لها مواقف حسنة، المهم أنّها لم تترك الفلسطينيين وحدهم.

الآن وقد صار للجامعة العربيّة أكثر من ستين سنة، وفيها أكثر من عشرين دولة، والإسرائيليون يملكون ما يملكون، يترك العرب الفلسطينيين وحدهم، يقولون: اشربوها مرّة وحدكم، تحمّلوا الأعباء وحدكم. أي عروبة هذه؟ وأي إسلام هذا؟ أين الجامعة العربيّة؟ أين القومية العربيّة؟ أين الأمة العربيّة؟ أين الدفاع العربي المشترك؟ كلها شعارات جوفاء تبخرت الآن.

والغريب أنّ النّاس لا يريدون أن يلتقي بعضهم ببعض ليتحدثوا في هذه القضية، يهربون من هذا اللقاء، دولة قطر وأمير دولة قطر دعاهم إلى

قمة عربيّة: تعالوا يا قوم نجتمع وجهاً لوجه، يلتقي بعضنا ببعض،
نتشاور ونتدارس: ماذا نفعل لإخواننا، وهم منا ونحن منهم، نحن جزء
منهم، وهم جزء منا.

هذا منطق صريح سليم مستقيم لا يمكن أن يرفضه أحد، ولكن
زعماء الأُمَّة العربيّة وقادتها - إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ - رفضوا هذا اللقاء؛ أين
المسؤوليّة التي تشعر بها هذه الأُمَّة؟ كيف تكون أُمَّة إذا لم تتضامن عند
الشدائد؟ الإنسان إنّما يعرف صديقه من عدوه عند الشدائد كما قال
الشاعر العربي:

جزى الله الشدائد كلّ خَيْرٍ عرفتُ بها عدُوِّي من صديقي^(١)
عند الشدائد يظهر مَنْ يحبك ممّن يكرهك، مَنْ يخلص لك ممّن
يداريك ويداهنك، وأي شدائد ممّا تعانيه غزّة؟

ماذا نريد من الأُمَّة الإسلاميّة؟

كل ما نطلبه من الأُمَّة، ومن قادة الأُمَّة - عربيّاً وإسلاميّاً - هو هذان
الأمران: فك الحصار عن غزّة حتّى لا يموت الشعب الفلسطيني موتاً
بطيئاً، وإيقاف النار حتّى لا يموت الشعب الفلسطيني موتاً سريعاً؛ هل
في هذا شيء خارج عن المنطق؟ هل نطلب مُحالاً إذا كنا نطلب
إيقاف العدوان؟

وهل يسمّى ما تفعله إسرائيل في إخواننا الفلسطينيّين بشيء غير
العدوان؟ ماذا فعل إخواننا حتّى تنهال عليهم هذه الصواريخ؟ ماذا فعل

(١) من شعر أمير المؤمنين المستنصر بالله الحفصي أمير تونس الموحد، كما في أعلام
المغرب والأندلس في القرن الثامن لابن الأحمر ص ٩٨.

إخواننا حتى تنهال عليهم آلة الحرب الإسرائيلية المدمرة الوحشية التي لا تخشى خالقاً ولا ترحم مخلوقاً، ولا ترقب في مؤمن إلا ولا ذمّة؟ هل علينا من بأس إذا طالبنا بإيقاف العدوان؟ هل نحن مخطئون في هذا؟ هل هناك مَنْ يعارض هذا؟

نحن نطالب الأمة العربيّة والأمة الإسلاميّة جميعها أن تقف وراء هذين المطلبين: إيقاف العدوان بأقصى ما يمكن من السرعة، وأن تحرك في ذلك كل من يمكن تحريكه، تحرك الاتحاد الأوربي، تحرك الأمم المتحدة، تحرك مجلس الأمن، تستعين بكل القوى، بكل الأحرار والشرفاء في العالم، وأين مجلس الأمن الذي يتحرّك لما هو أدنى من ذلك في بلاد شتى؟ كأنّ الدم العربي وكأنّ الدم الإسلامي هو الدم الرخيص الذي لا قيمة له في الدُّنيا، فلا يغضب أحد من أجله، ولا يستثار أحد ولو أريق ما أريق منه، أين مجلس الأمن؟ أين الاتحاد الأوربي؟ أين الاتحادات المختلفة؟ أين أصحاب الصوت القوي الذي ينصر الحق في العالم؟ نريد إيقاف العدوان.

ونريد أيضاً - أيّها الإخوة - إيقاف الحصار، أن نمدّ إخواننا بكل ما نستطيع من الإغاثة الإنسانيّة الممكنة، فهم في حاجة إلى كل شيء، لا بدّ من فتح الأبواب وفتح المعابر لإيصال المعونات الطبيّة والدوائيّة والغذائيّة والمعونات الإنسانيّة بكل صورها إلى هؤلاء، يحتاجون إلى مستشفيات ميدانيّة، إلى أطعم من الأطباء الذين يستطيعون أن يساهموا في علاج الجرحى، فكثيراً ما يموت الجرحى عند نقلهم من غزة إلى القاهرة مثلاً، لأنّهم في حاجة إلى إسعاف سريع، لا بدّ أن تصل هذه الإسعافات إلى هؤلاء الناس، هذه أشياء لا بدّ منها لفك الحصار.

سلاح المقاطعة:

ثم علينا أيها الإخوة أن نُفَعِّلَ المقاطعة التي طالما نادينا بها، نحن نتحمّس أحياناً، وتشتعل الجذوة، وتنتفض الأمة، ويظهر الغضب، ونرى آثاره بالفعل، ثم سرعان ما تخدم الجذوة بعد مدّة، سرعان ما تهدأ العاصفة، سرعان ما ينشغل كل إنسان بنفسه وينسى قضية أمته، وهذا لا يليق بأمة ذات رسالة كبرى، أمة تحمل القرآن العظيم، تحمل رسالة الإسلام.

علينا أن نُفَعِّلَ هذه المقاطعة لكل عدو للإسلام، ولأمة الإسلام، ولقضايا الإسلام، إن كل ريال أو درهم أو دينار أو جنيه أو دولار تدفعه لشراء سلعة من هؤلاء يتحوّل إلى رصاصات تخرق صدر إخوانك في غزّة وفي فلسطين وفي غيرها من البلاد، فلا تُمكنهم من ذلك.

يا أيها الإخوة، نحن منصورون إن شاء الله، أحب أن أوجّه رسالة إلى إخواني وأبنائي في غزّة لأبشرهم وأؤكد لهم أنّهم منصورون إن شاء الله، لأنّ الحق معهم، والله هو الحق المبين، ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [الحج: 62]، ﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس: 32]، معهم الحق، ومعهم العدل، وعدوهم هو الظالم، وهو الغاشم.

ولن يمهل الله الظالم إلا فترة ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر، كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لِيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ». ثم تلا قول الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: 102]^(١).

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٦٨٦)، ومسلم في البر والصلوة (٢٥٨٣)، عن أبي موسى.

يملي لهم، يستدرجهم من حيث لا يعلمون، لأن كيدته متين، ومكره كبير، يمهلهم ولا يهملهم، ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * آلَّتِي لَمْ يُخَلِّقْ مِثْلَهَا فِي الْعَالَمِ * وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْنَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْعَالَمِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمُرْصَادِ ﴾ [الفجر: ٦-١٤]. ربك ليس غافلاً عما يعمل الظالمون، ربك يرصد كل شيء، ويراقب كل شيء، ويسمع ويرى، ولكنه يكيد كيدته، ويملي إملاءه، ثم ينزل نقمته بهؤلاء الظالمين الطاغين.

أُبَشِّرُ إِخْوَانِي فِي غَزَاةِ الَّذِينَ صَبَرُوا وَصَابَرُوا وَرَابَطُوا بِأَنَّ اللَّهَ لَنْ يَتَخَلَّى عَنْهُمْ أَبَدًا، هَذَا الشَّعْبُ الَّذِي تَحَمَّلَ مَا تَحَمَّلَ، تَحَمَّلَ الْجُوعَ وَلَمْ يَرْكَعْ، اسْتَعْصَى عَلَى التَّرْكِيعِ، وَاسْتَعْصَى عَلَى التَّطْبِيعِ، وَاسْتَعْصَى عَلَى التَّطْوِيعِ، وَأَبَى أَنْ يَرْكَعْ إِلَّا اللَّهَ، وَأَبَى أَنْ يَسْجُدَ إِلَّا لِلَّهِ، أَبِي أَنْ يُحْنِي رَأْسَهُ أَوْ ظَهْرَهُ إِلَّا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، هَذَا الشَّعْبُ لَنْ يَتَخَلَّى اللَّهُ عَنْهُ.

وقد حدثني قبل الصلاة الأخ أبو الوليد خالد مشعل، وقال لي: اطمئن، وطمئن إخوانك أن إخوانكم المجاهدين بخير لم يمسهم سوء إلا القليل جدًا، هم يضربون المدنيين، ويضربون في البنى التحتية، يضربون كل شيء ولكن لا يمسون أهل الجهاد، فأهل الجهاد إن شاء الله على قوتهم سينتقمون وسينتقم الله لهم، إن الله لا يغفل عما يعمل هؤلاء الظالمون، سينتصر الحق إن شاء الله.

الذين وقفوا أيامًا في جنين أمام القوّة الغاشمة بأسلحة خفيفة، وذخائر محدودة، حتى نفذت ذخائرهم، هؤلاء لن يركعوا، ولن يستسلموا، لقد أرادوا أن يقتلوا المقاومة، ولكن المقاومة لن تبعد، ولن

تذهب أبداً، الذي فاجأهم أن الشعب الفلسطيني اختار المقاومة طريقاً حينما اختار حماساً في الانتخابات الماضية، فمعنى اختيار حماس بأغلبية واضحة أن الشعب لم يخذل المقاومة، إنّما خذل المتخاذلين، والحنين رؤوسهم، والبائعين نفوسهم.

ثم رأينا الشعب مرة أخرى في غزة حينما جمعهم أخونا أبو العبد إسماعيل هنية بعد عيد الفطر وبعد موسم الحج، واجتمعت عشرات الآلاف، ما كنت أظن أن الناس سيستجيبون له بهذه الكثافة وبهذه الكثرة، ولكن هذا يدل على أن هذا الشعب لم يمت ولن يموت، لأنه اعتصم بالله، ومن اعتصم بالله فلن يخيب، ومن توكل على الله فلن يضل، ومن اعتز بالله فلن يذل، ومن استكثر بالله فلن يقل، ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

يا إخواني وأخواتي، يا أبنائي وبناتي في غزة، اطمئنوا وأبشروا فإن الله معكم، ولن يترككم أعمالكم، ولن يخذلكم، الأمة كلها معكم، والتاريخ معكم، ودماء الشهداء معكم، وأحرار العالم وشرفاؤه معكم، وقبل ذلك كله ومعه الله تعالى معكم، ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُمُ أَعْمَالِكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

المسلمون يصيبهم الألم، ويصيبهم القرع، ولكن لا تصيبهم الهزيمة، لم ينسب الله الهزيمة إلا إلى أعداء المسلمين، إلى الكفار، حينما قال: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥١]، ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾ [ص: ١١]، أمّا المسلمون فيصيبهم القرع، ﴿إِنْ يَمَسَّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]،

يُصِيبُهُمُ الْأَلَمُ، ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۗ إِن تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ
كَمَا تَأْمُونُ ۗ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ [النساء: ١٠٤]، نرجو النصر في
الدُّنْيَا، ونرجو الشهادة، ونرجو جنة عرضها السماوات والأرض،
﴿ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٤].

الهجمات الغربية والشرقية على الإسلام:

ولست هذه الهجمة أول مرة في التاريخ، لقد هجم الغرب علينا قبل ذلك، وهجم الشرق علينا قبل ذلك، هجم الغرب في حملاته الصليبية التسع التي أراد بها أن يقتلع جذور الإسلام، وخصوصاً من الشام وفلسطين بحجة حماية قبر المسيح، والمسيح منهم براء.

وفي إحدى الحملات كان تعداد الجيش الصليبي الأوربي حوالي مليون جندي، ألف ألف جندي، وهذا العدد في ذلك الوقت ليس شيئاً هيناً، مليون جندي في ذلك شيء كبير، ولكن الله نصر عبده وابن عبده نور الدين محمود الذي كان يُشَبَّه بالخلفاء الراشدين، يُشَبَّه بأبي بكر وعمر في عدله وزهده، وحسن سيرته وشجاعته وإقامته للحق، انتصر عليهم هذا الرجل الصالح.

وبعد ذلك جاءت حملات وحملات انتصر عليهم تلميذه صلاح الدين الذي تتلمذ على نور الدين وجعله قدوته، وجعله إمامه وأستاذه، ففاز في الدنيا وفاز في الآخرة إن شاء الله، وانتصر على الصليبيين، انتصر عليهم في حطين، وانتصر عليهم في استعادة القدس التي ظلت في أيديهم إحدى وتسعين سنة، لم تُصلِّ في المسجد الأقصى فيها جمعة ولم تُصلِّ فيها جماعة، حتى انتصر عليهم صلاح الدين، ولم يبق مجزرة

كما أقام الصليبيون مجزرة حينما دخلوا بيت المقدس، وغاص النَّاس في الدماء إلى ركبهم، سبعون ألفاً قُتلوا في ضحوة يوم واحد حينما دخل الصليبيون، وحينما انتصر عليهم صلاح الدين كان متسامحاً، وكان كما أراد الإسلام ذا خلق، وكان فارساً نبيلاً إلى جوار كونه قائداً مظفراً.

و حين مات صلاح الدين القائد الفاتح الذي جمَّع الأمة ووحدّها، ونفخ فيها من روح الإيمان لم يكن في خزانته إلا سبعة وأربعين درهماً من الفضة، وعشرين ديناراً من الذهب، هذا كل ما تركه، وقال قاضيه ابن شداد: لقد كُفِّنَ وجُهِزَت جنازته بالدِّين^(١). لم يكن من أولئك الذين يبلعون أموال الدولة، ويأخذون ما يأخذون.

بهذا انتصر صلاح الدين، وبهذا انتصر نور الدين، وبهذا انتصر الأمة، وبهذا ينتصر إخواننا في غزّة؛ فهم على قدم صلاح الدين، وهم على سيرة نور الدين، وهم من هؤلاء يستقون، وهم بهؤلاء يتأسون ويقتدون، كما قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

بعد أن جاء الصليبيون من الغرب إلى بلاد الإسلام زحف بعدهم التتار من الشرق إلى بلاد الإسلام، وسقطت الممالك أمامهم مملكة مملكة، المشكلة هي التفرق، أنهم لا يحاربون الأمة مجتمعة، إنما يحاربون كل مملكة على حدة فينفردون بها، وسرعان ما يتغلبون عليها، حتّى وصلوا إلى بغداد عاصمة الخلافة الإسلاميّة وأسقطوها سنة ٦٥٦هـ.

أسقط التتار بغداد بخيانة من خان من أولئك الذين دُلُّوا هؤلاء الغزاة

(١) النوادر السلطانية (٣٦٤/١)، تحقيق د. جمال الدين الشيال، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة،

على العورات وعلى نقاط الضعف فأعملوا سيوفهم في رقاب المسلمين، حتى قال المؤرخون: لقد قُتل في سقوط بغداد ألفا ألف، مليونان من المسلمين. وهذا رقم هائل، قُتلوا بالسيوف أو ذبحوا بالسكاكين، سالت الدماء أنهارًا.

معركة عين جالوت:

ولكن سرعان ما استعاد المسلمون ثقتهم بالله، وثقتهم بأنفسهم، والتقوا بالتتار في معركة حاسمة من معارك التاريخ هي معركة عين جالوت في الخامس والعشرين من رمضان سنة ٦٥٨هـ، بعد سنتين من سقوط بغداد، استعاد المسلمون ثقتهم وانتصروا على عدوهم، استطاع الجيش المصري بقيادة الرجل الصالح المظفر سيف الدين قطز أن ينتصر على هؤلاء التتار، انتصر عليهم بالإسلام.

وما دنا متمسكين بالإسلام فسنتنصر على أعداء الإسلام، والذي لا إله إلا هو إني لأؤمن بالنصر آتيا لا ريب فيه، لا يمكن أن ينتصر طغمة اليهود المتحللة من كل فضيلة، السافرة في إجرامها وظلمها وباطلها، لا يمكن أن تنتصر على أمة صابرة مصابرة مرابطة، لا يمكن أن تنتصر على أمة مؤمنة هدفها الإسلام، متمسكة بربها، متمسكة بدينها، متمسكة بقيمها، ﴿وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

إنَّ التتار قد هُزموا، وإنَّ الصليبيين قد هُزموا، وسيهزم الإسرائيليون، سيُهزم الجمع ويولون الدبر إن شاء الله، ما علينا إلا أن نتماسك، ونستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، ونعتصم بالحبل المتين، ونركن إلى الركن الركين، ونلوذ بالحصن الحصين بالله وَعَبَلْ، ليس لنا

سند إلا هو، سينصرنا عليهم مهما كانت قوتهم، ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِنَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ [الحشر: ٢]، ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتُ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧]، إننا نرمي، ولكن الذي يبعث الرمية ويجعلها نافذة هو الله.

نحن سننتصر على الطغمة الصهيونية الطاغية الباغية، لأن الظلم لا يمكن أن ينتصر على العدل، ولأن الباطل لا يمكن أن ينتصر على الحق، ولأن الفجور لا يمكن أن ينتصر على التقوى، ولأن الإثم لا يمكن أن ينتصر على البر، ولأن الكفر لا يمكن أن ينتصر على الإيمان، سينصرنا الله، ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

صحيح فقدنا شهداء، ولكن المسلمين لا يسمون الشهداء خسائر، لا نقول: خسرتنا. لا والله، اتخذهم الله عنده شهداء، ﴿وَلَا نَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ﴾ [محمد: ٤ - ٦].

نسأل الله تبارك وتعالى أن ينصر إخواننا في غزة، وأن ينصر إخواننا في فلسطين، وأن ينصر إخواننا في العراق، وأن ينصر إخواننا في أفغانستان، وأن ينصر إخواننا المجاهدين والمضطهدين في كل مكان.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ:

دور العلماء في قيادة الجهاد:

كان للعلماء دائماً دورهم في قيادة الجهاد في سبيل الله طوال التاريخ، وكان الصحابة الذين فتحوا الفتوح علماء، لا تظنوا أنّ أبا بكر وعمر وعثمان وعليّاً وأبا عبيدة وخالد بن الوليد وهؤلاء كانوا مجرد قادة عسكريين، لا، بل كانوا كلهم علماء متفهمين في الدين، تتفاوت درجاتهم.

وكان للعلماء من بعدهم دورهم في الجهاد أيضاً طوال التاريخ، كان لعز الدين بن عبد السلام دوره في انتصار المسلمين على التتار في معركة عين جالوت وراء قطز، وكان عز الدين يقول للريح: يا ريح، خذيهم^(١). فتهب الريح عليهم، ونحن نقول: يا رب سلّط الريح على هؤلاء، وسلّط الأمطار عليهم، وسلّط جنك على هؤلاء.

ونحن نعلم أنّ للعلماء دورهم في قضية فلسطين، عز الدين القسام الذي سمّى الإخوة في حماس جناحهم العسكري باسمه هو عالم من علماء الشام، من علماء سوريا ذهب إلى فلسطين، والذي قاد المسيرة الفلسطينية طوال عشرات السنين ونحن نشهده الحاج أمين الحسيني المفتي الأكبر لفلسطين.

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢/٣٤٠)، تحقيق د. محمود محمد الطناحي ود. عبد الفتاح

محمد الحلو، نشر دار هجر، ط ٢، ١٤١٣هـ.

موقف الاتحاد العالمي من قضية فلسطين:

ولذلك يضع الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين قضية فلسطين في أولوياته، وهو الاتحاد الذي وفقنا الله إلى إنشائه، وهو يضم علماء الأمة في مشارق الأرض ومغاربها، ونحن نتصر لإخوتنا في غزة، وقد كوّننا وفداً إسلامياً من خيرة الشخصيات الإسلامية من أنحاء العالم الإسلامي، وهذا الوفد سيزور عدداً من الدول أولها قطر، وسيزور السعودية، وسوريا، والأردن، ومصر، وتركيا، وسيزور منظمة المؤتمر الإسلامي، وإذا أمكن سيزور الجامعة العربية أيضاً، بعض هذا الوفد حاضر معنا في هذه الصلاة، وسننطلق من الغد إن شاء الله؛ فادعوا الله لنا، وادعوا الله لهذا الوفد أن يوفقه في مهمته، وأن يعيده إن شاء الله مؤيداً منصوراً.

اللهم انصر إخوتنا في فلسطين، اللهم إخوتنا في غزة، اللهم كن لهم ولا تكن عليهم، اللهم انصرهم ولا تنصر عليهم، اللهم اهدمهم ويسر الهدى إليهم، اللهم انصرهم على من بغى عليهم، اللهم افتح لهم فتحاً مبيئاً، واهدهم صراطاً مستقيماً، وانصرهم نصرًا عزيزاً، وأتمم عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك، اللهم لا تكلمهم إلى أنفسهم طرفة عين ولا أقل من ذلك، اللهم قوّ شوكتهم، وسدّد رميتهم، واحرسهم بعينك التي لا تنام، واكلاًهم في كنفك الذي لا يُضام، اللهم عليك بالصهاينة الغاصبين الطاغين، اللهم رُدّ عنا كيدهم، وفلّ حدهم، اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم، اللهم أدر الدائرة عليهم، وسق الوبال إليهم، اللهم أنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين، اللهم لا تجعل لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين، اللهم يا منزل الكتاب، ويا مُجري



السحاب، ويا سريع الحساب، ويا هازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم، اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم، ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا؛ ربنا إنك رؤوف رحيم.

* * *





حَقُّ الْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

عناية الإسلام بالجانبين الربّاني والإنساني:

جاء الإسلام ليقوم في الحياة جانبين مهمّين: الجانب الربّاني، والجانب الإنساني.

الجانب الأوّل يقوم على أفراد الله تبارك وتعالى بالعبادة والاستعانة، فلا يُعبد إلا الله، ولا يُرعى ولا يُخشى إلا الله، وهذا معنى قولنا في فاتحة الكتاب كلّ يوم: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، إحسان الصلة بالله تبارك وتعالى.

هذه هي المهمّة الأولى.

والمهمّة الثانية: تتعلّق بهذا الجانب الإنساني، أن يُحسّن النّاس الصلة بعضهم ببعض، أن يؤدّي كلّ منهم لصاحبه حقّه، دون طغيان ولا إفساد، ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿ [الرحمن: ٨، ٩]، على هذا قام الإسلام، وجاءت رسالة محمّد ﷺ، فجانب منها ربّاني، وجانب منها اجتماعي إنساني.

عناية الإسلام بالمجتمع لا سيما الفئات الضعيفة منه:

عني الإسلام بالمجتمع، وبفئاته الإنسانيّة، وبخاصّة تلك الفئات الضعيفة المسحوقة، التي لا حول لها ولا طول، تلك الفئات التي لم يكن يُعرف لها حقٌّ، ولا يُرفع لها صوت، ولا يُحسب لها حساب، ولا يُقام لها وزن في كلّ المجتمعات البشريّة القديمة، حتّى تلك المجتمعات التي عُرفت بمجتمعات الحضارة، في وادي النيل، أو في فارس، أو في بلاد الروم، أو في بلاد اليونان، أو في بلاد بابل وأشور وكلدان، تلك البلاد كلّها، وتلك الحضارات كلّها، كان الضعفاء والفقراء فيها مسحوقين، إلّا من فئات يُقدّم لهم على وجه الامتنان، ليس حقًّا، وليس دينًا، وليس شيئًا يُطالب به أحد.

هكذا كانت أمم الحضارات، حتّى جاءت الأديان السماوية، فنادت بالإحسان إلى المساكين والفقراء والضعفاء، ووعدت على ذلك بأعظم الثواب عند الله وَعَبَّك، ولكنها لم ترتفع إلى ما ارتفع إليه الإسلام، بحيث تجعل ذلك الإحسان إلى المساكين والفقراء حقًّا.

ومن هنا كانت مزيّة الإسلام، أنّه جعل للمساكين والضعفاء حقًّا في مال الأغنياء، هذا ما جاء به محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اسمعوا لهذه الآيات الكريمة من سورة الإسراء وهي مكّيّة: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا * رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا * وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٢٦].

عُدَّةُ الْإِنْتَاكِ فِي السَّلْمِ وَعُدَّةُ النَّصْرِ فِي الْحَرْبِ:

بعد حقّ الله تبارك وتعالى، وبعد حقّ الوالدين، وخاصة عند الكبر والشيخوخة، جاء حقّ الأقرباء ذوي الأرحام، الذين تحدّثنا عنهم في الجمعة الماضية، يأتي بعد هؤلاء حقّ المسكين وابن السبيل، ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾، هو حقّ إذن.

بعد أن يقيم الإسلام العلاقة بين أفراد الأسرة بعضهم وبعض، وبين الأقارب بعضهم وبعض، يبحث عن تلك الفئات المضيّعة، التي طالما افترسها الناس افتراساً؛ لأنّه لا يوجد من يدافع عنها، ولا يوجد من يحمي حماها، جاء الإسلام يرفع حقّ هذه الفئات، لماذا؟

لأنّ هذه الفئات - كما أشار الحديث النبوي - هي عُدَّةُ الْإِنْتَاكِ فِي السَّلْمِ، وَعُدَّةُ النَّصْرِ فِي الْحَرْبِ، هؤلاء الضعفاء من العمال والفلاحين والفئات المستضعفة هي التي تعمل في زرع الأرض وحرثها، وفي الصناعات والحرف المختلفة، فيأتي من ورائها الرزق والخير والإنتاج. ثمّ هي التي تجنّد في الحرب فتكون وقوداً لها، فمن ورائها يأتي النصر.

الرزق في السَّلْمِ، والنَّصْر في الْحَرْبِ، وإلى هذا يشير الحديث النبوي الذي جاء في صحيح البخاري، وخاطب به النبي ﷺ سعد بن أبي وقاص حينما قال: «هل تُنصرون وتُرزقون إلاّ بضعفائكم»^(١).

هؤلاء هم مصدر الرزق ومصدر النصر، لهذا إذا ضعفوا، إذا كَلَّت أقدامهم عن السير، إذا عجزوا عن تحقيق مطالبهم ولعيالهم،

(١) رواه البخاري في الجهاد (٢٨٩٦).

فيجب أن يُعانوا، وأن يُساعدوا، ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾، المسكين له حق في الإسلام.

من هو المسكين؟

وأول ما صنعه النبي ﷺ أنه حدّد لنا مَنْ هو المسكين، فكثير من النَّاس يظنُّ المسكين هو ذلك المتسوّل (الشحّات)، الطوّاف على النَّاس، الَّذي يراه النَّاس في كلِّ عصر مادّا يده بالسؤال، هي صورة قديمة، ولكن النبي ﷺ صحّح المفاهيم للنَّاس فقال: «ليس المسكينُ بهذا الطوّاف الَّذي يطوف على النَّاس، فتردّه اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان».

قالوا: فما المسكين يا رسول الله؟

قال: «الذي لا يجد غني يُغنيه، ولا يُفطن له فيتصدّق عليه، ولا يسأل النَّاس شيئاً»^(١).

وفي رواية: «ليس المسكينُ الَّذي تردّه التمرة والتمرتان، ولا اللقمة ولا اللقمتان، إنّما المسكين الَّذي يتعفّف، واقروا إن شئتم قوله: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْكَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣]»^(٢).

هذا هو المسكين، قد يكون في ظاهر أمره مستورا؛ لأنّه لا يُحبُّ أن يُظهر الفقر والحاجة لأحد، ولكن صاحب الفراسة يعرفه، كما قال الله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْكَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣].

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٧٩)، ومسلم (١٠٣٩) (١٠١)، كلاهما في الزكاة، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في تفسير القرآن (٤٥٣٩)، ومسلم في الزكاة (١٠٣٩) (١٠٢)، عن أبي هريرة.

هذا المسكين له حقٌّ، وكلُّ مَنْ يعيش في المجتمع الإسلامي له حقٌّ، لا بدَّ أن توفَّى مطالبه، لا بدَّ أن تُقضى حاجاته، إنَّه إنسان في حاجة إلى أن يأكل ويشرب، في حاجة إلى أن يكتسي، في حاجة إلى أن يتداوى، في حاجة أن تسدَّ حاجاته الماديَّة والمعنويَّة والغريزية، لا بدَّ أن تُوفَّى له هذه المطالب.

العمل واجب على كلِّ قادر:

لا يستطيع الإنسان أن يعيش بغير هذه الحاجات، التي سمَّاها فقهاؤنا: الحوائج الأساسيَّة الأصلية، فمن أين للإنسان أن يوفَّى هذه المطالب، أول ما يُطالب به الإسلام كلَّ إنسان أن يوفَّى مطالبه، ويسدَّ حاجاته عن طريق العمل، لا بدَّ أن يعمل.

العمل في الإسلام عبادة وقربى وجهاد في سبيل الله، تُغني به نفسك، وتعفُّها عن السؤل، تُغني به أهلك وأسرتك، تساهم بها في تنمية مجتمعك، لا يجوز للإنسان أن يظلَّ عالة على المجتمع، ويمدَّ يده سائلاً، فإنَّ الصدقة «لا تحلُّ لغنيٍّ، ولا لذي مرَّة سويٍّ» كما قال النبي ﷺ^(١).

وذو المرَّة: ذو القوَّة، الإنسان ذو القوَّة، والسلامة من العاهات، فلماذا يعتمد على غيره؟

لا ينبغي للإنسان أن يكون عبئاً على الحياة، يأخذ ولا يعطي، يستهلك ولا ينتج.

(١) رواه أحمد (٦٥٣٠)، وقال مخرَّجه: إسناده قوي. وأبو داود في الزكاة (١٦٣٤)، والترمذي في الزكاة (٦٥٢)، وقال: حسن. وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (١٤٤٤)، عن عبد الله بن عمرو.

إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْأَرْضَ لِنَعْمَلُ فِيهَا، كَانَ فِي إِمْكَانِ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ أَنْ تُغْنِيَ النَّاسَ بِلا عَمَلٍ، وَلَكِنَّ اللَّهَ وَضَعَ لِهَذَا الْكُونِ سُنَنًا، رَبَطَ فِيهِ الْمَسَبَبَاتِ بِأَسْبَابِهَا، وَجَعَلَ مِنْ هَذِهِ السُّنَنِ أَنْ خَيْرَاتِهِ لَا تُنَالُ إِلَّا بِالْعَمَلِ، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

مَنْ مَشَى فِي مَنَاكِبِ الْأَرْضِ اسْتَحَقَّ أَنْ يَأْكُلَ، وَمَنْ لَمْ يَمْشِ فِي مَنَاكِبِهَا، وَجَلَسَ مَتَعَطِّلًا مَتَبَطِّلًا لَا يَسْتَحَقُّ أَنْ يَأْكُلَ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ بِاسْمِ الْعِبَادَةِ، أَوْ بَدَعُوا التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ، فَإِنَّ التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ لَيْسَ مَعْنَاهُ أَطْرَاحِ الْأَسْبَابِ، التَّوَكُّلُ أَنْ تَبْذُرَ الْحَبَّ وَتَرْجُو الثَّمَارَ مِنَ الرَّبِّ، أَنْ تَعْمَلَ وَتَدَعَ النَّتَائِجَ عَلَى اللَّهِ وَعَجَلًا.

وَالْعِبَادَةُ فِي الْإِسْلَامِ لَيْسَتْ أَنْ تَجْلِسَ فِي دَيْرٍ، أَوْ تَعِيشَ فِي صَوْمَعَةٍ، أَوْ فِي تَكِيَّةٍ لِلدَّرَاوِيشِ، وَغَيْرِكَ يَطْعَمُكَ وَيَعُولُكَ. لا، لا رهبانية في الإسلام.

الْعِبَادَةُ فِي الْإِسْلَامِ أَنْ تَعْمَلَ وَتَكْسِبَ مِنْ كَدِّ يَمِينِكَ وَعَرَقِ جَبِينِكَ، وَهَذَا نَفْسَهُ عِبَادَةٌ، وَلَيْسَ فِي عِبَادَاتِ الْإِسْلَامِ مَا يُوجِبُ أَنْ يَتَفَرَّغَ الْإِنْسَانُ لَهُ وَيَنْقَطِعَ، إِنَّهَا رَكَعَاتٌ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ لَا تُلْهِي إِنْسَانًا وَلَا تَشْغَلُهُ عَنْ عَمَلِهِ الدُّنْيَوِيِّ.

الْإِسْلَامُ يُوجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَعْمَلَ لِيَكْفِيَ نَفْسَهُ، وَيَنْفَعُ أُسْرَتَهُ، وَيَسَاهِمَ فِي خَيْرِ مَجْتَمَعِهِ، يَعْمَلُ أَيَّ عَمَلٍ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَلَوْ كَانَ الْإِحْتِطَابُ، حَتَّى إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعُهَا، فَيَكْفَى اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ»^(١).

(١) رواه البخاري في الزكاة (١٤٧١)، عن الزبير بن العوام.

هكذا علّمهم النبي ﷺ .

كان العرب يحتقرون الحرف والصناعات، وكان أحدهم يستسهل أن يأتي إلى شيخ القبيلة أو إلى زعيم القوم فيسأله صدقة أو نحو ذلك، ولا يعمل، فعلمهم ﷺ أن أيّ عمل أشرف من السؤال، ولو كان الاحتطاب.

درس عملي في محاربة البطالة:

ولما جاء رجل إلى النبي ﷺ يسأله من الصدقة، سأله: «أمّا في بيتك شيء؟».

قال: بلى، يا رسول الله، جلس نفترشه (فراش قديم) وقعب (إناء) نشرب منه.

قال: «ائتني بهما».

فأتاه بهما، فقال النبي ﷺ: «من يشتري هذين؟».

فقال رجل: أنا أشتريهما بدرهم، يا رسول الله.

فقال رسول الله ﷺ: «من يزيد؟».

وهذا أصل مشروعية بيع المزاد: «من يزيد؟».

فقال رجل: أنا أشتريهما بدرهمين، يا رسول الله.

فأخذ رسول الله منه الدرهمين وأعطاهما هذا الرجل الذي جاء يسأل الصدقة أول الأمر، ثمّ قال له: «خذ هذين الدرهمين، فاشترِ بأحدهما طعامًا لأهلك، واشترِ بالثاني قدومًا وأتني به».

فذهب الرجل واشترى قدومًا، وجاء بها إلى النبي ﷺ فجعل النبي لها يداً من خشب، وقال له: «اذهب فاحتطب وبع، ولا أرينك خمسة عشر يوماً».

فذهب الرجل يحتطب ويبيع، وبعد خمسة عشرة يوماً جاء إلى النبي ﷺ وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوبًا، وبيعها طعامًا، فقال رسول الله ﷺ: «هذا خيرٌ لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة، إنَّ المسألة لا تصلح إلا لثلاثة: لذي فقر مُدقع، أو لذي غُرمٍ مُفطع، أو لذي دمٍ مُوجع»^(١).

انظروا كيف عالج النبي ﷺ الأمر، إنَّه لم يُعطِ الرجل كما طلب من الصدقة، وإنَّما أراد أن يتعرَّف على حاله؛ ليعلم أعنده شيء يمكن أن يُساعد في حلِّ مشكلته؛ لأنَّه أولى بالنَّاس أن يعملوا على حلِّ مشكلاتهم بأنفسهم، وألا يعتمدوا في كلِّ شيء على الدولة، أو على ولي الأمر، على غيرهم.

فلما وجد عنده شيئًا يمكن أن يُباع بآعه، وبآعه بالمزاد بدرهمين، وكان الدرهمان في ذلك الوقت لهما شأن، لهما قوَّة شرائية كبيرة، ولكن النبي ﷺ وجَّه الرجل أحسن التوجيه وأطيبه وأنفعه، لم يقل: اشترِ طعامًا بالدرهمين، فيعود الرجل بعد ذلك يمدُّ يده، قال: «اشترِ بأحدهما طعامًا لأهلك، وبالثاني قدومًا»، أي: إنَّه قسَّم هذه الثروة القليلة المحدودة نصفين، نصف للاستهلاك، ونصف للإنتاج، القدوم آلة إنتاجية بالنسبة للرجل، ووجَّهه إلى الاحتطاب، فهذا هو المناسب

(١) رواه أحمد (١٢١٣٤)، وقال مخرَّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الزكاة (١٦٤١)، والترمذي في البيوع (١٢١٨)، وقال: حسن. وابن ماجه في التجارات (٢١٩٨)، عن أنس بن مالك.

للبيئة، وهذا هو المناسب لقدرات الرجل، قال: اذهب فاحتطب، وذهب الرجل وباع واشترى.

هكذا علّمه النبيّ حلّ مشكلته بقدراته الذاتية، واستغنى الرجل بهذا الأمر.

ثمّ لقّن النبيّ ﷺ الرجل الدرس النظري بعد هذا الحلّ العملي، بأنّ المسألة لا تحلّ إلّا: لذي فقر مدقع، لا يجد له حلًّا، أو لذي غُرم مفضّع، دين ثقيل لا يستطيع أن يسدّه، أو لذي دم موجه، أي: دية أوجعته وأثقلته. هذا هو الإسلام.

توفير العمل للعاطل والكفالة للعاجز:

الإسلام يريد من المسلم أن يعمل حتّى يكفي نفسه بنفسه، ولكن هناك من الناس من لا يستطيع أن يعمل، الشيخ الكبير، المرأة الأرملة، الصبي اليتيم، المريض مرضًا مزمنًا لا يقدر معه على العمل، ماذا يصنع هؤلاء؟ أنتركهم في المجتمع تدوسهم أقدام الأقوياء؟ ويسحقونهم سحقًا؟ لا بدّ من شيء لهؤلاء، ثمّ قد يكون الإنسان قادرًا ولا يجد العمل، أزمت البطالة التي تعترى المجتمعات قديمًا وحديثًا، ماذا يفعل هذا الرجل؟ أو من لا يجد عملاً يلائم قدرته واختصاصه، كلُّ هذه الحالات قد تحدث.

ثمّ هناك من يعمل ثمّ لا يجد من عمله ما يكفيه؛ لقلّة الدخل، أو كثرة العيال، أو غلاء الأسعار، أو نحو ذلك، ماذا يفعل هؤلاء؟ هؤلاء هم المساكين الذين لهم حقّ عند المسلمين، يجب أن يُعانوا.

الزَّكَاةُ حَقُّ اللَّهِ وَالْفَقِيرِ وَالْمَجْتَمَعِ:

الإسلام فرض لهم حقًّا في الزكاة، حقًّا معلومًا، وليس تطوُّعًا، ولا إحسانًا اختياريًّا، هو حقُّ أحقِّه مالك المال وهو الله ﷻ الذي استخلف النَّاسَ فيه؛ فالمال مال الله، والفقراء عيال الله، لا ينبغي للإنسان أن يظنَّ أنَّ المال ماله، ويقول ما قال قارون من قبل: ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨]، أو كما قال الإنسان الكفور: ﴿هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ [فُصِّلَتْ: ٥٠].

لا، المال مال الله، رزق ساقه الله إلى النَّاسِ.

ليس الإنسان هو الذي أنشأ مادة المال، ليس الإنسان هو الذي جعل الأرض ذلولًا، ولا هو الذي أنزل الأمطار، ولا هو الذي أجرى الأنهار، ولا هو الذي صرَّف الرياح، ولا هو الذي وضع السنن والقوانين التي بها ينبت النبات، وتنضج الثمار، الله هو صانع هذا كله، ﴿وَعَاثُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [التور: ٣٣].

الزَّكَاةُ حَقٌّ، الَّذِي فرض هذا الحقُّ هو الله، وهي حقٌّ معلوم، لم يتركها لضمائر النَّاسِ وأريحيَّتهم، يؤدُّونها متى شاءوا، إذا لم يغلب عليهم الشحُّ وحبُّ الدُّنيا وحبُّ الذات، فإذا غلب عليهم ذلك قبضوا أيديهم، وتركوا الفقراء والمساكين يموتون جوعًا.

لا، هي حقٌّ معلوم، مقادير معلومة، إذا بلغ المال كذا.. ففيه كذا، العُشر أو نصف العُشر أو ربع العُشر أو الخمس، حُدِّدَت الزَّكَاةُ، حُدِّدَ مَنْ تجب عليه الزَّكَاةُ؟ وَمَنْ تجب له الزَّكَاةُ، وكم يجب له؟ ومتى يجب له؟ وهذا معنى أنها حقٌّ معلوم، هذه ميزة الزَّكَاةِ على الصدقات التي جاءت في الأديان السابقة.

الأديان السابقة حثت على الإحسان إلى الفقراء، والتصدق عليهم، ولكنها لم تتمتع بدرجة عالية من درجات الإلزام، الزكاة في الإسلام بلغت أعلى درجات الإلزام؛ لأنها فريضة وركن من أركان هذا الدين، من الدعائم الخمس التي بُني عليها هذا الإسلام، يأتي ترتيبها بعد الشهادتين وإقام الصلاة، ولذلك نجدها قرينة لهذه الفريضة اليومية الأساسية الصلاة، قرينة لها في كتاب الله وسنة رسوله.

الزكاة شقيقة الصلاة، ولذلك قال الفقيه الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: مَنْ لَمْ يَزَكْ فَلَا صَلَاةَ لَهُ ^(١)؛ لَأَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَرَنَ بَيْنَهُمَا، ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ١١]، لا يستحق الإنسان الانتماء إلى المجتمع المسلم واستحقاق أخوته الدينية إلا بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة.

حقُّ الله، وحقُّ الفقير، وحقُّ المجتمع، والواقع أنَّ الزكاة حقُّ لله، وحقُّ للفقراء، وحقُّ للمجتمع كلاً، يجب على المسلم أن يؤديها طوعاً، وإلا أخذت منه كرهاً.

الحراس الثلاثة للزكاة من الضياع:

هناك حراس ثلاثة تحرس هذه الفريضة كي تُؤدى:

الحارس الأول: إيمان المسلم:

إيمانه الذي يجعله يبذل المال إرضاء لله، وامثالاً لأمره؛ حتى

(١) رواه الطبراني (١٠٣/١٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٣٢٩): رواه الطبراني في الكبير وله إسناد صحيح.

لا يُكوى به في نار جهنم يوم القيامة، حتى لا تقول الملائكة: ﴿هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْزِبُونَ﴾ [التوبة: ٣٥]، ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْزِبُونَ﴾ [التوبة: ٣٥].

إيمان المسلم، إنه يريد إرضاء الله، وشكر نعمته، وتزكية نفسه، وتطهير ماله؛ حتى لا يصبح هذا المال يوم القيامة شجاعاً أقرع، يتمثل له هذا المال يقول له: أنا مالك، أنا كنزك، ويطوق عنقه، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

الحارس الأول هو الإيمان، الضمير المؤمن، الذي يستكن بين جنبي الإنسان المسلم، وإن لم يطالبه بذلك مطالب، وإن لم يكن هناك حكومة تجبي الزكاة وتضعها في مصارفها الشرعية.

الحارس الثاني: المجتمع المسلم:

ثم هناك المجتمع المسلم الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويتواصى بالحق، ويتواصى بالصبر، ويتعاون على البر والتقوى، مجتمع متناصح، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ﴾ [التوبة: ٧١]، و«المؤمن مرآة المؤمن»^(١)، و«الدين النصيحة، لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(٢).

(١) رواه أبو داود في الأدب (٤٩١٨)، وابن وهب في جامعه (٢٣٧)، والبزار (٨١٠٩)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٩٢٦)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٥٥)، وأحمد (١٦٩٤٠)، وأبو داود في الأدب (٤٩٤٤)، والنسائي في البيعة (٤١٩٧)، عن تميم الداري.

ينبغي أن يكون هذا حارساً آخر، الرأي العام الإسلامي، الوعي الإسلامي الاجتماعي هذا حارس ثان.

الحارس الثالث: الدولة المسلمة:

الدولة المسلمة؛ لأنَّ الأصل في الزكاة في الإسلام أنَّها ليست مجردَّ عبادة فردية، إنَّها عبادة اجتماعية، ينبغي أن يأخذها أولو الأمر، الدولة المسلمة، ينبغي أن تعيَّن أناساً يجمعونها من أهلها، ويصرفونها في محلَّها، سمَّاهم القرآن: (الْعَامِلِينَ عَلَيْهَا)، وجعل لهم سهماً من الزكاة؛ حتَّى لا يحتاجوا إلى مورد آخر، ومن هنا قال القرآن: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

ولما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن قال: «فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم صدقةً في أموالهم تُؤخذ من أغنيائهم وتُردُّ على فقرائهم»^(١).

فالزكاة من الأمة وإليها، من اليد الغنية إلى اليد الفقيرة.

وبتعبير آخر: من اليد المستخلفة من الله على المال إلى اليد المستحقَّة لهذا المال.

هذا ما ينبغي أن يكون عليه المسلمون.

فإذا لم تكن هناك دولة تحرس الزكاة وتجيئها، ولم يكن هناك رأي عامٌ يقول لمن ترك الزكاة: أدِّ حقَّ الله عليك. يبقى هذا الوازع الداخلي، الذي لا يموت إلَّا إذا مات الإسلام في قلب صاحبه، يبقى هذا الإيمان، تبقى خشية الله تعالى ورجاء الدار الآخرة، يبقى أنَّ المسلم ينظر قبل كلِّ

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٣٩٥)، ومسلم في الإيمان (١٩)، عن ابن عباس.

شيء إلى رضا الله ﷻ، ويعلم أن الله وعد وعدًا لا يخلف، ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

لو أن المسلمين عرفوا هذا، وأدّوا زكاة أموالهم، ما شكونا - نحن المسلمين - اليوم مما نشكو منه، ما وجدت تلك الفئات الجائعة العارية البائسة، ما وجد في المجتمع هذا التفاوت الفاحش، الثراء الفاحش والفقير المدقع، من يملك القناطير المقنطرة ومن لا يملك شيئاً، من يملك القصور الضخمة الفاخرة، وربما لا يدخلها في العام مرّة، ومن يعيش هو وزوجه وأولاده في حجرة في بدروم.

يوجد في المجتمع المسلم هذا التفاوت، الذي يجعل كثيراً من الناس فرائس سهلة، وضحايا سائغة للمبادئ الهدّامة، والمذاهب الحمراء المستوردة من هنا وهناك، لماذا؟

لأنّ الأغنياء شحّوا بأموالهم.

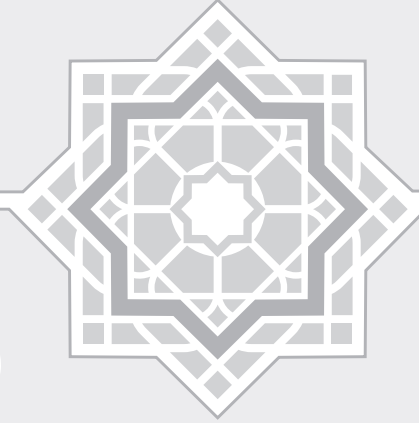
هذا هو الذي أذهب البركة من هذه الحياة.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.





مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ
بُوسَيْفِ الْقُرْظَبَاوِيِّ



الفهارس العامة



- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
- فهرس الموضوعات.







فهرس الآيات القرآنية الكريمة



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
سورة الفاتحة		
٥٩	١	﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾
٥٩ ، ١٢	٢	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
٥٩	٣	﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾
٣٦٢	٥	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾
سورة البقرة		
٢٤٩	٣٠	﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾
٢٤٤	٤٤	﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾
٢١	١٠١	﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾
٥٨	١٠٩	﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ﴾
٢٤٥ ، ٢٢٢	١١١	﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
١٨٩ ، ٣١	١١٥	﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾
١٦٥	١٢٧	﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾
١٦	١٣٦	﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٢٦٣ ، ١٨٩	١٤٣	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾
٢٣٩	١٤٨	﴿ فَاسْتَبِقُوا الْحَيْرَاتِ ﴾
٧٩	١٥١	﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ ﴾
٣٥٨	١٥٤	﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾
٢٤٤	١٦٤	﴿ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾
١٧١	١٧٢	﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾
١١٩	١٨٠	﴿ كُتِبَ عَلَيْكُم إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ ﴾
٦٢ ، ٤٤ ، ٢٤	١٩٠	﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُم وَلَا تَعْتَدُوا ﴾
٦٢	١٩١	﴿ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَفَنُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّن حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾
٦٢	١٩٣	﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾
٨٤	٢٠٨	﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلَاحِ كَافَّةً ﴾
١٦٢ ، ١١٨ ، ٤ ، ٣٠١	٢١٥	﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾
٦٤	٢١٦	﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ ﴾
٦٢	٢١٧	﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾
٢٤٤	٢٣٠	﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾
٢٩٠	٢٣٣	﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ؕ لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾
١٩١	٢٣٨	﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى وَاقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾
١٩١	٢٣٩	﴿ فَإِن خِفْتُمْ فِرْجًا لَّا أَوْرَاقًا ﴾
٣٥٤	٢٥١	﴿ فَهَزْمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
١٧	٢٥٥	﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾
٣٧٥ ، ١٤٦	٢٦٨	﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ ﴾
٣٦٥	٢٧٣	﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْقُفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾
١٦	٢٨٥	﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ ﴾
سورة آل عمران		
١٣١	١٤	﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ ﴾
٣٥	٤٩	﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾
٣٥٧ ، ٢٣٤	١٠١	﴿ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾
٢٨	١٠٣	﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾
٢٦٢ ، ٨٩	١١٠	﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾
٢٣٩	١٣٣	﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ ﴾
٣٥٤	١٤٠	﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ﴾
٧٣ ، ٥٣ ، ٣٠ ٢٧٩ ، ٢٤١ ، ١٦١	١٤٧	﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا ﴾
٦٤	١٥٤	﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾
٣٥٤	١٦٠	﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ ﴾
٧٩	١٦٤	﴿ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾
٣٥٨	١٦٩	﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ ﴾
٣٧٣ ، ١٤٧ ، ١٢٤	١٨٠	﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾
٢٣٣	١٨٥	﴿ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
سورة النساء		
٣٠٤	٢	﴿ وَءَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَيْرَ بِالْطَّبِيبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ ﴾
١٣٩، ١٢١، ١٢٠، ١٦٤، ١٥٠	٥	﴿ وَلَا تَوَلُّوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا ﴾
٣٠٥، ٣٠٤	٦	﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا ﴾
٣٠١	٨	﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ ﴾
٣٠٥	٩	﴿ وَلِيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ ﴾
٣٠٥	١٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾
١٧٦	٣٥	﴿ إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾
٨٣	٧٧	﴿ كَفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾
٦٥، ٤٤، ٢٤	٩٠	﴿ فَإِنْ اعْتَزَلْتُمْ فَلَمْ يُقْبَلْكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ أَسَلِمَ ﴾
١٧٩	٩٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ ﴾
١٨٠	١٠٠	﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾
٣٥٥	١٠٤	﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ﴾
سورة المائدة		
٩	٣	﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾
٢٥٢	٨	﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعَدَّلُوا ﴾
٥٨	١٣	﴿ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ ﴾
١٥٧، ٦١	٣٢	﴿ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ ﴾
١٦٠	٥٤	﴿ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
١٤٩	٦٤	﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾
١٢٠	٦٥	﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾
١٢٠	٦٦	﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾
١٥	٧٣	﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾
١٥	٧٥	﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾
٥٧	٩١	﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَيْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾
٥٨	٩٨	﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾
سورة الأنعام		
١٨٢	١١	﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾
١٥	١٤	﴿ قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
٢٧٧ ، ٦٩	٣٨	﴿ وَمِمَّنْ دَابَّ فِي الْأَرْضِ وَلَا ظَلِيمٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ ﴾
١٧٤ ، ١٤٢	٤٤	﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾
١٧٤ ، ١٤٢	٤٥	﴿ فَاقْطَعْ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
٢٤٤	٥٠	﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾
٢٢٢	٩٧	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ ﴾
٢٤٤	٩٨	﴿ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾
١٥	١١٤	﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ﴾
٢٢٢	١٤٨	﴿ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ﴾
١٦٤	١٥١	﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾



رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
١٥٢	٣٠٤	﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾
١٥٣	٢٠٦	﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾
١٦٢	٢٣٥	﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
١٦٣	٢٣٥	﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾
١٦٤	٢٨٩، ٦٠، ١٥	﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَازِرَةً وَلَا نُزِرَ أُخْرَىٰ﴾
سورة الأعراف		
١٠	٩٨، ٩٧	﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾
١١	٩٨	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾
٣٢	١٤٥	﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾
٥٩	١٤	﴿يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾
٦٥	٥٧	﴿وَالِإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾
٧٣	٥٧	﴿وَالِإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾
٨٥	٥٧	﴿وَالِإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾
٨٦	٢٥٥، ٢٠٣	﴿وَأذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرْنَاكُمْ﴾
٩٦	١٢٠	﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾
١١٦	٣٢٩	﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْرَبُوهُمْ وَجَاءَهُمْ بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾
١٢٣	٣٣٠	﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُمْ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾
١٢٩	٢٤٩	﴿وَيَسْتَخْلِفُكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾
١٥٦	٥٩	﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَشَاءِ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾
١٥٧	٧٩	﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٣٦ ، ١٢	١٥٨	﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾
٢٢١	١٨٥	﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾
سورة الأنفال		
٣٥٨	١٧	﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾
١١٧	٢٦	﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾
٣٣٩	٢٧	﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ ﴾
١٢٨	٢٨	﴿ وَعَلِمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾
٣٠١	٤١	﴿ وَعَلِمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ، وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ ﴾
٦٤	٤٥	﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾
٢٢٨	٥٣	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾
٢٥٣	٦٠	﴿ وَاعْدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾
٨٤ ، ٦٥ ، ٢٤	٦١	﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾
٦٥	٦٢	﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ ﴾
سورة التوبة		
٦٦	١	﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾
٦٦	٤	﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا ﴾
٣٧٢ ، ٦٦ ، ٦٥	٥	﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾
٦٦	٦	﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ﴾
٦٦	٧	﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ ﴾
٨٤	١٠	﴿ لَا يَقْبَلُونَ فِي مَوْتِهِمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٣٧٢	١١	﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾
٣٤٣	٢٤	﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾
٥٦	٣٣	﴿بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾
٣٧٣	٣٥	﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ﴾
٣٤٥، ٣٤٤	٤٠	﴿إِلَّا نَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾
٣٧٣، ٢٦١، ١١٣	٧١	﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾
٣٧٤، ١٧٢، ٢١، ٢٠	١٠٣	﴿حُذِّمْنَ أَمْوَالُهُمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾
٣٥٦	١١٩	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾
٢٥٠، ١٨٠	١٢٢	﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ﴾
سورة يونس		
٢٢٣	٥	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ﴾
٢٦٨	٢٣	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾
٢٤٤	٢٤	﴿لِقَوْمٍ يَنْفَكُونَ﴾
٣٥٢، ٢٦١	٣٢	﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَإِنِّي أَنْصَرِفُونَ﴾
٢٢١	٣٦	﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾
٢٢٨	٤٤	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾
١٤٢	٥٨	﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾
٩	٦٥	﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾
٢٤٤	١٠١	﴿قُلْ أَنْظَرُوا﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
سورة هود		
٩٨	٦	﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾
١٦٥	٣٨	﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ﴾
٢٤٩ ، ٩٧	٦١	﴿ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾
١٥١ ، ١٢٥	٨٧	﴿ أَصَلَوْتُمْ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يُعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾
٣٥٢	١٠٢	﴿ وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾
٢٢٨	١١٧	﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصَلِحُونَ ﴾
سورة يوسف		
٢٨٨	٩	﴿ أَقْبَلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾
١٢٩	٥٥	﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾
١٢٩	٥٦	﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ﴾
٢٢٧	٨٧	﴿ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ﴾
٨٦	٩٢	﴿ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومٌ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾
سورة الرعد		
٢٢١	٣	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾
٣٢٧ ، ٢٢٩	١١	﴿ إِبْرَاهِيمَ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾
سورة إبراهيم		
١٢١	٧	﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾
٩٦	٣٤	﴿ وَإِن تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٣٣٥	٣٥	﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾
١٩١	٣٨	﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمَ مَا نُخْفِي وَمَا نُعَلِّمُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾
٣٣٥	٤٠	﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾
٣٣٥	٤١	﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾
سورة الحجر		
٢٥٧، ٢٠٤، ١٦	٩	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾
٣٢	٢٨	﴿ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾
٣٢	٢٩	﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾
٥٨	٤٩	﴿ نَبِيِّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾
٥٨	٥٠	﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾
٢٢٧	٥٦	﴿ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾
سورة النحل		
٢٥٣	٨	﴿ وَالْحَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾
٩٦	١٨	﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾
١٤	٣٦	﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾
٩٦	٥٣	﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾
٢٨١	٥٨	﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾
٢٨١	٥٩	﴿ يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ ﴾
٢٥٦، ٣٧، ١١	٨٩	﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٢٩٤	٩٠	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾
٨٢	١٠٦	﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾
١٠٠	١١٢	﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾
٦٩، ٤٠، ٢٤ ١٣٥، ٨٠	١٢٥	﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمْ﴾
٢٣	١٢٦	﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ﴾
سورة الإسراء		
١٤٣	١٨	﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾
١٤٣	١٩	﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾
٣٦٣	٢٦ - ٢٣	﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾
٣٦٥، ٣٦٤	٢٦	﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾
١٦٤	٣١	﴿وَلَا تَقْلُبُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾
٣٠٤	٣٤	﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾
٨٠	٧٠	﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ﴾
سورة الكهف		
٢٢٥	٣٠	﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾
١٤٠	٣٦ - ٣٤	﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾
١٤١	٣٧	﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾
٢٢٢	٥١	﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ﴾
١٤١	٩٦، ٩٥	﴿فَاعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ؕ ءَأَتُونِي زُبْرًا حَدِيدٍ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٣١٤ ، ١٤١	٩٨	﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾
٨١	١١٠	﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ ﴾
سورة مريم		
١٩٠	٥٩	﴿ خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا ﴾
سورة طه		
٣٣٧	٥٠	﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾
٣٢٩	٦٧	﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ ﴾
٣٢٩	٦٨	﴿ لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ﴾
٣٢٩	٦٩	﴿ وَالْقِيََامَ فِي يَمِينِكَ نَلَقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ ﴾
٢٣٦	٧٠	﴿ قَالُوا يَا مَتَّارِيبَ هَرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾
٣٣٠ ، ٢٣٦	٧١	﴿ قَالَ يَا مَعْشَرَ الَّذِينَ هَدَىٰ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾
٣٣١ ، ٣٣٠ ، ٢٣٦	٧٢	﴿ لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ﴾
٣٣١ ، ٢٣٦	٧٣	﴿ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾
٢٣	١٢٠	﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾
٢٣ ، ٢٢	١٢٢ ، ١٢١	﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿ ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾
١١٩	١٢٣	﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾
١١٩	١٢٤	﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشَرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾
سورة الأنبياء		
٩٧	٨	﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾
١٤	٢٥	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾



رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٢٨	١٧	﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾
٤٧	١٣٣، ٤	﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾
٨٠	١٦٥	﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾
٩٢	٢٦٣	﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾
١٠٥	٢٥٧	﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ﴾
١٠٧	٧٩، ٧٠، ٣٦، ١٢	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾
سورة الحج		
٣٩	٨٣، ٦٣، ٤٢	﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾
٤٠	١٧٩، ٨٣، ٦٣	﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾
٤٦	١٨٢	﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾
٦٢	٣٥٢، ٢٦١	﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَبَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾
سورة المؤمنون		
٤ - ١	٢٣٧، ١٥٤	﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾
٥١	١٧٢، ١٧١	﴿يَتَّبِعُهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾
٥٢	٢٦٣	﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾
٥٥	١٥٤	﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ﴾
٥٦	١٥٤	﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾
سورة النور		
٣٠	٢١	﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾
٣٣	٣٧١، ١٢٤	﴿وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَيْنَاكُمْ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
١٢٨	٣٦	﴿ فِي بُيُوتِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لِيُذَكِّرُوا فِيهَا نَسِيحًا لِمَن بَاغَدُوا ﴾
١٤٣، ١٢٨	٣٧	﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ﴾
سورة الفرقان		
٣٦، ١٢	١	﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾
٩٧	٢٠	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ﴾
٤٦	٦٣	﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا ﴾
٣٣٥	٧٤	﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَرْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾
سورة الشعراء		
٣٣١، ٣٢٨	٤١	﴿ أَيْنَ لَنَا لَاجِرٌ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾
٣٢٨	٤٢	﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾
٢٣٦	٤٤	﴿ بَعِزَّةٍ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾
٣٢٩	٤٥	﴿ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾
٣٣٠، ٣٢٩	٤٦ - ٤٨	﴿ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِدِينَ ﴾ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾
٣٣٠	٤٩	﴿ قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾
١٧	١٠١، ١٠٠	﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿ وَلَا صِدِّيقٍ حَمِيمٍ ﴾
سورة النمل		
٣١٤، ١٤١	٤٠	﴿ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾
٢٢٨	٥٢	﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ﴾
٣٣٧	٨٨	﴿ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَعَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
سورة القصص		
٢٣٦	٣٨	﴿يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾
١٤٣ ، ١٤٢	٧٦	﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۗ وَعَآئِنَهُ مِنْ الْكُنُوزِ﴾
١٤٣ ، ١٤٢ ١٤٥ ، ١٤٤ ١٤٩ ، ١٤٨ ، ١٤٦	٧٧	﴿وَأَبْتَعُ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۗ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۗ﴾
٣٧١ ، ١٥١ ، ١٥٠	٧٨	﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۗ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ﴾
١٥٤ ، ١٥٢ ، ١٥١	٧٩	﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۗ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾
١٥٢	٨٠	﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ﴾
١٥٤ ، ١٥٣	٨١	﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾
١٥٥ ، ١٥٤	٨٢	﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَابُ اللَّهُ﴾
١٥٥	٨٣	﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾
٧٨	٨٦	﴿وَمَا كُنْتُمْ تَرْجَوْنَ أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾
سورة العنكبوت		
٥٣ ، ٣٠ ، ٢١ ١٦١ ، ١٣٨ ، ٧٤ ٣٤١ ، ٢٤١ ، ١٩٣	٤٥	﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾
١٣٥ ، ٢٤	٤٦	﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾
٢٣٢	٦٤	﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾
سورة الروم		
٣٠٨	٥ - ١	﴿الْمَ ؕ غَلَبَتِ الرُّومُ ۗ فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
١٨٣	٩	﴿ أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾
٢٢٣	٢٢	﴿ وَمِن آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافُ أَسْنَانِكُمْ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضُونَ ﴾
سورة لقمان		
٢١	١٧	﴿ يَبْنِي أَقْرِبَ الصَّلَاةِ وَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ﴾
سورة السجدة		
٦١	٢٢	﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴾
سورة الأحزاب		
٨٤	١٠	﴿ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ ﴾
٨٤	١١	﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾
٢٦٠	٢١	﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ ﴾
٨٤ ، ٦٣ ، ٤٣	٢٥	﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغِيظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْفِتَالَ ﴾
٤٥	٢٨	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُن تَرْضَيْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرِزْقَهَا ﴾
٤٥	٢٩	﴿ وَإِن كُنْتُن تَرْضَيْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ ﴾
٢٦٥	٣٩	﴿ الَّذِينَ يَلْبِغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ﴾
٣٦ ، ١٣	٤٠	﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾
٥٦	٤٦ ، ٤٥	﴿ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ، وَسَرَاجًا مُنِيرًا ﴿
٣٠ ، ٥٣ ، ٧٤ ، ١٣٨ ، ١٦١ ، ١٩٣ ، ٢٤١ ، ٢٩٤ ، ٣٤١	٥٦	﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ ﴾
٢٢٢	٦٧	﴿ إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴾
١٠٠	٧٢	﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
سورة سبأ		
١٦٥	١٠ - ١١	﴿وَأَنَّا لَهُ الْخَدِيدُ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبِيغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ ﴿١١﴾﴾
١٢	٢٨	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴿٢٨﴾﴾
١٤٧	٣٩	﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۗ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾
٢٢١	٤٦	﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِيَارِكُمْ ثُمَّ تَنَفَّكُوا عَنْهُ ﴿٤٦﴾﴾
سورة فاطر		
٩	١٠	﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴿١٠﴾﴾
٢٢	٣٢	﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴿٣٢﴾﴾
٢٦٨ ، ٩٥	٤٣	﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۗ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾
سورة يس		
١٢٣	٣٣ - ٣٥	﴿وَأَيُّ لُحْمٍ أُرْسِلَتْ فِي الْإِنْسَانِ إِذْ خُلِقَ ﴿٣٣﴾ خَلْقًا مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٣٤﴾﴾
١٢٤ ، ١٢٣	٧١ - ٧٣	﴿وَأَيُّ لُحْمٍ أُرْسِلَتْ فِي الْإِنْسَانِ إِذْ خُلِقَ ﴿٧١﴾ خَلْقًا مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧٢﴾﴾
سورة الصافات		
٢٣٦ ، ٢٣٥	١٠٢	﴿قَالَ يَا أَهْلَ بَيْتِ اللَّهِ عَسَى أَنْ يَمُنَّ مِنْكُمْ خِيفًا ﴿١٠٢﴾﴾
سورة ص		
٣٥٤	١١	﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾
١٦٦	٢٠	﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ۗ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ ﴿٢٠﴾﴾
٣٦	٨٧	﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾
سورة الزمر		
٢٣٤	٢٢	﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ۗ ﴿٢٢﴾﴾



رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٢٩	٢٣٥	﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ ﴾
٣٠	٨١	﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾
٣١	٨١	﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِمُونَ ﴾
٤٤	١٧	﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ﴾
٥٣	٢٢	﴿ قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾
سورة خافر		
٣	٣٤٠ ، ٢٩٤	﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴾
٧	٥٩	﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾
٢٣	١٤١	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾
٢٤	١٤١	﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَقُرُونَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴾
٢٨	٨١	﴿ أَنْقَلْتُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾
سورة فصلت		
١٠	٩٧	﴿ وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا ﴾
٤١	٢٠٤	﴿ وَإِنَّهُ لَكِنْدٌ عَزِيزٌ ﴾
٤٢	٢٠٤ ، ٥٥	﴿ لَا يَأْنِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾
٥٠	٣٧١	﴿ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾
سورة الشورى		
١١	١٦	﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾
٣٠	٢٢٨	﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٧٦، ٢٣	٤٠	﴿ وَحَزَّوْاُ سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾
٢٨٠	٤٩	﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنشَاءً ﴾
٧٨	٥٢	﴿ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾
سورة الزخرف		
١٨٧	١٢ - ١٤	﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا ﴾
٢٢٢	١٩	﴿ أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ ﴾
٢٢٢	٢٣	﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴾
١٥٢	٣١	﴿ لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرَبَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾
٦١	٤١	﴿ فَإِنَّمَا نَذَّهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴾
٦١	٤٢	﴿ أَوْ نُزَيِّنَكَ أَلَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴾
سورة الدخان		
٦٠	١٦	﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴾
سورة الأحقاف		
٢٢٢	٤	﴿ أَتُؤْنِسُ بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَنْتَرَوْ مِنْ عَلِيمٍ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾
٣٣٥	١٥	﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾
سورة محمد		
٣٥٨، ٦٨	٤	﴿ فَإِذَا لَقِيتَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ ﴾
٣٥٨	٥	﴿ سَيِّدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِهِمُ ﴾
٣٥٨	٦	﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمُ ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٣٥٨	٧	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾
٣٥٤	٣٥	﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْآعْلُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَزِيَّكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾
سورة الفتح		
٤٣	١	﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾
٢٦٨	١٠	﴿ فَمَنْ نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ ﴾
٣٣٧	٢٣	﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾
٣٣٣	٢٩	﴿ كَزَّرِعِ أَخْرَجَ شَطْأَهُ، فَفَازَرَهُ، فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُقُقِهِ ۖ ﴾
سورة الحجرات		
١٣٤ ، ٥٧	١٣	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ ﴾
سورة ق		
٢٤٤	٦	﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا ﴾
١٤٥	٣٠	﴿ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾
٢٦	٣٧	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾
سورة الذاريات		
٢٤٩ ، ٢٣٢	٥٦	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾
سورة الطور		
٦٠	٢١	﴿ كُلُّ أَمْرٍ إِيمًا كَسَبَ رَهِيْنٌ ﴾
سورة النجم		
٢٢٢	٢٣	﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ﴾



رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
سورة الرحمن		
٨	٣٦٢	﴿ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴾
٩	٣٦٢	﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾
٢٧	٦١	﴿ وَيَبْعَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴾
سورة الحديد		
٧	١٢٧ ، ١٢٤	﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ ﴾
٢١	٢٤٠	﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾
٢٥	٢١٤ ، ١٢٧	﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ ﴾
سورة الحشر		
٢	٣٥٨	﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ﴾
٧	٣٠١ ، ١٠٦	﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ ﴾
١٠	٣٠ ، ٥٣ ، ٧٣ ، ١٣٨ ، ١٦١ ، ٢٤١ ، ٢٧٩ ، ٢٩٤	﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾
٢٣	٥٩	﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ ﴾
٢٤	٥٤	﴿ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ ﴾
سورة الممتحنة		
٧	٦٧	﴿ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾
٨	٤٤ ، ٢٤	﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ ﴾
٩	٢٤	﴿ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوا مِنْ دِينِكُمْ ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
سورة الصف		
٣٧	٦	﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَاءَ يَلِإِي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾
سورة الجمعة		
٢٣٩	٩	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾
سورة المنافقون		
٩	٨	﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾
١٢٨	٩	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءَامُورُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾
١٤٥	١٠	﴿رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَقْتُ وَأَكُنُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾
١٤٥	١١	﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾
سورة التغابن		
٣٤٠ ، ٢٩٤	١	﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾
٢٣٤	١١	﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾
سورة الطلاق		
١٢٠	٣ ، ٢	﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾
سورة التحريم		
٢٩٢ ، ٢٩١	٦	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾
سورة الملك		
١٢٣ ، ٩٧ ٣٦٧	١٥	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
سورة القلم		
١٥٢	٤	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾
١٧٣	٤٤ - ٤٥	﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾
سورة الحاقة		
١٠٤	٢٨ - ٢٩	﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾
١٠٤	٣٠ - ٣٤	﴿خَذُوهُ فَعُوهٗ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾
سورة المعارج		
١٢٢	٢٤ ، ٢٥	﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾
سورة نوح		
١٢٠	١٠ - ١٢	﴿أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾
سورة الجن		
١٢٠	١٦	﴿وَالْوِاسْتَقْمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً عَذْقًا﴾
سورة المزمل		
٣١	٩	﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾
سورة المدثر		
١٠٣ ، ٦٠ ، ٤	٣٨ - ٤٤	﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّتٍ يَسَّاءُلُونَ ﴿٤٠﴾﴾
١٠٤	٤٣ - ٤٤	﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ﴾
١٧	٤٨	﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
سورة القيامة		
١٤٣	٢١، ٢٠	﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذُرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾
سورة الإنسان		
١٠٩	٨	﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾
١٠٩	٩	﴿إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لُوجْهِ اللَّهِ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾﴾
سورة النازعات		
٢٣٦	٢٤	﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾
سورة التكويد		
١١٢	٢٧	﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾
سورة المطففين		
١٣٠	٦ - ١	﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾﴾
٣١٦	٣، ٢	﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾
سورة الأعلى		
٣١٩	٣، ٢	﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾
١٥٤	١٥، ١٤	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾
سورة العاشية		
٢٤٤	١٧	﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ ﴿١٧﴾﴾
سورة الفجر		
٣٥٣	١٤ - ٦	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخَلِّقْ مِثْلَهَا فِي الْعَالَمِ ﴿٨﴾﴾
١٥٥	١٥	﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَّهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ ﴿١٥﴾ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
١٥٥	١٦	﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾
٢٩٨ ، ١٠٤	١٧	﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾
٢٩٨ ، ١٠٤	١٨	﴿وَلَا تَخْضَوْنَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾
٢٩٨	١٩	﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾
٢٩٨	٢٠	﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾
سورة البلد		
٣٠٠	١٦ - ١١	﴿فَلَا أَقْنَمِ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُ رَقَبَةً﴾
سورة الشمس		
١٥٥	١٠ ، ٩	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾
سورة الضحى		
٢٩٧ ، ١٦٣ ، ١١٧	٨ - ٦	﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾
٢٩٧	٩	﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾
سورة العلق		
٧٨	٥ - ١	﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * أقرأ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾
٣٣	٤	﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾
٢٥٣	٥	﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾
١٤٠	٧ ، ٦	﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ * أَن رَّأَاهُ اسْتَعْجَلَىٰ * أَن رَّأَاهُ اسْتَعْجَلَىٰ﴾
سورة الزلزلة		
١٧	٧	﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾
١٧	٨	﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾



رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
سورة العاديات		
٨	١١٨، ١٦٢	﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾
سورة التكاثر		
٨	١٣٣	﴿ثُمَّ لِنُسْئِلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾
سورة العصر		
٣ - ١	٢٣١، ٢٣٧، ٢٦١	﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾
سورة قريش		
٤ - ١	٩٦	﴿لَا يَلْفُفُ قُرَيْشٍ * إِذْ لَفِيهِمْ رِحْلَةَ الِشْتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾
سورة الماعون		
٣ - ١	١٠٤، ٢٩٧	﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾
سورة الإخلاص		
٤ - ١	١٥	﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾
سورة الناس		
٣ - ١	١٢	﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ﴾

* * *





فهرس الأحاديث النبوية الشريفة



رقم الصفحة	الحديث
	أ
١٨٧	آيُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ
١٨٩	أَتَّقِ اللَّهَ حَيْثَمَا كُنْتَ
٢٩٨	اتَّقُوا اللَّهَ فِي الضَّعِيفِينَ: المرأة واليتيم
٣٠٥	اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشُّرك بالله
١٠٢	ادروؤوا الحدود بالشبهات
١٨٥	إذا كان ثلاثة في سفرٍ فليؤمُّوا أحدهم
٢٨٩	اذهبي حتى تلدي، ولمَّا ولدت وجاءت به على يديها قال: اذهبي حتى تفتطميه
٣٠٦، ١٧٤	ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، فالراحمون يرحمهم الرحمن
١٨٦	أستودعُ الله دينك وأمانتك وخواتيمَ عمَلِك
١٨٥	أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه
١٣٠	أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه النَّاس؟! مَنْ غَشَّ فليس مِنِّي
٤٣	أقبحها حربٌ ومِرَّة
٢٤٠	ألا إنَّ سلعة الله غالية، ألا إنَّ سلعة الله الجنة
١٨٧	الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، باسم الله، الحمد لله، سبحان الذي سخر لنا هذا



رقم الصفحة	الحديث
١٤٧	اللهم أعطِ مُنفقًا خَلْفًا، ويقول الآخر: اللهم أعطِ مُمسكًا تَلَفًا
١١٨	اللهم أكثِرْ ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته
١٦٣	اللهم أنت الأول؛ فليس قبلك شيء، وأنت الآخر؛ فليس بعدك شيء
٢٩٨	اللهم إنِّي أحرِّجُ حقَّ هذين: المرأة واليتيم
١٦٣، ١١٨	اللهم إنِّي أسألك الهدى والتُّقى، والعفاف والغنى
١٠٠	اللهم إنِّي أعوذ بك من الجوع؛ فإنه بئس الضجيع
١٠٢	اللهم إنِّي أعوذ بك من الكفر والفقر
١٨٦	الله يحبُّ أن تؤتى رخصه
٣٦٩، ٣٦٨	أمَّا في بيتك شيء؟... هذا خيرٌ لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك
٣٠٠	امسحْ على رأس اليتيم، وارحمِ المسكين
٢٨٣	إنَّ ابني ارتحلني - أي: جعلني راحلة - فكرهتُ أن أعجله
١٧١	إنَّ الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإنَّ الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين
٢٩٣	إنَّ الله سائلٌ كلِّ راعٍ عمَّن استرعاه، حفظ أم ضيِّع
٥	إنَّ الله قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب
٣٥٢	إنَّ الله ليُملي للظالم حتَّى إذا أخذه لم يُفلته
١١٨	إنَّ الله يُحبُّ العبد التقيَّ، الغنيَّ، الخفيَّ
٥٩	إنَّ رحمتي سبقت غضبي
١٦٥، ١٢٦، ٩٨	إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا تقوم حتَّى يغرسها؛ فليغرسها
٢٩٩	أنا أول من يُفتح له باب الجنَّة، إلاَّ أنه تأتي امرأة تبادرني
٢٩٩	أنا وكافلُ اليتيم في الجنَّة هكذا
١٨٢	إنَّما الأعمال بالنيَّات، وإنَّما لكل امرئ ما نوى



رقم الصفحة	الحديث
٧٩	إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُّهْدَاةٌ
١٠٨، ١٠٧	إِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضَعْفَائِكُمْ
١٣	إِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي
٨٧	إِنَّهَا لَا تَزُنُّ عِنْدَ اللَّهِ جَنَحَ بَعُوضَةٍ
١١٧	إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ عَلَى جَيْشٍ فَيُسَلِّمَكَ اللَّهُ وَيُعْنِمَكَ
٢٨٤	أَوْ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِنْ قَلْبِكَ
٧٨	أَوْ مُخْرَجِيَّ هُمْ
١٧٠، ١٣٢	أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟ ... فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ
١٢٢	أَيُّمَا أَهْلٍ عَرَصَةٌ أَصْبَحَ فِيهِمْ امْرَأٌ جَائِعٌ، فَقَدْ بَرَّتْ مِنْهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ تَعَالَى
ب	
١٦٣	بِالثَلَاثِ، وَالثَلَاثُ كَثِيرٌ، إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ: خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً
ت	
١٠٥، ٢٠	تَوْخِذْ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتَرُدُّ عَلَى فَقَرَائِهِمْ
١٦٨	تَعَسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعَسَ عَبْدُ الدَّرْهِمِ، تَعَسَ عَبْدُ القَطِيفَةِ وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ
١١٩	الثَلَاثُ، وَالثَلَاثُ كَثِيرٌ؛ إِنَّكَ أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدْعَهُمْ عَالَةً
١٦٩، ١٦٨، ١٣١	الحلال بيِّن، والحرام بيِّن، وبينهما مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ
خ	
٢٩٨	خَيْرُ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُحْسَنُ إِلَيْهِ، وَشَرُّ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ
د	
٢٦٩	دَعَا النَّبِيَّ ﷺ فَبَايَعَنَاهُ
٤٣	دَعُوا الحَبْشَةَ مَا وَدَّعُوكُمْ، وَاتْرَكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ



رقم الصفحة	الحديث
٢٧٦	دعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء
٣٧٣	الدين النَّصِيحَة، لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم
ر	
١٨٥	الراكبُ شيطانٌ، والراكبان شيطانان، والثلاثة ركبٌ
ز	
٧٨	زملوني، زملوني
١٨٦	زودك الله التقوى، وغفر ذنبك، ويسر لك الخير حيثما كنتَ
س	
١٥٧	سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر
٢٦٨	السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحبَّ وكره، ما لم يُؤمر بمعصية
ش	
٢٥٢	شبرًا بشبرٍ وذراعًا بذراع
ص	
٨٢	صبرًا آل ياسر؛ فإنَّ موعدكم الجنة
١٩٠	صلِّ قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب
ط	
١٠٣	طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة
ع	
٢٠٣	علَّمنا رسول الله ﷺ أن نستعيد بالله من العجز والكسل
ف	
٣٧٤	فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقةً في أموالهم تُؤخذ من أغنيائهم



رقم الصفحة	الحديث
٢٦٨	فُوا ببيعَةَ الأَوَّلِ فالأَوَّلِ
٢٩٤	فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياه
ك	
١٠٢	كاد الفقر أن يكون كُفراً
٢٩٩	كافل اليتيم له أو لغيره، أنا وهو كهاتين في الجنة
١٦٩	كالراعي يرعى حول الحمى، يوشك أن يرتع فيه
٢٩٣	كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت
١٧٠	كلُّ جسد نبت من سحت؛ فالنار أولى به
٢٨٢	كلُّكم راعٍ ومسؤول عن رعيته
ل	
٦٣، ٤٣	لا تتمنّوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا
٣٦٦	لا تحلّ لغنيّ، ولا لذي مِرّة سويّ
٢٨	لا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض
١٦٧	لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه
٢٢٢	لا تكونوا إمّعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسناً، وإن أسوأوا أسأنا
٣٢	لا فضلَ في الإسلام لعربيّ على عجميّ، ولا لأبيضَ على أسودَ
٣٦٧	لأنّ يأخذ أحدكم حبله، فيأتي بحزمة الحطب على ظهره، فيبيعهها
٣١١، ٢٥١	لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع
١٥٧	لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمنٍ بغير حقّ
٢٧١	لكلّ غادرٍ لواءٌ عند استه يوم القيامة
١٤٥	لو كان لابن آدم واديان من مالٍ لابتغى ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب

رقم الصفحة	الحديث
٢٧٧ ، ٦٩	لولا أنَّ الكلاب أُمَّة من الأمم لأمرتُ بقتلها
٣٦٥	ليس المسكينُ الَّذي تردُّه التمرة والتمرتان، ولا اللقمة ولا اللقمتان
٣٦٥	ليس المسكينُ بهذا الطَّوَّاف الَّذي يطوف على النَّاس
١٠٥	ليس منَّا من بات شبعان وجاره إلى جنبه جائع
↑	
١٦٥	ما أكل أحد طعامًا قط أفضل من أن يأكل من عمل يده
٧٨	ما أنا بقارئ. أنا أمِّي لا أعرف القراءة والكتابة
٢٢٧ ، ١٠٩	ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء: علمه من علمه، وجهله من جهله
٨٨	ما لي وللدُّنيا، إنَّما مثلي ومثل الدُّنيا كمثلي ركب في يومٍ صائفٍ
١٢٦ ، ٩٨ ١٦٤ ، ١٤٩	ما من مسلم يغرس غرسًا، أو يزرع زرعًا؛ فيأكل منه طير أو إنسان
١١٦	ما نفعني مالٌ قطُّ، ما نفعني مالٌ أبي بكر
١٦٣	ما نفعني مالٌ كمالٍ أبي بكر
١٣٠	ما هذا يا صاحب الطعام
٢٨٥	مروا أبناءكم بالصلاة لسبعٍ، واضربوهم عليها لعشرٍ، وفرِّقوا بينهم في المضاجع
٣٤٨	المسلمُ أخو المسلم، لا يظلمُهُ ولا يُسَلِّمُهُ، ولا يحقرُهُ، ولا يَحْذُلُهُ
١٠٧	مَنْ احتكر فهو خاطئ
٩٩	مَنْ أحيأ أرضًا ميتة فهي له
١٠١	مَنْ أصبح آمنًا في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه
٢٣٨	من اغتسل يوم الجمعة غُسل الجنابة ثمَّ راح، فكأنَّما قَرَّب بدنه
٢٣٨	من تطهَّر في بيته، ثمَّ مشى إلى بيتٍ من بيوت الله ليقضي فريضة
١٨٠	مَنْ خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتَّى يرجع



رقم الصفحة	الحديث
٢٩٩	مَنْ ضَمَّ يَتِيمًا بَيْنَ أَبْوَيْنَ مُسْلِمِينَ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ، حَتَّى يَسْتَعْنِي عَنْهُ
١٦٩	مَنْ غَشَّ فُلَيْسَ مَنًّا
٩٩	مَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَزْرِعْهَا أَوْ لِيَمْنَحْهَا أَخَاهُ
١٠٣، ٥	مَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ؛ فَلْيَعِدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ زَادَ
١١٣	الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَنِيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا
٣٧٣	الْمُؤْمِنُ مِرَاةُ الْمُؤْمِنِ
ن	
٨٦	نِعْمَ الْإِدَامُ الْخَلُّ
٤٣	نَعَمْ، وَالَّذِي نَفْسَ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّهُ لَفَتَحَ
١٢٠	نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ إِضَاعَةِ الْمَالِ
هـ	
٣٦٤	هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضِعْفَائِكُمْ
و	
٢٢	وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ
٣٢	وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ
٣٦	وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ
٨٧	وَجَدُوهُ يَضَعُ حَجْرَيْنِ لِيَمْسَكَ بِهِمَا بَطْنَهُ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ
٣٦	وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً
١٨	وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ، فَإِذَا أَحَبَبْتُهُ
٣٠٢	وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًّا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا
٢٨٣	وَنِعَمَ الْفَارِسَانِ هُمَا



رقم الصفحة	الحديث
	ي
١١٧	يا أبا بكر، ما أبقيت لأهلك
٣٤٤	يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ لا تحزن إن الله معنا
١٨٨	يا حنظلة، ساعة وساعة
٨٦	يا عائشة، أفلا أكون عبداً شكوراً
٨٧	يا عمر، أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟
١٦٢، ١٣٩، ١١٨	يا عمر، نعماً بالمال الصالح للرجل الصالح
٨٦	يا معشر قريش، ما تظنون أنني فاعل بكم
١٣٠	يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه، أمن الحلال أم من الحرام
٨١	يحاولون أن يخنقوه ﷺ
١٨٦	يحب أن تؤتى رخصه
١٩٢	يسرّوا ولا تعسّروا، وبشّروا، ولا تُنفّروا
٣٤٨	يسعى بدمّتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم
١٣٢	يقول ابن آدم: مالي، مالي. وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفانيت

* * *

فهرس الموضوعات

- ٤..... • من الدستور الإلهي للبشرية
- ٥..... • من مشكاة النبوة الخاتمة
- ٧..... ١- الردُّ على بابا الفاتيكان
- ٧..... إساءات متعمَّدة للإسلام
- ٨..... بابا الفاتيكان يهاجم الإسلام
- ١٠..... الردُّ على مزاعم البابا
- ١١..... رسالة الإسلام رسالة شاملة
- ١١..... الإسلام رسالة عالميَّة
- ١٣..... الرسالة الأخيرة من السماء إلى الأرض
- ١٣..... الإسلام جاء بالعقيدة الصحيحة
- ١٥..... تنقية التوحيد مما لحق به من شوائب التحريف
- ١٦..... تكملة الرسائل السابقة
- ١٧..... الإسلام جاء بالعبادة السليمة
- ١٨..... تميُّز الصَّلَاة في الإسلام
- ١٩..... الزَّكَاة في الإسلام ليست مُجَرَّد صدقة

- ٢٠..... خصائص الأخلاق في الإسلام
- ٢٣..... الإسلام صحح المفاهيم
- ٢٤..... لا يقاتل إلا من قاتل
- ٢٥..... فكرة الاستئصال عند الغربيين
- ٢٧..... قضايا إسلامية مُعلّقة
- ٣١..... ٢ - أظهر رجل عرفته البشرية لا رجل دماء ولا رجل نساء
- ٣١..... ما تميّز به الشرق والغرب
- ٣٣..... الشرق أسبق في الحضارة من الغرب
- ٣٤..... الديانات الكبرى شرقية المبعث
- ٣٥..... ميزة الرسالة المحمدية
- ٣٨..... الحملات الصليبية تنقض على بلاد الإسلام
- ٤٠..... الصحف الدانمركية تستفز المسلمين
- ٤٢..... محمّد ليس رجل دماء
- ٤٤..... محمّد ليس رجل نساء
- ٤٥..... وسائل للدفاع عمليّة عن النبي ﷺ
- ٥٠..... تحية لكبير أساقفة الكنيسة الإنجليكانية
- ٥١..... رفع حظر الحجاب في تركيا
- ٥١..... وقفة تضامن مع القرضاوي
- ٥٤..... ٣ - نحن أمّة مسالمة والغرب يحاول استفزازنا
- ٥٤..... أمّتنا أمّة السّلام
- ٥٦..... قدس الأقداس عند المسلمين

- ٥٦..... القرآن يدعو إلى المحبة ويحارب البغضاء والكراهية
- ٥٨..... الإله عند المسلمين رحمن رحيم
- ٦٤..... المسلمون لم يبدؤوا بالقتال
- ٦٥..... الإسلام لا يقاتل إلا من يقاتله
- ٦٧..... فكرة الاستئصال فكرة توراتية
- ٦٨..... الإسلام يرفض إبادة الحيوانات فكيف بالبشر
- ٧١..... معاناة أهل غزة
- ٧٢..... موقف المسلمين من المسيئين لرسولهم
- ٧٥ - ٤..... إساءات غربية إلى خير البرية
- ٧٦..... إساءة الغرب إلى المقدسات الإسلامية وأمة الإسلام
- ٧٧..... لماذا يُساء إلى مُحَمَّد ﷺ؟!
- ٧٩..... وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ
- ٨٠..... العدالة والكرامة لكل الناس
- ٨٠..... الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن
- ٨٢..... إيذاؤه ﷺ وإيذاء أصحابه
- ٨٤..... نبئ السلام
- ٨٥..... فتح مكة المكرمة
- ٨٦..... خشوعه ﷺ وعبادته وزهده
- ٨٨..... أكرم الخلق وسيّد الرسل والأنبياء
- ٨٩..... تعريف الأمم بسيرته العطرة ورسالته العظيمة

- ٥ - الأمن الغذائي في ضوء الإسلام ٩٦
- نعمة الشبع والرخاء، ونعمة الأمن من الخوف ٩٦
- الأقوات موجودة في الأرض ٩٧
- قيمة الغرس والزرع ٩٨
- الثروة الحيوانية والمائية ٩٩
- التكافل الاجتماعي في الأمة ١٠٣
- الحض على طعام المسكين ١٠٤
- رحمة الفئات الضعيفة ١٠٧
- واجبنا نحو حصار غزة ١١٠
- ٦ - لماذا انشغل الناس بالمال؟ ١١٥
- ظاهرة انشغال الناس بالأموال ١١٥
- المال في الإسلام ليس شرًا ١١٦
- القرآن يُسمِّي المال خيرًا ١١٨
- المال نعمة وأمانة وضرورة وفتنة ١٢١
- المال فتنة يجب أن تُحذر ١٢٨
- مشكلة حبِّ المال ١٣٠
- ماذا قدّم الإنسان وماذا أخّر؟ ١٣٢
- يهود ضد الصهيونية في زيارة للقرضاوي ١٣٤
- قصة الطفل المسلم الفرنسي إسلام ١٣٦



- ٧ - لماذا انشغل الناس بالمال؟ ١٣٩
- خطر المال في الافتتان به ١٣٩
- الإسلام يُحذّر من الغرور بالمال ١٤٠
- نصائح لكلّ ذي ثروة ١٤٢
- النصيحة الأولى لا تفرح فرح البطر ١٤٢
- النصيحة الثانية ابتغ الدار الآخرة ١٤٣
- النصيحة الثالثة لا تنس نصيبك من الدنيا ١٤٥
- النصيحة الرابعة أحسن كما أحسن الله إليك ١٤٦
- النصيحة الخامسة لا تبغ الفساد في الأرض ١٤٨
- موقف قارون من تلك النصائح ١٤٩
- موقف أهل العلم من أهل الدنيا ١٥١
- نهاية أليمة للمتكبر على الله وخلقه ١٥٣
- شوهوا وجه لبنان الجميل ١٥٦
- ٨ - الكسب الحلال ١٦٢
- نظرة الإسلام إلى المال ١٦٢
- المال وسيلة لقضاء حاجات الفرد، والأسرة، والمجتمع ١٦٤
- الكسب عن طريق الزراعة ١٦٤
- الكسب عن طريق الصناعة ١٦٥
- إتقان العمل ١٦٦
- اكتساب المال من الحلال وإنفاقه في الحلال ١٦٧

- ١٦٨..... تحرّي الكسب من الحلال
- ١٧١..... إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا
- ١٧٣..... وجوب الحذر من الحرام
- ١٧٥..... اتفاق الدوحة للمصالحة اللبنانية
- ١٧٦..... الصلح المنشود بين الفلسطينيين
- ١٧٩..... ٩ - فقه السفر والسياحة
- ١٧٩..... أنواع السفر
- ١٨١..... تحويل سفر العادة إلى عبادة
- ١٨٢..... اصطحاب النية الصالحة
- ١٨٣..... اختر المكان المناسب
- ١٨٤..... اختر الزمان المناسب
- ١٨٥..... اختر الرفيق المناسب
- ١٨٥..... تعلم آداب السفر وأحكامه ورخصه
- ١٨٨..... تقوى الله في الحلّ والترحال
- ١٩٠..... لا تفرّط في الفرائض
- ١٩١..... شغل نفوس الشباب بالحقّ
- ١٩٤..... ١٠ - حلّ مشكلاتنا في العودة إلى الإسلام
- ١٩٤..... على المسلمين أن يتولّوا أمرهم بأنفسهم
- ١٩٥..... عداء موروث يحكم الغزبيين في علاقتهم بالمسلمين
- ١٩٧..... علاجنا بأيدينا ودواؤنا من صيدلية الإسلام



- ١٩٨.....مشكلاتنا تحلُّ يوم نعود للإسلام حقًا
- ١٩٩.....لمحات عابرة من تاريخ المسلمين
- ٢٠١.....مقوّمات السيادة والريادة عند أمة الإسلام
- ٢٠٥.....وقفة حساب مع أنفسنا
- ٢٠٦.....لا حياة لنا إلا بالإسلام
- ٢٠٨.....١١ - في طريق التقدّم العلمي
- ٢٠٨.....مؤتمر العلماء العرب المغتربين
- ٢١٠.....الحضارة العربيّة حضارة إسلاميّة
- ٢١١.....العالم تعلّم من المسلمين
- ٢١٢.....تحرك الغرب ورقود المسلمين
- ٢١٤.....عقبات في طريق التقدّم العلمي
- ٢١٤.....عقبة الاستبداد
- ٢١٦.....عقبة التفرّق
- ٢١٨.....عقبة غياب الرسالة
- ٢١٩.....عقبة أنظمة التعليم الفقيرة
- ٢٢٠.....تهيئة الفرص للعلماء والباحثين
- ٢٢١.....الإسلام ينشئ العقلية العلميّة
- ٢٢٢.....أمة الإسلام أمة العقل والعلم
- ٢٢٤.....ترحيب وعتب واعتزاز بالعلماء المغتربين



- ١٢ - أحوال المسلمين في العالم ٢٢٦
- اليأس ليس من شأن المؤمنين ٢٢٦
- ما يُصِيبُ النَّاسَ فبِكَسْبِ أَيْدِيهِمْ ٢٢٧
- إذا تَغَيَّرَ النَّاسُ غَيَّرَ اللَّهُ ما بِهِمْ ٢٢٨
- العمل على بناء الإنسان من جديد ٢٣٠
- بناء الإنسان المنشود بالإيمان ٢٣١
- الإيمان له ثمرات عاجلة ٢٣٣
- المؤمن عرف غايته ٢٣٥
- ظاهرة اعتادها المسلمون ٢٣٨
- المسلمون يعملون حتَّى في يوم الجمعة ٢٣٩
- ١٣ - التخلُّفُ الَّذِي يعاني منه المسلمون ٢٤٢
- الإسلام هو المحرِّكُ الأوَّلُ لهذه الأمة ٢٤٢
- ليس الإسلام كالمسيحيَّة ٢٤٣
- الإسلام دين العلم ٢٤٤
- المسلمون هم معلمو العالم ٢٤٦
- حالتنا اليوم ٢٤٨
- من مقاصد الإسلام عمارة الأرض ٢٤٩
- اخدم دينك في مجال تخصصك ٢٥٠
- الحضارة الغربيَّة بين المُفرَّطين والمُفرَّطين ٢٥١
- نأخذ من الحضارة الغربيَّة ما ينفعنا ٢٥٣
- الأمة الإسلاميَّة لديها طاقات هائلة ٢٥٤
- لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلَّح به أولها ٢٥٧



١٤ - وحدة المسلمين ٢٥٩

المسلم شامة بين النَّاس ٢٥٩

تواصوا بالحقّ وتواصوا بالصبر ٢٦٠

مسؤوليّة المسلم تشمل البشريّة كلّها ٢٦١

الثورات ورسالة الأُمَّة ٢٦٣

الانقلاب في مصر ٢٦٦

مأساة سوريا ٢٧٧

١٥ - رعاية الإسلام للطفولة ٢٨٠

في يوم الطفل العالمي ٢٨٠

الأطفال هبة من الله ٢٨٠

الأطفال أمانة ٢٨١

للأطفال حقوق ٢٨٣

الاهتمام بالأطفال هو اهتمام بمستقبل الأُمَّة ٢٨٧

عناية الإسلام بالطفل قبل أن يولد ٢٨٩

أبواب فقهية كاملة للعناية بالطفل ٢٨٩

قوا أنفسكم وأهليكم نارًا ٢٩١

١٦ - كفالة الإسلام للأيتام ٢٩٥

اهتمام الإسلام باليتيم ٢٩٥

١ - الرعاية الشخصية والنفسية لليتيم ٢٩٦

اليتيم العظيم ٢٩٦

- الإساءة إلى اليتيم دليل التكذيب بالقيامة..... ٢٩٧
- فضل كفالة الأيتام..... ٢٩٩
- حقُّ الأيتام في الأموال العامّة..... ٣٠١
- كثرة الأيتام في مجتمع المدينة..... ٣٠١
- ٢ - الرعاية الماليّة للأيتام..... ٣٠٣
- التحذير من أكل مال اليتيم..... ٣٠٤
- ١٧ - الأمّة الإسلاميّة بين قرنين..... ٣٠٧
- اهتمام المسلمين بما يجري حولهم..... ٣٠٧
- وقفه مع إنجازات القرن الماضي..... ٣٠٨
- أين كنّا في الألفيّة الأولى للميلاد..... ٣٠٩
- حالة المسلمين في القرن العشرين..... ٣١٠
- قرن الثورات العلميّة عند الغرب..... ٣١٢
- آفات العلم عند الغربيين..... ٣١٤
- قرن الحريات وحقوق الإنسان عند الغرب..... ٣١٥
- حرية الغرب منقوصة..... ٣١٦
- انهيار القيم الأخلاقيّة عند الغرب..... ٣١٨
- الحضارة الغربيّة تحاول معالجة أخطائها..... ٣٢٠
- فقيه الأمّة الإسلاميّة..... ٣٢٢
- فقيه الشيعة في لبنان..... ٣٢٤
- ١٨ - دور الفرد وأثره في المجتمع..... ٣٢٦
- الكلُّ يشكو فمن المشكوك؟..... ٣٢٦



- ٣٢٦..... غَيْرَ نَفْسِكَ يَتَغَيَّرُ الْعَالَمُ.....
- ٣٢٧..... الْإِيمَانُ يَنْشِئُ خَلْقًا جَدِيدًا.....
- ٣٣١..... الْإِيمَانُ يَضَعُ الدُّنْيَا فِي نَصَابِهَا.....
- ٣٣٢..... التَّربِيَةُ الْمُنَشُودَةُ أَسَاسُهَا الْإِيمَانُ.....
- ٣٣٢..... بَدَايَةُ التَّربِيَةِ مِنَ الْأُسْرَةِ.....
- ٣٣٣..... الْوَالِدَانُ قَدَوَةٌ حَسَنَةٌ أَوْ سَيِّئَةٌ.....
- ٣٣٥..... حُبُّ الْخَيْرِ لِلْأَبْنَاءِ بِتَعْبِيدِهِمْ لِلَّهِ.....
- ٣٣٦..... الْمَدْرَسَةُ تَكْمَلُ مَا بَدَأَتْهُ الْأُسْرَةُ.....
- ٣٣٧..... الْعُلُومُ تَسَاهِمُ فِي غَرْسِ الْإِيمَانِ.....
- ٣٣٨..... إِذَا فَسَدَ الْأَفْرَادُ فَسَدَتِ الْأُمَّةُ.....
- ٣٤٢..... ١٩ - غَزَاةٌ بَيْنَ الْحِصَارِ وَالنَّارِ.....
- ٣٤٢..... هُنَاكَ عَبْرَتَانِ مِنَ الْهَجْرَةِ.....
- ٣٤٧..... سَبَبُ إِنْهَاءِ التَّهْدِئَةِ.....
- ٣٤٨..... مَسَاعِدَةُ الشَّعْبِ الْفِلَسْطِينِيِّ.....
- ٣٥٢..... سِلَاحُ الْمَقَاتَعَةِ.....
- ٣٥٥..... الْهَجْمَاتُ الْغَرْبِيَّةُ وَالشَّرْقِيَّةُ عَلَى الْإِسْلَامِ.....
- ٣٥٧..... مَعْرَكَةُ عَيْنِ جَالُوتَ.....
- ٣٥٩..... دَوْرُ الْعُلَمَاءِ فِي قِيَادَةِ الْجِهَادِ.....
- ٣٦٠..... مَوْقِفُ الْإِتِّحَادِ الْعَالَمِيِّ مِنْ قَضِيَّةِ فِلَسْطِينَ.....
- ٣٦٢..... ٢٠ - حَقُّ الْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ.....
- ٣٦٢..... عَنَايَةُ الْإِسْلَامِ بِالْجَانِبِينَ الرَّبَّانِيِّ وَالْإِنْسَانِيِّ.....
- ٣٦٣..... عَنَايَةُ الْإِسْلَامِ بِالْمَجْتَمَعِ لَا سِيَّمَا الْفَتَاتِ الضَّعِيفَةِ مِنْهُ.....



٣٦٤..... عدّة الإنتاج في السّلم وعدّة النّصر في الحرب

٣٦٦..... العمل واجب على كلّ قادر

٣٦٨..... درس عملي في محاربة البطالة

٣٧٠..... توفير العمل للعاطل والكفالة للعاجز

٣٧١..... الزّكاة حقّ الله والفقير والمجتمع

٣٧٢..... الحراس الثلاثة للزّكاة من الضياع

٣٧٩..... فهرس الآيات القرآنية الكريمة

٤٠٥..... فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

٤١٣..... فهرس الموضوعات



